

مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا

١٤

شبه جزيرة العرب

-١-
عسير

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

شبه جزيرة العرب

- ١ -

عسير

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الأخيار ومن دعا بدعوته وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فقد تعطي الفكرة العامة عن منطقة صورة لها على غير حقيقتها وترسم لها صفة بعيدة عن واقعها . فالبقعة التي تعرف بقفرها يخيل للمرء أنها لا تنتج جبا ولا تنبت زرعاً ، والبلاد التي تغلب عليها سمة الفقر يظن الإنسان أنه لا ماء فيها ولا شجر ، ولكن لو جال فيها لتغيرت فكرته ولو درسها لتبدل ظنه وتبدد ما كان في مخيلته . وإن الأرض التي سمع بفناها ، أو رأى مشهداً من خضرتها ونعيمها يحسب أنه لا بور فيها ولا سنوات عجاف تمر عليها ولو انتقل إليها لوجد فيها عكس ما اقتنع به وغير ما ثبت في ذهنه .

كانت الفكرة الراسخة في ذهني أن منطقة حوران من بلاد الشام بقعة يسودها الجذب ويقل فيها الخير يظما أهلها إذا اشتد الحر ويتناول قاطنوها ماء الشرب من برك يجمعونها من مياه المطر تتأسن مع الزمن ، وتتسخ بالاستعمال وتصبح رنقا بعد صاف ، ومما زاد هذه الفكرة رسوخاً وجعلها أكثر ثبوتاً أني كنت

انتقل من دمشق إلى درعا مسافة أكثر من مائة كيل فكنت لا أرى إلا منظرًا واحدًا رتيبًا ، لا يكاد يشد ، أرضاً سوداء قاحلة لا خضرة فيها ولا ظلّ تغتورها بعض الأكام من صخور تبدو أكثر سواداً تزيد المنظر جدباً ، فتملأ العين وتميل إلى الإغفاء وهي التي تريد أن تتملى بالمنظر وتتعشق الجمال وفي خلق الله كل جمال وفي إبداعه كل بديع ، وقد ترى بعد فترة مطر أو نتيجة ظل الصباح شويكات خضر نبتت على جانبي الطريق فكانت ملء العين وهي من الشوك وهذا كل ما يتغير من رتابة المنظر ووحشة التربة وتبقى أنيسة الطريق مبددة سواد المشهد ، هذا إضافة إلى الحشائش والزرع في أعوام الخير والتي لا تستمر إلا مدة بسيطة حتى يلفحها الحر وتصبح هشماً تذروه الرياح .

وزرنا مرة وادي الأشعري في حوران فتغيرت فكري عن المنطقة وتبددت صورتها المائلة في ذهني سابقاً . إنه وادي ينخفض فجأة بعمق مائة متر تقريباً ويتقعر في الأسفل قليلاً ، وتبدو طبقات الصخر على جانبيه متعاقبة لا يزيد سمك الطبقة الواحدة عن متر ، طبقة كلسية بيضاء تعقبها أخرى بازلتية سوداء ، ومن أعلى كل طبقة كلسية ينمو صف من القصب يحيط بالوادي كشريط أخضر ومن أعلى كل طبقة سوداء ينبجس رذاذ من الماء يلفّ الوادي بخطط فضي وتتقاطر ذرات الماء على أوراق القصب التي أسفل منها فتتناثر وهكذا إلى أسفل الوادي حيث تتجمع هناك على شكل بحيرة صغيرة تتحرك مياهها ببطء لتصب في النهاية في نهر اليرموك . ويداعب النسيم أوراق القصب فيكشف بحركته عن بياض كانت قد سترته خضرة القصب . وتنعكس أشعة الشمس على قطرات الماء المتناثرة فتبدو وكأنها شهب متساقطة . وتسمع الطير تصدح خلف العيون ووراء عيبدان القصب ولها غناء كما لحركة القصب ألحان ولخير المياه صوت .

ولم يكن بوسعي أن اصف جمال المنظر ، والتفت إلى أحد الأصدقاء بجانبني فإذا بعينيه تفورقان بالدموع ، إذ جالت الصورة في نفسه ولم يستطع أن يصورها بقلمه فاستجاب الدمع ولبت العين وجادت بما تملك وما استطاع إلا أن يقول : لو رأيت هذا المنظر على قطعة أو لوحة لما صدقت أنه من بلادي ، ولو كان في بلد يعوزها المنظر لجعلت منه دعاية لها ولكانت على جنباته أجمل الحقائق العامة والمتنزهات .

ويعتقد كثير من الذين يعيشون خارج الجزيرة العربية أن بقاعها كلها مقفرة وأن أراضيها كلها صحارى مجربة تغطيها الرمال التي تذررها الرياح أو تنكشف التربة عن صخور فتبقئها جرداء أو تبرز نتوءات صخرية بركانية تشكل حرات وعرة تزيد في صعوبة المواصلات وتعيق الانتقال وإن وجدت بين هذه التضاريس تجمعات بشرية فهي واحات صغيرة تقوم على ينابيع قليلة المياه تنبجس من قاع منخفض وهي التي أوجدت الواحة وقامت عليها بعض الأشجار المردودة لا تتعدى المنخفض ولا تزيد عن مساحته .

ولو تجول الإنسان في ربوع الجزيرة لوجد واحات كثيرة تتجاوز المنخفضات وتمتد على طول الأودية رغم جفافها، إذ تضرب أشجار النخيل بجنورها في الأعماق وتأخذ منها الرطوبة وتستطيع معها الحياة إضافة إلى تحملها الجفاف لطبيعة سعفها وعدم خروج أي جزء من الماء منها والاحتفاظ بقسم منه في ليفها ونستطيع أن نقول إن أشجار النخيل تشكل أحيانا غابات حقيقية في كثير من البقاع هذا مع العلم أن نهاية الأودية التي تفيض في الرمال تشبع التربة هناك بالماء وتكون قابلة لقيام الزراعة ، وقد تتفجر منها عيون لميل طبقاتها فلاحساء وعيونها والخرج وبحيراته والافلاج وينابيعها كلها مجال لقيام البساتين ومراكز لأعمال الزراعة . هذا إضافة إلى البقاع التي تقع عند أقدام المرتفعات

وتقوم فيها الزراعات والأراضي العالية التي تستفيد من كثرة الرطوبة والأودية التي تقوم بين الجبال وتتفجر فيها الينابيع وأراضي تهامة ووحدات العارض وسدير والوشم والقصيم ، ثم هناك الإفادة من المياه الجوفية الكثيرة التي خلقتها الحقب التاريخية المطيرة التي أصبحت تستخرج بواسطة المحركات الآلية أو تتدفق مياهها من تلقاء ذاتها بسبب الضغط وميل الأرض هذه كلها بقاع كست أرض الجزيرة بالخضرة وأعطت المار عليها صورة غير التي كانت في ذهنه وهو بعيد عنها ونستطيع أن نقول إن أرض الجزيرة العربية فعلاً بقاع صفراء ولكن فيها نقط وخطوط خضر تتسع وتزداد مع الزمن لتصبح جنات .

وإذا كانت البلاد المعتدلة بحاجة إلى مناطق مرتفعة يصطاف فيها الناس ويقضون فصل الحر فيها يتمتعون بمناخها العذب ونسماتها المنعشة وارتفاعها المشرف وروعة مناظرها إذا كان هذا في البلاد المعتدلة كسويسرة مصيف أوربا ولبنان مركز اصطيف الشرق فإن البلاد الحارة هي أكثر حاجة إلى المصايف وسكانها أكثر رغبة في قضاء فصل الصيف في المرتفعات المعتدلة المناخ والبقاع التي يملؤها سحر الطبيعة .

إن سكان الجزيرة العربية هم بأشد الحاجة إلى المصايف في بلادهم يقضون فيها فصل الحر اللافح ويتخلصون من وقت الصيف اللاهب الذي يسوده الجفاف وتنقطع فيه أقل النسمات مما يجعل الهواء خائفاً محبوساً . وفي الجزيرة بقاع مرتفعة في الغرب يعتدل فيها المناخ وتمتلئ بالخضرة وتكثر فيها المناظر ، ومن أكثرها أهمية منطقة عسير التي ستكون عندما تصل إليها يد العناية والتحسين من أهم المصايف ، فارتفاعها يزيد عن ٣٠٠٠ م ومن يجتازها لا يتصور نفسه أنه فوق بقعة في خطوط عرضها بل وفي الجزيرة العربية نفسها .

إن منطقة عسير لايفك نسيمها المعتدل يهب ينعش النفس ويحمل النشاط ، وإذا كان فصل الشتاء يميل الى البرد إلا أن الرطوبة الموجودة في الجو تجعل البرد أخف وطءً من برد الصحارى والمناطق الجافة الأخرى في الجزيرة ، وفي الوقت نفسه تجعل الخضرة دائمة تركز إليها النفس والمياه متوفرة فتانس بها العين على حين تكون غيرها من البقاع قد أحرقت الشمس كل نبات وتركتة حطاماً وأزالت كل أثر للماء .

إن الذي يذهب الى عسير تتغير الفكرة التي في نفسه والصورة التي في مشاعره عن الجزيرة العربية ، إذ يرى الخضرة تحيط به من كل جهة ويرى الماء ينساب ببطء أمام ناظره وتفتح النفس وتشرق وتبتهج الحياة بتلك المناظر الخلابة فمن يرتقى ذروة جبل السودة ويتجه الى الغرب يرى أمامه شدة في الانحدار تسائر السفوح الغربية كلها دون ذراها ولا يمكن أن يصعد المرء عليها أو ينتقل من تهامة الى عسير إلا عن طريق عتبات معروفة ومناطق موصوفة حفرتها مياه الأودية التي مدت رؤوسها الى قرب الأودية الأخرى المتسابة نحو الشرق ورغم هذه العتبات فلا يجتازها الإنسان متسلقاً إلا على أربع ثم يرى بعد ذلك أودية خضر اشتدت خضرتها حتى غدت قريبة من الزرقة وتجاري امتداد السيول وشعبياتها وقد تبدو في بعض الأحيان صفحات الماء من خلال هذه الخضرة تلمع كالفضة تحت أشعة الشمس وقت الأصيل إذا كشفتها نسمة ريح أو أظهرتها أراضٍ مكشوفة وترى فوقها طبقات بيضاء من رطوبة الجو حتى لتبدو سحجاً بيضاء فوق البحر وتخرج من خلالها أشعة الشمس الذهبية على شكل مروحة ساحة عملها ملء الرؤية وتسقط الشمس ببطء تحت الأفق وكأنها تغيب دونك وأنت شاهد عليها وإذا كانت رطوبة الجو قليلة في الصباح بدت زرقة البحر واضحة المعالم .

وحيثما اجلت الطرف اعترضت ناظريك خضرة واشجار
وملات الجو بهجة وإشراقاً وإن كانت تتخللها مرتفعات تبدو عارية
في المناطق الشديدة الانحدار وتبدو صخورها جرداء وسوادها
داكن وبخاصة إذا كان الوقت بعد منتصف النهار إذ تقع في ظل
النرا والمنحدرات فتزيدها عتمة . وتمتد الجبال في الشرق أمامك
ويقل ارتفاعها مع بعدها وتقل خضرتها باستمرار مع نايها حتى
تغيب في الأفق ويتمد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهناك
برمال الربع الخالي . . . وتبدو السماء أكثر زرقة والرؤية أكثر
وضوحاً لقلّة الرطوبة .

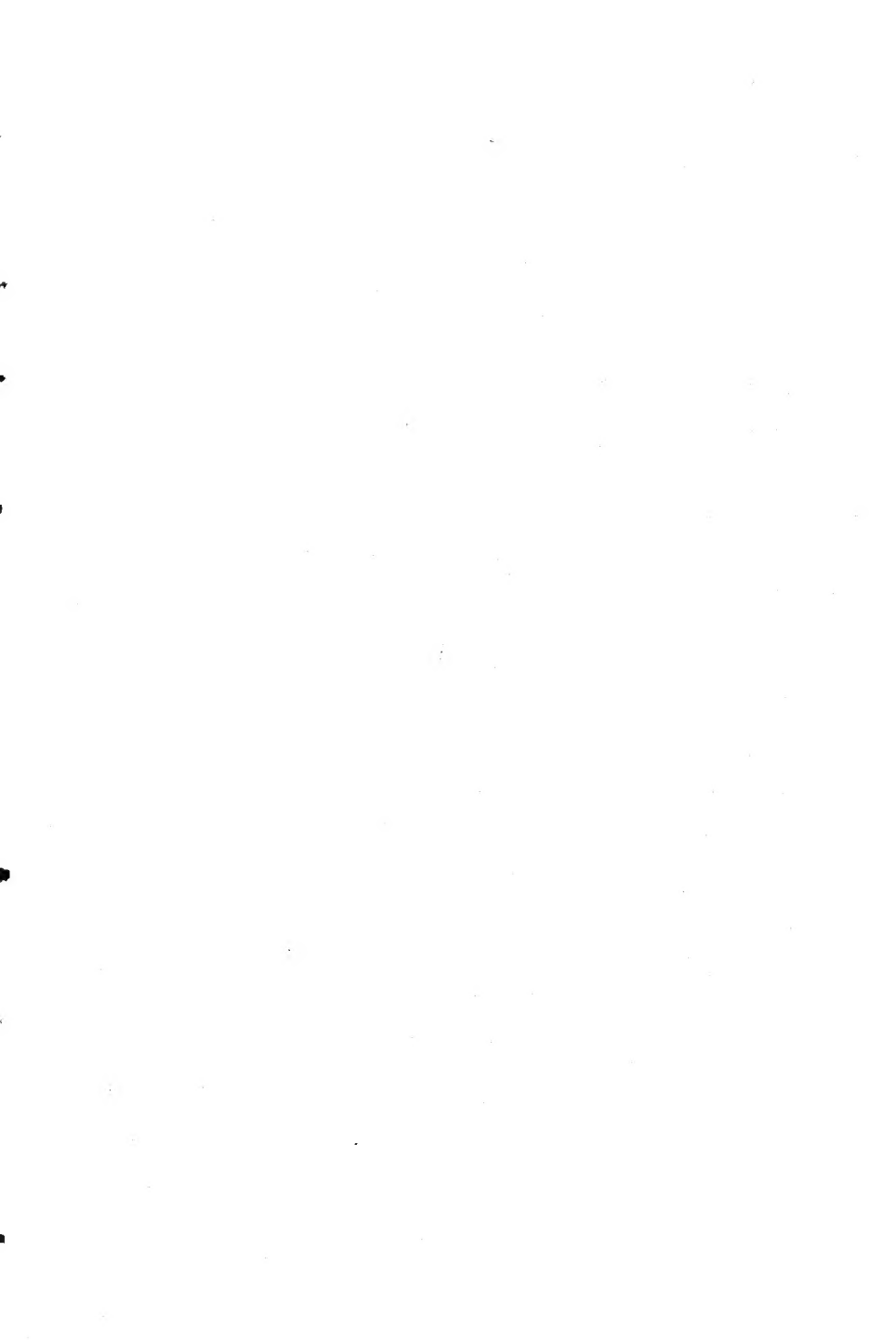
وتتوالى المرتفعات والأودية حتى تقسو على السالك الطرق
تغيب في الأفق ويتمد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهناك
وحصوناً منيعة تعنو على الغازي وتمتنع على الطارق .

هذه مصايف الجزيرة العربية في المستقبل بعد أن تمسحها
يد الإعمار وترعاها يد الإصلاح .

* * *

الباب الأول

الجغرافية



الفصل الأول

التضاريس

تمتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال ، من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً ، وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة ، يشرق بعضها وبعضها يغرب ، وليست هذه السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فراع واسعة فيها سكان ، ومنها ما هو مؤلل أصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة.

هذه السلسلة تسمى الحجاز ، ويعمل المتقدمون التسمية بأنها حجت بين الغور - وهو منخفض متصل بالبحر - وبين نجد - وهو أعالي الجزيرة المرتفعة - ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث ويطلق على هذه السلسلة أيضاً اسم الطود ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة . كما يسمى القسم الجنوبي أيضاً باسم السراة وقد يقال فيه السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراة، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم الشرة وخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة .

والسراة : سراة الفرس أعلى متنه ، جمعه سروات ، وقال الأصمعي : الطود جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره يقال : سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد . وقال قوم : الحجاز جبال تحجز بين تهامة ونجد ، يقال لأعلاها السراة ، كما يقال لظهر الدابة السراة .

وعسير جزء من هذه السروات تمتد شمال بلاد اليمن حتى سراة الحجاز ، وقد اختلفت كلمة عسير تاريخياً ومكانياً ، فإذا كان قديماً قد أطلق اسم جرّش على المنطقة التي تسمى اليوم عسير فإنها قد حملت فيما بعد اسم قبائل متحالفة أقامت في المنطقة وعرفت باسم عسير . وقد أصبح من المعروف عند الكثير ممن كتب عن بلاد عسير أن اسمها مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها لأن هذا الاقليم يضم جبالات شامخة الذرا مترامية الأطراف تتخللها أودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآتي . وإذا كان هذا الاسم فيما مضى يشمل منطقة صغيرة نسبياً حيث منازل تلك القبائل المتحالفة إلا أنه توسع اليوم وشمل البقاع التي وصل إليها حكام تلك البلاد أثناء توسعهم وامتداد نفوذهم .

يقول أمين الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » :

(في شبه الجزيرة جبال غير أجأ وسلمى ، وغير جبال اليمن وعمان تستحق أن تنعت بالزمردية . هناك جبال عسير

وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الأشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الغنية بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي أروع من مناظر اليمن ، وهي أحسن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة) .

وعسير اليوم هي المقاطعة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية تمتد على مساحة واسعة وتضم أجزاء من تهامة وأقساماً من جبال السراة وسفوحها الشرقية .

١ - تهامة : وهي منطقة السهول الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر حتى السروات وتضيّق هذه المنطقة في الشمال حتى تكاد تنعدم تماماً وتصبح الجبال محاذية لساحل البحر الأحمر مباشرة ، ولذا فإن منطقة تهامة في الحقيقة تبدأ من جنوب جدة . ويزداد اتساع منطقة تهامة كلما اتجهنا جنوباً نحو جيزان وتصبح تهامة عسير أكثر اتساعاً وتتواجد فيها أراضٍ زراعية كبيرة على جوانب أوديتها إذ تمتاز بوجود طبقة طينية على سطحها في الجزء القريب جداً من الجبال وكذلك تمتاز بتواجد الطمي في الجزء الذي يليه قبل منطقة الساحل والتي تكون تربتها رملية . ونظراً لكون أراضي منطقة تهامة رسوية منقولة بواسطة مياه الأودية الآتية من الجبال فإن تربتها تتدرج بشكل واضح من المرتفعات إلى ساحل البحر بحيث تتميز بالآتي :

آ - تتواجد الأراضي الحجرية بالقرب من الجبال .
ب - تتواجد أراضي الطمي على جوانب مجاري الأودية
وتعرف باسم « الحزون » وفيها بعض الحرار والغياض وهي
غنية بالمراعي وفيها بعض الجبال من غير السروات .

ح - تتواجد الأراضي الرملية كلما اقتربنا من الساحل
حيث توجد سبخات ساحلية يصل عرضها أحياناً إلى ٤ كيلو
مترات ، وفي القسم الشمالي منها حرار بين ميناءي الشقيق
والقمحة .

د - تتواجد الأراضي الملحية بجوار الشواطئ .
وشواطئ تهامة قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن
وبخاصة الكبيرة منها لكثرة الجزر الصغيرة التي تكثر في البحر
الأحمر ومنها المرجانية . وتمتد شواطئ تهامة عسير بطول أكثر
من ٣٠٠ كيل ، ويتبعها ما يقرب من مائة جزيرة غير مسكونة
ما عدا أكبر تلك الجزر ، وأشهرها جزيرة فرسان ، وتوجد
بقرب تلك الجزر مغاصات اللؤلؤ .

ولعله من المفيد أن نتحدث شيئاً عن جزيرة فرسان التي
تبعد عن جيزان مسافة ستين ميلاً بحرياً ، وهي جزيرة صخرية
يصل طولها إلى مائة كيلو متر وعرضها إلى الثلاثين . ويزيد عدد
سكانها على خمسة آلاف نسمة ، وتشتمل على بلدة فرسان
قاعدة الجزيرة ، ويتبعها عدد من القرى منها : قرية المحرق وهي
واحة فيها أشجار النخيل ويزيد عددها على ستمائة وألف نخلة .

وقرية القِصار وهي واحة موفورة المياه العذبة ، ويمتج
ماؤها من آبار صخرية قريبة الجور قليلة العمق ، وتعتبر مكاناً
لنزهة أهل فرسان ، وفيها من أشجار النخيل ما يزيد على تسعة
آلاف نخلة .

ويزيد عدد قراها على العشر وعدد موانئها على الستة
وأشهر الموانئ مرسى تبّنة وموقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة
فرسان .

ويتبع جزيرة فرسان الجزر الآتية :

جزيرة السقيد : وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة
فرسان ، وتقع إلى الشمال الشرقي منها ، بينهما شريط مائي
قليل العمق تخوضه الجمال ولا يزيد عرضه على كيلو متر
واحد ، وغالب تربتها رملية ، وتتوفر فيها المياه العذبة ، وتحمل
قاعدتها الاسم نفسه « السقيد » وفيها من النخيل ما يقرب من
اثنى عشرة ألف نخلة .

جزيرة زفاف : ويبدو أنها تحوي على النفط في طبقات
أرضها .

جزيرة قمّاح : وفيها قرية أهلة بالسكان فيها عدد من
أشجار النخيل .

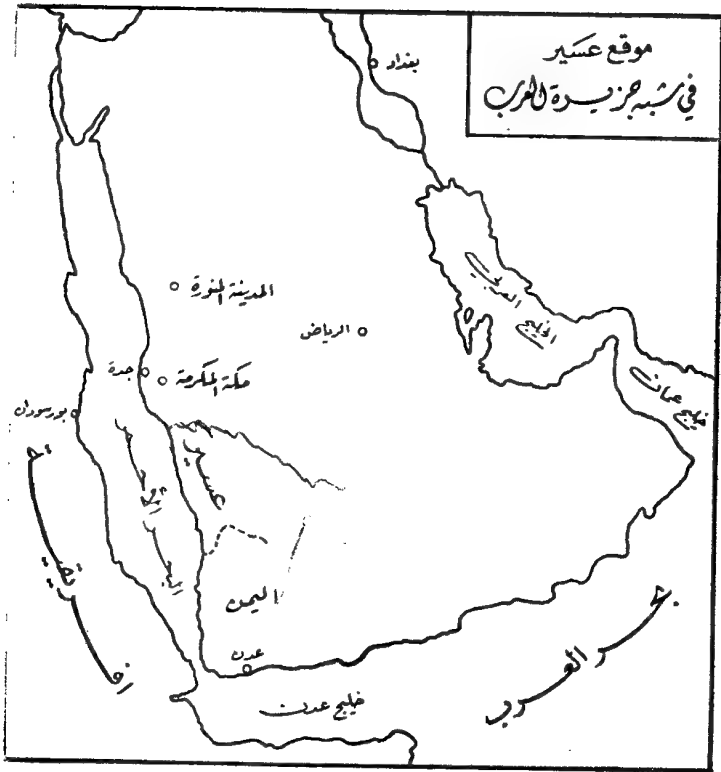
وسكان جزر فرسان من تغلب وكانوا قد تنصروا في القديم ،

ولهم كنائس في الجزر ، ولكنها قد خربت جميعها بزوال الدين
النصراني منها ، وهم أهل بأس وشجاعة • ويحملون التجارة إلى
بلاد الحبشة في العام مرة واحدة • ويدعي بعضهم أن سكان
فرسان ينتسبون إلى حمير • وفي الجزر جبل يقال له جبل
الكنيسة يقال إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب •

٢ - السراة : وهي جبال مرتفعة يزيد علوها على
٣٠٠٠ م ، ويصل في جبل السود شمال مدينة أبها إلى ٣١٣٠ م
وهي جزء من الدرع العربي ذي الصخور البلورية والتي لا تحوي
على مياه جوفية مختزنة فيها لأنها غير منفذة لا يتسرب الماء إليها ،
ولذلك تقل فيها الينابيع ، وإن وجد بعضها فانما بسبب تفتت
بعض صخور الغرانيت التي حوت بعض الماء أو في رواسب
الأودية والمنخفضات وكلاهما قليل • وهذه الجبال جزء من
السروات التي كانت وجبال إفريقية على الشاطئ الثاني للبحر
الأحمر والتي تمتد من مصر وحتى الصومال كتلة واحدة أصابتها
عدة انكسارات ارتفعت نتيجتها الجبال على جانبي الغور الذي
ملأته المياه وعرف باسم البحر الأحمر ، وكانت المرتفعات على
شكل مدرجات لتوالي الانكسارات التي خضعت لها المنطقة
ولذا فالجبال تميل بشدة نحو البحر في الغرب بينما تتجدر ببطء
نحو الهضبة الداخلية في الشرق ، ويكون انحدارها العام نحو
الشمال الشرقي •

وتعتبر هذه الجبال موزعة للمياه بين تهامة في الغرب وأودية
أخرى تسير نحو الشمال الشرقي أو إلى الشرق ، ولا نجد في
المنطقة الأودية الطولية التي نراها في الحجاز لعدم وجود انكسارات
في هذا الاتجاه تجري فيها الأودية •





الفصل الثاني

المناخ

المناخ : يختلف المناخ بين تهامة والسراة نتيجة الاختلاف في الارتفاع إذ تكون الحرارة مرتفعة في منطقة السهول صيفاً ويبلغ معدلها ٤٤ درجة مئوية ، وتكون هذه الحرارة مقرونة بالرطوبة مما يجعل تحملها صعباً ويشعر المرء بكثير من الضيق إذ يتسبب العرق منه باستمرار ، وكذا تتراوح نسبة الرطوبة بين ٨٥ - ٩٠٪ ، أما في الشتاء فلا تنخفض درجة الحرارة عن ١٧ درجة مئوية . وتكون الرطوبة بين ٣٠ - ٥٠٪ .

أما المناطق الجبلية فالحرارة تكون معتدلة فلا تزيد عن ٢٨ درجة مئوية في الصيف ، وتنخفض إلى ٣ درجات في الشتاء ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد رغم الارتفاع الكبير إلا أن الرطوبة تجعل البرد غير قارس كما هو الحال في المناطق الصحراوية التي تمتد إلى الشرق منها .

وتهب على عسير في الصيف الرياح الموسمية سواء الغربية منها أم الجنوبية الغربية فالأولى تصل إلى المنطقة من المحيط الأطلسي وتسبب سقوط الأمطار فوق هضبة الجبشة وعندما

تجتازها تمر فوق مناطق منخفضة ثم فوق البحر الأحمر فتحمل معها بعض الرطوبة فعندما تصطدم بجبال عسير تسبب هطول المطر بينما لا تسبب تهطالاً فوق تهامة لحرارة المنطقة فتقل معها الرطوبة النسبية ولكنها تسبب العواصف الرملية ولذا تعرف هناك باسم الغبرة وغالباً ما تكون في نهاية الصيف وبعد الزوال حتى غروب الشمس • أما الرياح الجنوبية الغربية فتأتي من المحيط الهندي وتكون في أوائل الصيف وتشير البحر الأحمر وتهيج فترتفع الأمواج فيه ، ولا تسقط إلا أمطاراً قليلة لأنها تقع في ظل القرن الافريقي كما أن جبال اليمن تكون قد أفقدتها أكثر حمولتها ، ولا ينال تهامة منها شيئاً •

كما قد تصل آثار البحر الأبيض المتوسط إلى المنطقة وتسبب سقوط بعض الأمطار الشتوية • أما البحر الأحمر فأثره ضعيف جداً لضيقه وانخفاضه وانحصاره بين المرتفعات ، وينحصر أثره في زيادة رطوبة المنطقة وشحن بعض الرياح المارة فوقه ببعضها •

نجد أن الأمطار تقل في تهامة ويتراوح معدلها بين ٥٠ — ٢٥٠ مم سنوياً وتزداد في المرتفعات ويتراوح متوسطها بين ٢٥٠ — ٥٠٠ مم في العام ثم تعود إلى التناقص في الشرق إذ ما نصل إلى نهاية منطقة عسير إلا وتكون الأمطار قد نقصت عن ٥٠ مم في العام وتكون قد وصلنا إلى الصحراء •

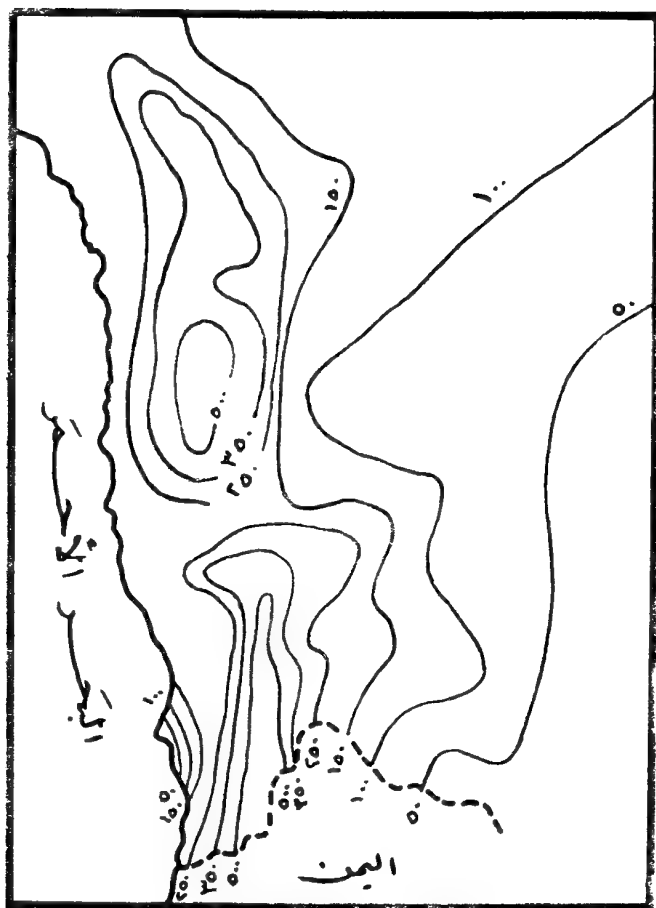
ولكن هذه الأمطار تتوزع على أشهر السنة كافة مما يجعل

الخضرة دائمة في المنطقة وإن كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية التي تكلمنا عنها ففي مدينة أبها يكون معدل الأمطار خلال أشهر السنة على الشكل التالي :

كانون الثاني ٣٠ مم	آب ٨٠ مم
شباط ٥٠ مم	ايلول ٦٠ مم
آذار ٣٠ مم	تشرين أول ٦٠ مم
نيسان ٥٠ مم	تشرين ثاني ٨٠ مم
أيار ٤٠ مم	كانون أول ٤٠ مم
حزيران ٦٠ مم	
تموز ١٠٠ مم	

ولما كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف لذا نستطيع أن نقول إن موسم الأودية الرئيسي إنما هو نهاية الصيف حيث تنعقد الغيوم وتهطل الأمطار وتجري السيول .

وإن قسماً من مياه السيول يذهب بالتبخر لشدة الحرارة وبخاصة في تهامة بينما لا يضيع إلا القليل منها في التسرب إلى باطن الأرض بسبب صخور المنطقة الصلدة والتي لا تسمح للماء بالتسرب داخلها إذ أنها بلورية وغير منفذة .



مصور يوضح معدل الأمطار السنوي في
منطقة عسير

الفصل الثالث

الأودية والمياه

الأودية : نستطيع أن نقسم الأودية في عسير إلى قسمين:

١ - **أودية تهامة :** وهي أودية قصيرة المجرى تنحدر بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر، وتتلقى المياه من الأمطار المتساقطة على جبال السراة حيث تتجمع في شعاب تجتمع مياهها في وادٍ كبير ، وقد تختلط مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريباً من شاطئ البحر . ويزيد عدد هذه الأودية على الثلاثين وادياً ولنذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال .

وادي حرص : وادٍ قصير ، يتلقى المياه من السفوح الغربية لسراة اليمن ، ويسمى باسم بلدة حرص اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى . وقد قال ياقوت الحموي : حرص ، بفتحين ، وهو في اللغة الذي أذابه الحزن : وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، نزله حرص بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به ، وهو اليوم بين خولان وهدان^(١) . وقال الهمداني :

(١) - معجم البلدان .

حرض : وهو وسط من الأودية وله فرعان : فالجنوبي منها من الشقيقة وما اكتنف المحجة ومنها إلى حرض من بلد عذَر وبلد حجور إلى المباح فالمرير ، والشمالى منها ثقل مطرق وما اكتنف المسيل منه من بلد عذَر وبلد بني شهاب بن العاقل إلى معين الحنش حتى يلتقي بالفرع الثاني بالسرين فيقحمان كلاهما اللصاب^(١) وهو أعلى وادي حرض ويمده الشعاب يمنة من بلد خولان ويسرة من بلد همدان ، ويصب إلى السقيفتين ، ويسقي ما أخذ هذه البلاد إلى البحر^(٢) .

وادي عشر : ويتلقى المياه من سفوح جبل أبو منار الغربية وتأنيه ثمانية أودية كلها من مسيرته وهي : امغاوية ثم الملح الذي تجتمع إليه بقية الشعاب وهي : بومغيرة - بوقعبول - بوحسين - مشطوب - بومنوره - بو معجانة • ويعرف في أعلاه باسم وادي وعلان • أما عن اليمين فيتلقى مياه الأودية والشعاب المنسابة من جبال الرميح وقرن قبول وجبل جحفان وأهم الأودية هي : القصب - اذحوص - لية - بوثميرة - مغاله - دياب - بمعرج - امقماري - بومنورة - بوحشيش • ويقدر ما يحمل هذا الوادي الكبير - وادي عشر - ب ٤٥ ألف متر مكعب من الماء في العام •

(١) اللصاب : الخانق .

(٢) صفة الجزيرة العربية ص ١٢٥ منشورات دار اليمامة .

وادي خلب : ويمد رأسه حتى بلاد اليمن ، ويكون طويل
المجرى ، وتأتي روافده من سرة خولان ، وأشهر روافده دهوان
— شرانة — مجاره — ذهبان . ويقدر ما يحمله من الماء سنوياً
كسابقه وادي عشر وهو ٤٥ ألف متر مكعب ويأتي مثلها من
روافده . ويتسع مجراه عند مصبه كثيراً حتى تضيق مياهه في
رماله . وتقع على واديه القرى التالية : أم شطيفية وجحا وسوق
الأحد وأم عرج وكوبا . ويصب جنوبي جبل المقعد .

وادي الخمس : وتجتمع إليه مياه أودية الفجا والربّاح
والكور والمعائن والأملح ومقاب ، وهو يعادل الأودية السابقة
من حيث حمولته ، وأكثر الأودية تنحدر من جبل القمر الذي
يبلغ ارتفاعه ٧٠٥ م وجبل الطرف الذي يعلو ٥٤١ م .

ومن القرى الواقعة في حوضه : المضاي جنوبي شرقي جازان
وقاعدة بلاد الحكامية . والجوراني على العدو اليمنى من وادي
الخمس وهي من قرى المسارحة .

وادي جازان : ومآتيه من غيلان جبل بني رازح بن غيلان
وأشراف رُغافة بلد عامر في أرض بني جماعة ، ومساقط عنم .
وتقترب رؤوس أوديته العليا من شعاب وادي خلب العليا ، ومن
الأودية التي تدفع مياهها نحو : أبو الجرع ومسيال وعوجبة
ومشرف وقصبة .

ومن قراه سلامة وعقدة والقعارية والمجصص والواصلية .

وقد أقيم عليه سد لحجز المياه من أجل الري • وإن لم يكن هو أكبر وادٍ في تهامة إلا أنه من الأودية التي يمكن الاستفادة منها كما أنه يعادل بقية الأودية الكبيرة ويصرف ٤٥ ألف م^٣ من الماء كل عام •

وادي ضمد : ويتلقى من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشراف رغافة كوادي جازان وتأتيه مياه وادي جورا وكلاهما تنحدر إليهما سيول جبل فيفا وجبال بني مالك وجبال الحشر •

ومن القرى التي تقع في حوضه البواسط وتقع على عدوته الجنوبية •

وادي صبيا : وتأتيه مياه وادي قصي من جهة اليسار كما يرفده من جهة اليمين وادي نخلان الذي يجري بين العكوة الشامية من جهة اليمين والعكوة اليمانية من جهة اليسار والعكوتان جلان •

ومن المدن الهامة صبيا التي يحمل الوادي اسمها ، وظيفية التي تقع إلى الجنوب منها •

وادي بيش : وهو أكبر أودية تهامة عسير ، ويشكل نصف دائرة إذ تبدأ شعابه الأولى من جبال الحشر وجبال بني مالك وجبال السراة كوادي الدفاع ووادي الضبعة ووادي القاعة وتتجه نحو الشمال الغربي ثم يأتيه وادي العوراء ووادي راكان

ويتجه عندها وادي بيش نحو الجنوب الغربي فتأتيه الروافد
عن يسراه وادي عكاش وقرى وغوان وشهدان ووساع ويتجه
نحو البحر ليصب شمال وادي صبيا وعلى مقربة منه •

ويقدر ما يصرفه من المياه خلال العام ١٥٥ ألف متر مكعب •
وتكثر القرى في مجراه الأسفل أبو الطيور وقلبية والجارية
والقشة وبيش • ويقول ياقوت الحموي : بيش : بالشين المعجمة:
من مخاليف اليمن ، فيه عدة معادن ، وهو وادٍ فيه مدينة يقال
لها أبو تراب ، سميت بذلك لكثرة الرياح والسواقي فيها ، وهي
ملك للشرفاء بني سليمان الحسينيين •

وادي السر : وهو واد صغير •

وادي بيض : ويرفده من جهة اليسار وادي جوان ثم وادي
سمرة •

وادي رملان : ويوازي وادي بيض •

وادي عتود (١) : وهو من الأودية الكبيرة مثل جازان
وتعشر ، وتأتي مياهه من السراة إذ يرفده من جهة اليمن وادي

(١) يوجد واديان يحملان هذا الاسم أحدهما يتجه نحو
الشمال الشرقي حيث يرفد وادي بيشة ، والآخر هذا الذي
نتكلم عنه ويجري في تهامة ويصب في البحر الأحمر ، ولا يفصل
بين الواديين سوى منطقة صغيرة تقع فيها قرى العضاضة وآل
يزيد وتعتبر منطقة تقسيم المياه بين السيلين •

ضلع الذي يمتد برأسه حتى قريباً من مدينة أبها ثم تأتيه مياه وادي مرابا المجتمعة من أودية الفينة وحرملة ومرابا وكلها أودية تقترب في مجاريها العليا من وادي خبيبي الذي هو أصل وادي أبها حتى لا يفصلها عن بعضها بعضاً سوى العقبات • وتقع عليه بلدة الدرب •

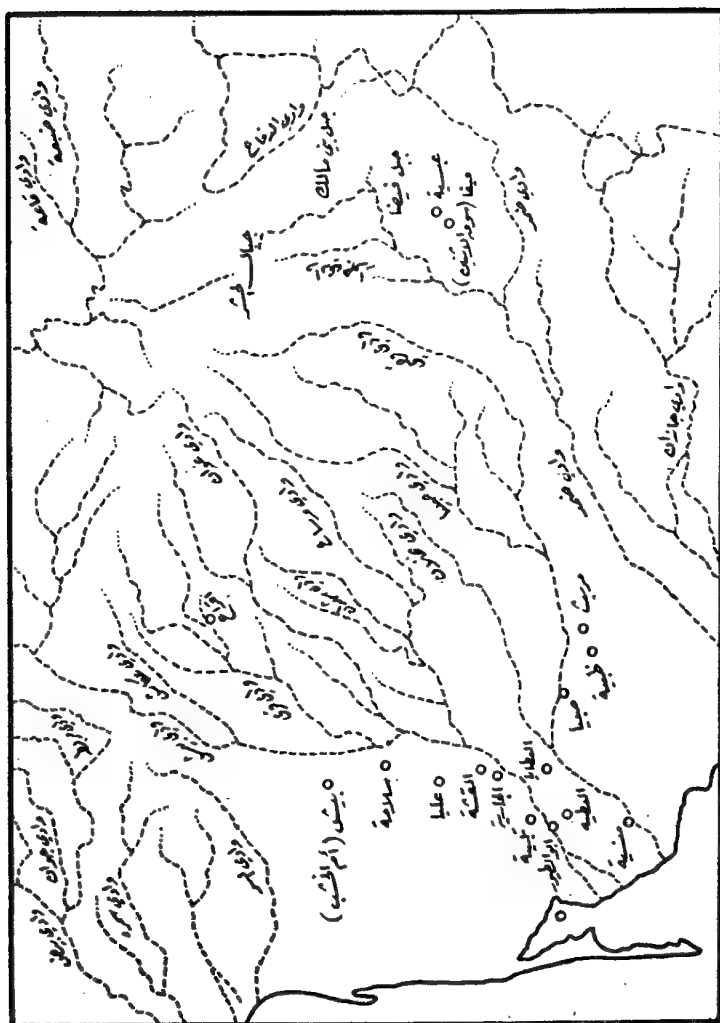
وادي ريم : وهو طويل المجرى أيضاً تأتي مياهه من السراة ومن غربي السوداء وقريباً من مجرى وادي حلي الأعلى •

وادي عرمم : وهو واد صغير •

وادي حلي : وتأتي مياهه من جبال السراة من السفوح الغربية لجبل السوداء ، ويتجه نحو الشمال الغربي فيرفده وادي قض الذي يتغذى أيضاً من جبل السوداء ، ثم يرفده وادي تيه من جهة اليمين أيضاً • وتقع في واديه رجال ألمع ومحاليل البحر وحلي •

ب - أودية السراة : وهي أودية أكثر طولاً وتتجه نحو الشمال الشرقي حسب الميل العام للمنطقة ويتجه بعضها نحو الشرق ، وجميعها تغيض مياهها في الرمال ، وأهمها :

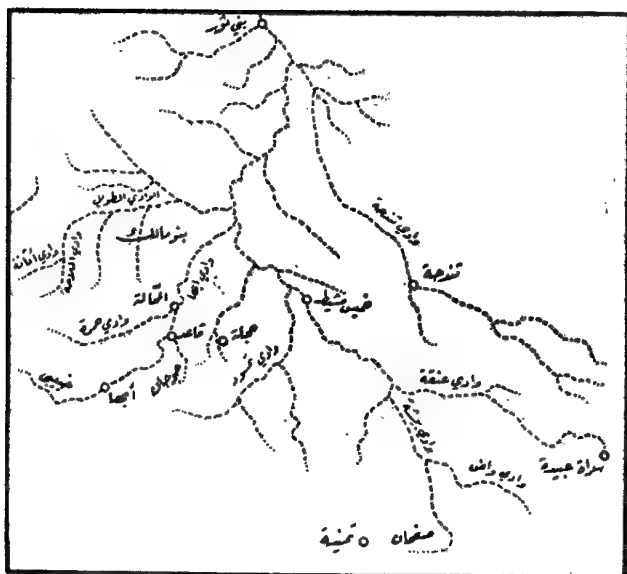
وادي بيشة : وهو أهم الأودية ، وأكثرها طولاً ، وأغناها روافداً ، يبدأ من شرق تمنية ويعرف هناك باسم صفحات ، ويكون اتجاهه نحو الشرق ثم ينحرف نحو الشمال ويعرف باسم وادي المربع ويأتيه من اليمين وادي واض ويعرف بعدها باسم بيشة



مصور يوضح اودية تهامة عسير الوسطى

ويستمر في اتجاهه نحو الشمال حيث يرفده من جهة اليمين أيضاً وادي عنقة الذي يأتي من سرة عبدة ويكون مجراه هذا في بلاد قحطان ، ويدخل بعدها بلاد شهران حيث تقوم عليه مدينة خميس مشيط وبعدها يرفده من جهة اليسار وادي عتود الذي تجتمع إليه المياه المتساقطة على المنطقة الواقعة بين أبها وبلاد قحطان . ثم تأتيه مياه نهر حجلة عن اليسار أيضاً كما تأتيه سيول أخرى من اليمين ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يرفده وادي أبها وهو وادٍ طويل يأتي من السودة ويعرف هناك باسم خبيبي وعندما يصل مدينة أبها يعرف باسمها ويرفده وادي جوحان من اليمين عند قاعد كما يأتيه وادي حمرة من اليسار ويرفده عند بلدة المحالة ويتابع مجراه نحو الشمال حيث يجتمع بوادي بيشة الذي يحتفظ الوادي باسمه ثم تأتيه مياه الوادي الطويل الذي تجتمع فيه مياه وادي أناة ووادي ملاحه ويتلقيان المياه من جبل السودة وجبل تهمل ، وكذا أودية بني مالك التي تأخذ المياه من جبل تهمل وكذا وادي عبل ، كما يتلقى وادي بيشة سيولاً عديدة عن اليمين وعن الشمال . ومن أشهر الأودية التي تأتيه عن اليمين وادي تنوحة الذي يمد رأسه نحو الجنوب حتى قريباً من سرة عبدة وتأتيه سيول كثيرة ثم يرفد وادي بيشة جنوب شرقي بني ثور ، كما تصل وادي بيشة سيول من اليسار . ويتابع مجراه بعد بلدة بني ثور وهنا تأتيه أكثر الروافد من جهة اليسار بسبب ميل المنطقة العام إذ أن السيول التي تجري على

يمناه تتجه نحو وادي تثلث ، فتصب فيه مياه بلاد بالأسمر وبالأحمر وبالقرن ، وأهمها : وادي ترّج الذي يجمع مياه عدة سيول ويصب في وادي بيشة عند الحيفة • ووادي هرجاب وهو من الأودية العظيمة في بلاد شهران ، ويرفد وادي بيشة قرب الحيفة أيضاً • واعتاراً من واعر قبل الحيفة بقليل يدخل بيشة



مصور مجرى وادي ييشة الأعلى

مجراه الأسفل وعندها تقوم مزارع النخيل في مجراه بينما من قبل يكون مرتفعاً ولا يصلح لزراعة النخيل وإنما لزراعة القمح ومجراه الأعلى يعرف الشعف بينما الأسفل يسمى بالسعف لقيام

زراعة النخيل • ثم يرفده عند الصبحي وادي تبالة الذي يتلقى المياه من بلاد غامد ويعرف في مجراه الأسفل باسم الشنية • وبعد ذلك يمر الوادي من بيشة ويتابع اتجاهه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي مع وادي رينة ويفضان معاً في الرمال باتجاه وادي الدواسر •

يبلغ طول وادي بيشة ما يزيد عن ٣٥٠ كم من بدايته وحتى بعد الجنية بقليل ولكن يستمر بعدها ما يقرب من ١٠٠ كم في الرمال •

وادي تثليث : وهو يصفي الأمطار التي تتجه إلى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان ، كما أنه منتهى عدة أودية مهمة تصفي قسماً من بلاد قبيلة شهران ، ويتجه نحو الشمال الشرقي ، وينتهي عند الرمال المعروفة باسم المختمية بقرب وادي الدواسر ، وإذا جرت فيضانات كثيرة يمكن أن يتجاوز السد الرملي ويصل إلى وادي الدواسر كما حدث عام ١٣٣٦ هـ وقد أغرق آنذاك عدة قرى •

يمتد وادي حمضة نحو الجنوب أكثر من غيره من الأودية التي تشكل وادي تثليث ويرفده من اليسار وادي العرين ثم وادي طرب ثم وادي المسيرق الذي يتألف من ثلاثة أودية كبيرة وهي الشيق والسليل وخير وتلتقي في حفاير الثفن مع وادي تثليث ، ثم يرفده وادي القاعة • ومجرى الوادي تملكه قحطان ما عدا وادي المسيرق والقاعة فإنهما ملك شهران •



مصور وادي بيشة
في مجراه الأوسط والأسفل

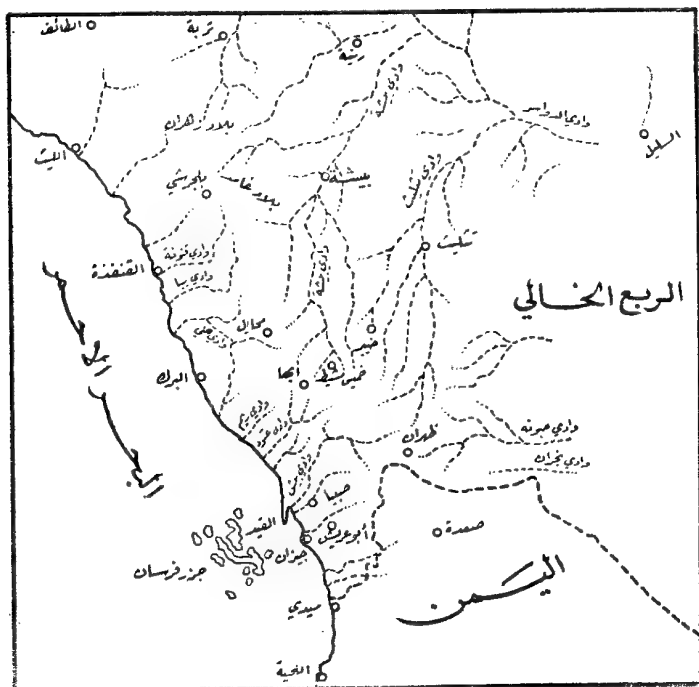
أما الأودية التي تتجه من السراة إلى الشرق فهي : وادي
حبونه ووادي نجران •

المياه المعدنية : توجد في تهامة بعض المياه المعدنية
بسبب أن المنطقة انكسارية ، والمياه المعدنية ليست سوى مياه
دخلت إلى باطن الأرض خلال صدوع وارتفعت حرارتها كما
حللت بعض المعادن الموجودة في التربة وبخاصة المواد الكبريتية
لسهولة انحلالها ثم انبثقت هذه المياه مرة أخرى بسبب ضغط
اللبخة الناتجة عن الحرارة الأرضية • وتندفع البراكين في المناطق
الانكسارية ويكون في شقوقها من المياه المعدنية كما يكون في
الانكسارات ، وإن كانت الانكسارات سبب وجود البراكين إلا
أن المياه المعدنية قد تكون في مناطق انكسارية كما قد تكون في
مناطق بركانية ومن أشهر هذه العيون في تهامة عسير :

العين الحارة : جنوب شرقي جيزان وعلى مسافة ٥٠ كم منها
بين الأودية العليا التي تكون وادي خلب ، وتظهر أبخرتها من بعيد
على شكل دخان أبيض وتنبجس منها صخور بركانية ، وتنساب
مياها لتصب في وادي خلب • ومياها حارة لدرجة لا يتحملها
جسم الإنسان •

الوغة : وتقع شرق العين الحارة بمسافة خمسة كيلو
مترات ومياها حارة أيضاً كسابقتها •

البزة : وتقع شرق جيزان بمسافة ٥٣ كم وقرية من مجرى
وادي جازان ، ومياها حارة وتنساب بين بساتين النخيل لتصب
في الوادي •



مصور يوضح أودية عسير

البزة : على اسم سابققتها وتقع شمال شرقي جيزان على مسافة ٥٠ كم أيضاً وتصب مياهها القليلة الحرارة في شهدان الذي يرفد وادي بيش •

وغرة بني مالك : بين جبال فيفا وجبال بني مالك قريباً من الحدود اليمنية ، وترفد مياهها وادي ضمد ، ويقصدها الناس سواء من اليمن أم من سكان تهامة ، وقد بني عليها حوضان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وهي تبعد عن جيزان مسافة ١٦٠ كم •

الفصل الرابع

النّبات والحيوان

النبات الطبيعي : يقول الهمداني عن نبات عسير « بين روض وشجر عرى^(١) وعضاء مطعمة وعضاء شوكة وحشائش وزهور وأنوار ، فأما الحشائش ففيها أكثر حشائش العقّار ولكن أهلها البدوية لا يعرفونها وإنما يعرفها الحكيم من الناس من أهل صناعة الطب ، وكل جنس من هذه الضروب لا تحصر فنونه غير أن العرب قد تميل إلى أسماء الرجال وإلى أسماء العضاء الشائكية والمرتعية لما فيها من الخشونة والحدة والصلابة والصبر على قلة المياه وعدم الري فمن أسمائهم طلحة وسمرة وعوسجة وعرفطة وقتادة وعلقمة وحدقة وشبرمة وطرفة و...»^(٢)

« ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاتها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يتخذون أسلحتهم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشربهم ورحالهم وسقوف بيوتهم ، ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون قربهم وأنحاءهم ، ومن

(١) شجر عرى : ينبت من تلقاء ذاته وهو النبات الطبيعي .

(٢) صفة الجزيرة العربية ص ٢٧٦ .

نباتاتها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم أو سماً لقتل أعدائهم من
الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة (١) » .

كما ويستفاد من النباتات لحفظ التربة من الانجراف عند
سقوط الأمطار . والنباتات كثيرة منها ما هو أشجار عالية ومنها
ما هو حشائش فصلية منها ما ينبت في الجبال والأماكن المرتفعة
ومنها ما ينمو في الأودية والبقاع المنخفضة ، وأهمها :

الطلح : من أنواع الأكاسيا ، ويوجد في المناطق المنخفضة
وينمو حتى ارتفاع ١٧٠٠ م كما يوجد في الأودية ، ويقطع في
فصل الخريف وهو قوي فاذا أتى عليه الشتاء فرغ له وانتخر
ولم يعد صالحاً لما هو له من سقوف البيوت وغيرها .

العرعر : وأوراقه دائمة الخضرة ، وله ثمر صغير كالحمص
ولكن لا يستفاد منه ، وإنما يستفاد من جذوعه كأخشاب قوية ،
وهو نبات كبير ، وهو كثير بالسراة .

الزيتون البري : ويسمونه العثم وهو يكثر في أبها وبلاد
بالقرن .

الإسحل : وهو من النباتات الصحراوية ، ويشبه الأثل ،
وينمو في السهول .

(١) سراة غامد وزهران لـ حمد الجاسر ص ٣٧٢ عن التكملة
الصاغاني .

الإلب : وهي شجرة شائكة كأنها الأترج ومنابتها ذرا
الجبال .

الشعب : شجرة ظلها كثيف ، لاثمر لها ، وتنبت في المرتفعات .
الجوز : شجر عالٍ كثير الأغصان وأوراقه عريضة وثماره
معروفة .

السوجر : وهو نبات الصفصاف ويكثر في الأودية .
الرقعة : وهو شجر كبير يشبه الجوز .
السرو : ينبت في الجبال حيث يتحمل البرد وأوراقه أبرية
وتتخذ منه القسي .

السدر : وهو شجر النبق وأوراقه عريضة ، يرتفع إلى
عشرة أمتار ، وهو كثير الظل ، يكثر في بطون الأودية وبخاصة
في السفوح الشرقية .

السمر : نباتات صحراوية ترتفع إلى مترين ونصف المتر ،
وأخشابها جيدة للوقود .

الضرو : نبات ضخيم ، يستعمل في أعمال النجارة ، وكان
يستفاد منه في صنع الآنية المنزلية .

اللبخ : من أشجار الجبال .

النبع : من أشجار الجبال أيضاً .

ومن الحشائش والنباتات القصيرة :

البشام : عطر الرائحة ، طيب الطعم ، يستاك بقضبه ،

وإذا قطع خرج منه سائل أبيض ، ويدق ورقه ويخلط بالحناء ،
يسود الشعر •

الحَدَق : له ثمرة تشبه المشمش تستعمل في الدباغة
ويرتفع بقدر نصف متر •

الحرمل : نبات صحراوي ، ينمو بالقرب من الماء ، ويصل
ارتفاعه إلى نصف متر •

الخزام : له ثمرة تأكلها الغربان، وتآلف نبتته أسراب النحل •
الخطر : يستعمل لتخصيب الشعر ، وقد يمزج مع الحناء •
الرتم : حشائش ترعاها الأغنام •

المرار : شوك صغير كالعصف •
القرظ : يستعمل للدباغة ، وترعى الأغنام والماعز أوراقه،
ويصل ارتفاعه ٢ - ٣ م ، ويستعمل للوقود •

العرفج : نبات مر المذاق يصل ارتفاعه إلى ٣٠ سم وسيقانه
رفيعة •

العُثْرَب : ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق
الزراعية ، وترعاه الإبل •

الطرف : نبات قصير يستعمل لحشو الوسائد والمساند •
الضرم : نبات يصل ارتفاعه إلى المتر ، طيب الرائحة ،
تأكله الأغنام ، وتعافه الإبل ، وله ثمرة يشبه ثمرة البلوط •
الشذا : ينبت بالسراة وتتخذ منه المساويك •

الزقوم : يرتفع إلى ٦٠ سم ، وأوراقه صغيرة ، مر المذاق
وفيه أشواك تعلق بأصواف الأغنام أثناء مرورها فوقه كما تلتصق
بشباب الانسان .

الزوان : نبات يشبه نبات القمح ويعرف في بلاد الشام
باسم « زيوان » .

الشوحط : نبات يصل ارتفاعه إلى متر واحد ويوضع فوق
أخشاب السقوف ، بينها وبين الطين .

الحيوان : كانت الحيوانات قديماً أكثر منها الآن إذ أن
كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ كل
ذلك أدى إلى قلة الحيوانات وانعدام بعضها ، فقد كانت الأسود
تكثر في المنطقة وتشتهر أسود وادي بيش وأسود وادي عتود، أما
الآن فقد انقرضت وإن كان السكان يتحدثون عن وجود بعضها .
وتوجد الضباع والذئاب والنمور في المناطق القليلة السكان .
وكذلك قلت الطباء والوعول ، وتوجد الأرناب والنيص ومن
الزواحف تكثر الأفاعي والحرباء .

الباب الثاني

الشَّكَاةُ

الفصل الأول

نسب الشُّكَّان

سكنت لسراة منذ القديم ، وكان من قاطنيها من باد
واندرست آثاره ، وكان منهم من جلا عنها وارتحل منها ، وكان
منهم من انصهر مع من غلبهم على بلادهم . فقد قيل : إن العمالقة
قد عمروها حتى انقضوا منها ، كما قيل : إن الانباط قد انطلقوا
منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام ، وقيل إن بني ثابر قد عاشوا
فيها حتى جاءتهم الأزد وقد تفرقت في الأرض بعد خراب سد
مأرب فحطت رحال بعضهم فيها ، وغلبوا قاطنيها ، فأقاموا فيها ،
وانتسب المغلوب للغالب ، ونسب أهلها الجُدد إليها تمييزاً لهم
عن بقية إخوانهم وتعريفاً لهم بمقامهم فيقال : أزد السراة كما
يقال أزد عثمان ، لأنها كانت قبيلة كبيرة لا يسع أفرادها مكان
واحد ، ولا يكفي حيواناتها مرعى واحد . وكانت بطونها قد
خرجت من مستقرها وتريد الاستيطان واختيار المكان فكان لا بد
لها من أن تقاتل أقواماً سبقتها وجماعات حلت في أماكن طيبة
وبقاع خصبة ، وانطلقت أكثر البطون تخاصم وتخاصم ، ولم
يرق لأزد السراة أن ينصروا إخوانهم في قتال خراعة فسموا

شنوءة لشنآن بينهم وتباغض وتبرؤ^(١) وعرفوا من بعدها باسم
أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن
الأزد كما أقامت معهم بعض البطون الأخرى •

وتحالفت بعض البطون مع بعضها بعضاً ومع من جاءها
مع غيرها حليفاً أو زائراً مستضيفاً أو مستجيراً رديفاً فشكلت
قبيلة واحدة فاختلطت بذلك بعض الأنساب وضاع بعضها الآخر
حتى لم يعرف إلا أنه من القبيلة الجديدة المتحالفة كقبيلة عسير
التي أعطت المنطقة اسمها •

واستقر كذلك كل بطن في مكان معين وأعطاه اسمه وصار
قبيلة خاصة فيقال : سراة غامد وسراة زهران وبلاد بالقرن وبلاد
شهران و.....

وإن اختلف في هذا النسب اليماني ، هل عسير من أسلم
ابن عمرو بن ثماله بن قرن أم تنتسب إلى أسلم أخي قرن هذا
وهما ابنا أحجن بن مالك بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن
مالك بن نصر بن الأزد ؟ كما هو مبوضح في الجدول الآتي :

(١) أزد شنوءة قبيلة سميت لشنآن بينهم والنسبة شنائي.
وشئىء له حقه أعطاء إياه وبه أقرّ أو أعطاه وتبرأ منه ، وتشانؤوا
تباغضوا « القاموس المحيط » مادة شئاً .

وهناك من المؤرخين من يعتبر عسير رجلاً ينتمي إلى
 العدنانيين فالهمداني أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوفى
 ٣٣٤ هـ يقول في الجزء الأول من كتابه « الإكليل » بعد أن ذكر
 أسماء عشائر من خولان، ولثلا تلتبس بقبائل عنز بن وائل فلنذكر
 نسب عنز بن وائل أو ولد عنز بن وائل على ما خبرني به بعض
 من يصلبهم من جنب ربيعة وإراشة ، فأولد ربيعة ربيعة ومعاوية
 وعامراً وعبد الله وعمرأ وحماراً ، فأولد ربيعة مالكا ، فأولد مالك
 حريمة وتولبا وسلمان ، فأولد عامر بن ربيعة عبد الله ووهبا
 وإياسا ، فأولد عمرو بن ربيعة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله ،
 فأولد إراشة بن عنز بن وائل عسيراً وقناناً وجندلة ، فأولد عسير
 مالكا وتيماً فأولد تيم زهيراً وسلمة ومنهم بنو شيبة وعضاضة
 وبنو اللقاح . وهكذا جاء عن النسابة هشام بن محمد بن السائب
 الكلبي مثل ماجاء عن الهمداني في رفع نسب عسير إلى عدنان^(١)
 وذلك حسب الجدول الآتي :

(١) انظر تاريخ عسير في الماضي والحاضر لمؤلفه هاشم بن
 سعيد النعمي .

وكذلك فقد روى المؤرخ حسين بن أحمد بن عبد الله الضمدي من علماء المخلاف السليماني للقرن الثاني عشر الهجري أنه عسير من عدنان ولكنه روى له نسباً غير الذي ذكره الكلبي والهمداني حيث قال : هو عسير بن عبس بن شحارة بن غالب ابن عبد الله بن عك بن عدنان وهو ينقل ذلك عن عدة علماء من علماء الأنساب منهم أبو الحسن أحمد بن محمد الأشاعري في كتابه « التعريف بالأنساب » وكما روى ذلك السيد الإمام محمد بن عبد الله المشهور بأبي غلامه في كتابه « روضة الألباب » والمملك الأشرف الغساني في كتابه المعروف « طرفة الأصحاب » وأبو عبد الله النسابة في كتابه « الموسون بالفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون » ثم هناك كتاب « جواهر التيجان في أنساب عدنان وقحطان » .

وهنا لايهمنا كثيراً انتسب عسير إلى عدنان أم قحطان ؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاته ، وغلب على الجميع اسم عسير . وإن كان كثير من الناس من يجب الانتماء للغالب ولهذا انتسبوا إلى الأزدي .

أما ما خرج عن مسمى عسير من القبائل التابعة لها فبعضهم من قحطان من بني الحجر بن الهنو بن الأزد وهم رجال الحجر أي قبائل بالأحمر وبالأسمر وبنو شهر وبنو عمرو وبلحارث وبنو مالك كما هو موضع في الجدول الوارد في الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب •

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن الحاقان بعض البحوث التاريخية عن منطقة عسير جاء فيها ما يلي :

١ - قبائل شهران بن عفرس ، وناهس بن عفرس ، وهم بلا شك من قبائل خثعم ، وقد وقع في نسبهم اختلاف كما وقع في نسب غيرهم ، فمن المؤرخين من يزعم أنهم من بني نمار بن نزار ، والذي نعتقد أنه صحيح أنهم من القبائل القحطانية ، ويدخل فيهم من القبائل العدنانية بنو مالك (أهل تمنية) وبنو شيبة (أهل المسقى والقرعاء) فإنهم من عنز - كما ذكر الهمداني - ويدخل فيهم أيضاً (العواسج) ويسمون الآن (العواشز) وهم أهل مدينة جرش وهم من (حمير) ويدخل فيهم (كود) وهم من (عنز) •

٢ - قبائل جنب بن سعد وهم شريف وسنحان • ومنهم (عبيدة) وقد ذكر بعض المؤرخين أن عبيدة اسم لأُم هذه القبيلة ، وهي عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي الذي نرح إلى بلاد (جنب) في زمن حرب البسوس ، وقد ذكر بعض النسابة أن

قبيلة (جنب) أجبروا مهلهلاً على تزويج ابنة عمه منهم وفي ذلك يقول مهلهل :

أنكحها فقدھا الأراقم
في (جنب) والحباء من آدم

لو (بأبانين) جاء يخطبها
خضب أنف خاطب ما بدم

وفيه من القبائل العدنانية بنو رفيدة بن أراشد من (عنز) ،
ويطلق عليهم الآن (رفيدة) ويوجد في جبال رفيدة في تهامة
جبل عظيم يسمونه (مهلهل) . ويسكن السراة أيضاً (بنو بشر)
وقد وقع في نسبهم اختلاف ، فمنهم من ينسبهم إلى (الأزد)
ومنهم من يزعم أنهم من (بلحارث بن كعب) وآخر قبائل المنطقة
شرقاً لجنوب قبائل وادعة وهي قبيلة أزدية ، أما قبائل تهامة عسير ،
فابتدئ غرباً للشمال من قبائل المجاردة وبارق ، فإن هاتين
القبيلتين (أزديتان) وكذلك قبائل آل (موسى) في محاصيل .
وربيعة المقاطرة والصوالحة ثم المنجحة وهذه القبائل (أزدية)
ثم يليهم قبائل (رجال ألمع) وألمع اسم لجدهم ، وهو من القبائل
القحطانية . وهم تسع قبائل كالاتي : بنو ظالم . بنو قطبة . بنو
العوص . البناء . بنو شحب . بنو زيد . وأهل صلب . بنو
جونة . بنو قيس . ويذكر بعض المؤرخين أن أهل صلب وبنو
زيد يقال لهم (بنو بكر) . وبنو قيس ، وبنو جونة يقال لهم

(بنو مسعود) وهؤلاء القبائل الأربع يزعم البعض بأنهم من القبائل العدنانية .

أما قبائل السهول ، فهم كالآتي : أهل المضة ، والفهر ، وآل سليمان . والمساردة من عبدة ، والحباب من سحان ، وأهل قبائل أهل العين وتثليث والأمواه ، فهم من الجحادر من قحطان وقبائلهم كالآتي : آل سعد . آل عاطف . المشاعلة . آل الجمل ويتفرع منهم آل سويدان وآل مسعود وغيرهم (١) .

ورغم ما في هذه البحوث من ملاحظات فإن منطقة عسير اليوم تضم مناطق أوسع من البقعة التي تقيم فيها قبيلة عسير وأشهر القبائل في المنطقة كلها :



(١) رحلات في عسير يحيى ابراهيم الالمعي ص ٤٩ - ٥٠ .

الفصل الثاني

قبيلة عسير

قبيلة عسير حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، ولكن كثرتها من أزد السراة وفيها عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئ عن الغلبة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن ارجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في أنساب القبائل وهجراتها وتحالفها ويذكر الهمداني في « صفة الجزيرة العربية » أن قبيلة عسير يمانية تنزرت •

وأهل عسير أشد العرب نفرة من الأجانب ، وأبعد العرب عن المدنية • كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض ، ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من أولئك الأعراب الذين يسلكون مسلك الأقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز وذلك كما يقول الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » •

وعمير أربعة قبائل كبرى هم « بنو مغيد » و « علكم »

ويقال لهما ولد أسلم ، وهما شوكة عسير وأكثرهم عدداً ،
و « ربيعة ربيعة » و « بنو مالك » وجميعهم يعدون على وجه
التقريب مائة ألف أو يزيدون .

وتمتد منازلهم شرقاً إلى قبيلة شهران « قرية حجلة » وما
حاذاها ، وغرباً إلى منازل قبيلة ألمع ومشارف الجبال ، وجنوباً
إلى منازل قحطان وبعض من شهران ، وشمالاً إلى منازل قبيلة
بالأحمر أو المكان المعروف بالدرجة وهو السهب الممتد إلى مواطن
قبيلة بالأحمر ، أو بعبارة أخرى تمتد من جبل (تمنية) وعقبة
القرون من جهة الجنوب إلى وادي (تية) وعقبة شعار في الشمال ،
فظولها يبلغ خمسين كيلو متراً ، وعرضها بين منازل رجال ألمع
في الغرب وسهوب بلاد شهران في الشرق يصل إلى أربعين
كيلو متراً .

أ - بنو مفيد : إحدى قبائل عسير ، وتضم عدداً من
البطون يحدها من الشرق بنو مالك ومن الغرب بنو زيد أحد
بطون ألمع ، ومن الشمال عليكم ، ومن الجنوب بنو مازن وهم فرع من
عليكم ، ويوجد لها فروع خارج المنطقة هذه كآل يزيد الشعف
حيث يقيمون جنوب بني مازن . وهناك قبيلة بني ثمار وتعرف
لدى العامة باسم « بدو ربيعة » وتقتن قرب درب بني شعبة على
طريق أبها - جيزان . وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين : قسم
يسكن السراة والآخر يقيم في تهامة وهو في الواقع يتبع بني

مغيد ، ويفصل بين القسمين جبل يطل على تهامة بارتفاع كبير ، ويعرف باسم جبل الطور •

ويعتبر بنو مغيد أن لهم الحق في حمل لواء عسير ولعل ذلك بسبب كون آخر أمراء المنطقة منهم ، وقد يسبب هذا بعض المنافسات ، وحلت المشكلة في النهاية بأن يحمل هذا اللواء مندوب من قبل الحكومة •

ويصل تعداد بني مغيد إلى أكثر من عشرة آلاف نسمة ويصل عدد قراهم إلى الستين قرية ، ولكل قرية نائب يرشحه أهل القرية للمحافظة على العادات والتقاليد ، ويمثلهم في كل شأن يخص القرية أو القبيلة •
وهم أربعة أفخاذ هي :

١ - آل فاجح : ومنهم آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ويقولون : إنهم ينتمون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الثاني ، وقد قدموا إلى المنطقة بعد زوال دولة بني أمية في الشام وملاحقة بني العباس لهم ، وعندما وصلوا إلى المنطقة تحالفوا مع بني مغيد •

ويذكر ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» أنه كان ليزيد بن معاوية خمسة عشر ولداً ذكرأ هم : معاوية ، وخالد وأبو سفيان وأمههم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعبد العزيز وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وعبد الله الأصغر ، وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد

وزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان وهؤلاء أمهاتهم أمهات أولاد .
وله من البنات خمس هن : عاتكة ، ورملة ، وأم عبد الرحمن ،
وأم يزيد ، وأم محمد .

ويقول ابن كثير : وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب .
والواقع أن رأي ابن كثير غير مقبول إذ من المستبعد أن
ينقرض نسل خمسة عشر ذكراً فلم ينبج أحدهم في حين كان
يتزوج الواحد منهم عدة نساء وإنما الذي يبدو صحيحاً أن قيام
دولة بني العباس وملاحقة الأمويين ومنهم أبناء يزيد وأحفادهم
قد جعلهم يغادرون المنطقة التي كانوا فيها وهي دمشق ويتجهون
إلى مناطق ثانية فلم يعد يعرف لهم أثر في منطقتهم التي نشؤوا
فيها وبخاصة أن هذا لم يحدث بعد مدة طويلة من أيام يزيد إذ
دارت الدائرة على بني أمية ولم يمض على وفاة يزيد أكثر من
ثمانية وستين عاماً فقد يكون بعض أبنائه لا يزالون أحياء ، وعندما
وصلوا إلى مناطقهم الجديدة التي حلّوا فيها لم يشتهر أمرهم
فيها إذ لم يعرفوا على أنفسهم خوفاً من بطش السلطة بهم وهي
التي تدين بالولاء لخصومهم بني العباس كما أن التاريخ لم يؤرخ
— مع الأسف — إلا للأمراء والملوك فتسيهم عندما أعلنوا عن
أنفسهم وقت ضعفت سلطة بني العباس . وقد تكون أسر أخرى
تنتمي إلى يزيد في جهات ثانية . ولهذا عندما قال ابن كثير بأنهم
قد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب فهو صادق مع نفسه إذ لم

يسمع حتى أيامه بأحد ينتمي إليه في منطقته دمشق أو بآخر طارت شهرته في منطقة ثانية .

٢- آل عبد العزيز .

٣- آل وازع .

٤- آل مغيد الوطى ومنهم آل الشرف وآل يزيد الشعف .

ويعتز بنو مغيد فيقولون عن أنفسهم مغيد الخطى .

ب- **علكم** : وهم ستة أقسام منهم : بنو مازن ، وبنو المقرن ، وأهل العضاضة بقرب الشعف ، وأهل القصير ، وآل سعيدي ، وتلادة عبدل ، وتفتخر علکم فتقول عن نفسها علکم الهول .

ح- **ربيعة ورفيدة** : فربيعة أربع عشائر هي : تيهان ، وآل شدادي ، وبنو غنمي ، وآل عاصم . وتقول ربيعة عن نفسها « ربيعة مساة الحرب » .

ورفيدة خمس عشائر هي : آل الحارث ، وأهل طبب ، وأهل الغال ، والتلادة ، والرفقتين .

د- **بنو مالك** : وهم أهل الصمت ، وهم ثمانية أقسام أشهرها : آل يعلى ، وبنو منبه ، وآل الحبشي ، وبنو رزام ، وآل المجمل ، وآل رميان ، وبنو ربيعة ، والتلادة أيضاً .

ويتبع عسير عدد من القبائل الصغرى دون الأولى في المركز الاجتماعي وذلك بسبب قوة الشوكة والشكيمة ، كما أنها هي تختلف فيما بينها ، كما لها فروع في المناطق الثانية وبين القبائل

التي تقيم في البقاع الأخرى من السراة كشهراة وقحطان ورجال
الحجر ، وأهم هذه القبائل :

١ - البلاحطة : وهم الذين يستجدون بمديحهم ومع هذا
فيعرفون بالكرم وحسن الضيافة .

٢ - الغيوض : وهم كالأجراء ، ويعملون في صناعة النسيج
اليدوي ، فيغزلون وينسجون وبر الحيوانات وشعرها على شكل
فرشات مستطيلة .

٣ - الهتمان : وهم من الطبقات الوضيعة ، ولا يعترفون
بالجميل ، ويعرفون باسم « الهتوم » ، ويعتبر هذا الاسم سبة
وعار وكلمة شتيمة .

٤ - الكحلة : وهم ذو مستوى رفيع ومع هذا فالقبائل
القوية لا تناسبهم ولا تصاهرهم .

٥ - الدواسر : وهم غير القبيلة العربية المعروفة ذات
المكانة والمنعة وأصل هؤلاء من الأرقاء .

٦ - العبيد : وهم الذين يحملون لون البشرة الأسود .
وجرت العادة ألا تتزوج بطون عسير القوية مع هذه
القبائل التي تتبعها للاختلاف في المستوى الاجتماعي .

كما جرت العادة في سائر بلاد السراة وشهراة وقحطان أن
يكون لكل قبيلة في السراة أتباع من القبائل في تهامة ، ومن أشهر

هذه القبائل التي تقيم في تهامة وترتبط مع قبائل عسير هي :

آ - المضيَّبون : ويتبعون بني مغيد .

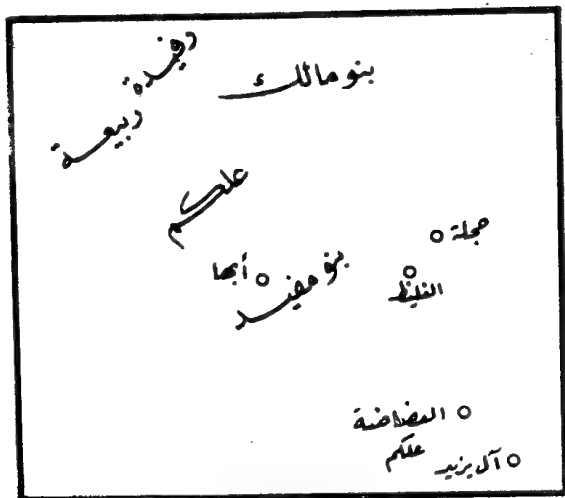
ب - أم نضلة : ويتبعون علمكم .

ح - سكان وادي مرية : ويتبعون بني مغيد وعلكم .

د - ربيعة اليمن : وتحسب من ملحقات بني مغيد ، وتقيم

في وادي ضلع إلى الجنوب الغربي من مدينة أبها وحتى التقائه بوادي عتود التهامي ، ولا تزال أقرب إلى البداوة ، وتعيش على الرعي ، ولا يزال عندها بعض العادات الغريبة وإن زال أكثرها وبقي بعضها في الخفاء ، وأهمها الحفلات التي تقوم أثناء عملية الختان التي تتم بسلخ الجلد ، ويحضرها الرجال والنساء على حد سواء وبخاصة الفتيات الأبنكار ، وتتم العملية والمختون عار ، ولا يختن إلا من بلغ سن الرجال ، هذا إضافة إلى الاختلاط .

ولا يضع الرجال على رؤوسهم شيئاً بينما تضع النساء قبعات
من القش على رؤوسهن وفي الوقت نفسه فالقبيلة أهل كرم وضيافة.



توزع بطون قبيلة عسير

العادات الاجتماعية عند قبائل عسير

ينقسم أهل عسير إلى قسمين : « القبيلي » وهو الذي يمت بصلة الى قبيلة عظيمة ذات نسب وقوة ، وهو مزارع بالدرجة الأولى ، و « الطرف » وهو غير الأصيل ويمتحن حرفة بشكل عام . والأطراف أنواع منهم الصناع ، والبلاحة وهم أدنى الأطراف ، والغیوض ، والهتوم . ولا يصاهر « القبيلي » الأطراف فلا يزوجه ولا يتزوج منهم . ولكن الزواج يتم بين الأطراف بعضهم مع بعض ، وان كان بعضهم يشعر باعتلاء مكانته على بعضهم الآخر ، وهم يعترفون بضعفهم أمام القبليين ، وعدد الأطراف قليل إذ لا تتجاوز نسبتهم ٥٪ فقط .

ومن العادات المميزة عند قبائل عسير والملاحظة .

١ - الختان : ويسمى « تطهير » ، ويعمل للشباب الذي يراد ختنه ملابس خاصة ، وتشكيلة معينة في الشعر ، ولا تتم عملية الختان إلا بعد أن يتجاوز الشاب سن البلوغ ، وتتم بين جمع غفير من أبناء قبيلته وأخواله وأقارب أسرته جميعاً سواء كانوا من قبيلته أم من غيرها ، ويختن أمام الأشهاد ، والغرض من ذلك إظهار شجاعة الرجل المختون ، ويعلم قبل إجراء العملية له آياتاً من الشعر قد تصل في بعض الأحيان إلى الثلاثين بيتاً وتسمى « قاف » تتضمن مديحاً لأهله وأخواله وإظهار محاسنهم

وإبداء مناقبهم • ويقدم الأخوال في هذه المناسبة مبلغاً من المال لوالد ابن أختهم ، ويسمى هذا المبلغ « جود » ، وهم أشد حرصاً على تقديم مبلغ أكبر حتى يشملهم المديح ، وحتى لا يحملهم ابن أختهم شيئاً من العار فيما إذا أبدى تخوفاً أو اضطراباً لأن من الشائع أن الولد يشبه أخواله ، ومن القديم قيل « كادت المرأة أن تلد أخاها » ، وقد بدأت هذه العادة تقل وتضمحل ، وإن بقيت واضحة عند « بدو ربيعة » و « بدو وادي مربة » وبشكل أكثر قسوة وأشنع عياً •

٢ - الزواج : إن الأمر الشائع منذ مدة طويلة أن الجمال كثير في عسير والصدّاق قليل ، ولهذا كانت الأسواق تغص براغبي الزواج ، وكثيراً ما يدور هذا الحديث بين زوّار المنطقة وضيوفها ولكن يظهر أن قلة الصدّاق إنما هو لأهل المنطقة لا لسواهم ، ولا يختلف الجمال كثيراً عن بقية المناطق ، ونساء السراة على العموم تغلب في وجوههن الاستدارة ، ويتميزن عن أهل التهاثم بإشراق اللون وصفرتة ، والاعتدال في قاماتهن ، وشعورهن على العموم حالكة السواد لهن في تصفيفها وضمفها صناعة خاصة •

ومن العادات الشائعة أن البنت لا تتزوج حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين من عمرها لأن أهلها يريدون أن يستفيدوا منها في العمل في المزارع •

والصداق ليس من نصيب الفتاة وإنما من حظ والدها
وفيه أحياناً من الطمع الشيء الكثير .

ومن الشائع أن يتعرف الشاب على فتاته قبل عقد النكاح
في إحدى المناسبات من زواج أو ختان أو في الأسواق ، خاصة
وأن المرأة لا تغطي وجهها .

وينفق الرجل الكثير من المال في زواجه ، خاصة في كسوة
أهل خطيبته قبل أن تنتقل إلى داره والعار والويل للزوج الذي لم
يفعل ذلك ، والذين يكسوهم عادة إخوة وأخوات العروس
وخالاتها وأعمامها وعماتها وما أكثرهم إن كان الزوج غريباً أو
غنياً .

ويعطي والد الفتاة ابنته بعض الحاجيات أثناء انتقالها بينما
يقدم رجلها في المستقبل الحلي من مجوهرات وغيرها .

وللمرأة مطلق الحرية في اختيار الزوج فإذا ما تقدم لخطبتها
أحد - وغالباً ما تراه - ولم يعجبها أبت وامتنعت بكل صراحة ،
ولا تقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة .
وهن صريحات في قول لا أو نعم ، وحتى لو حصل الرضا ثم لم
تستطب معاشرته تترك بيت الزوجية وتقول : « شَنِئْتُهُ » أي
كرهته ، ولا يحصل في الغالب اعنات من الزوج ودعوى بالنشوز،
ويكون له إذ ذاك حق المطالبة بما دفع في صداقها ، فإن ردَّ إليه
وإلا جعل ذمة له عليها ، ويكون على حد تعبيرهم « في رأسها كذا »
يسدونها من صداقها في زواجها الجديد إن كان .

ومما هو متعارف في عسير نوع من الزواج يسمونه «زواج السر» ومعناه أن يقع في أشد خفاء ، أي دون إعلان وتشهير بالعقد ، وهو أكثر ما يقع مع الشيات وممن يخشى نفور زوجة أخرى لديه أو ممن ليس له إقامة طويلة في القرية وغالباً ما يكون قصير الأجل (١) .

وعندما يريد الرجل أن يأخذ زوجته من دار أهلها يسير مع عصابة من أهله وذويه . ويقيم عادة حفلةً لجماعته وأقاربه ، وبعد هذه الحفلة يقبوم الشاب ببعض الألعاب وتسمى « سمر » وتستمر حتى الفجر ثم يتفرقون . وفي اليوم التالي تأتي النساء من القرى المجاورة ، وهذا اليوم هو أحسن الأيام عندهن ، حيث تلبس النساء فيه أحسن الملابس وأجملها ، وقد تتاح للفتيات منهن فرص للزواج قد لا تتاح في غير هذا اليوم .

ومع ما يشاع — كما ذكرنا — من كثرة وجود الفتيات الراغبات في الزواج ، فإن كثيراً من الرجال ما يقعد بهم الحظ ولا يجدون الذي يفتشون عنه حتى إن بعضهم قد أنشد وقد ضاق ذرعاً بقعود حظه :

إن أبها وعرسها كالمعدي في المثل
زعم البعض انها خير نزل لمن نزل

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٣٤ طبعة عام ١٧٧٣ هـ
— ١٩٥٤ م — دار المعهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

خدع الناس قوله زخرف القول من نقل

٣ - الدعوات والمناسبات : قد يدعو المرء أقاربه دعوة

خاصة ، وقد تكون بمناسبة زواج ، أو ختان ، أو أية مناسبة أخرى فيأتي المدعوون في اليوم المحدد مع عدد من جماعتهم ، وكل يحمل بندقيته - يوم كانت تحمل البنادق ومسموح بذلك - وعند اقترابهم من قرية المضيف يكون الداعون في انتظارهم وفي أيديهم أيضاً بنادقهم فيتبادلون الطلقات النارية تعبيراً عن الحب بينهم ، وعندما تبقى بين الجماعتين مسافة قصيرة يتوقف إطلاق النار ، ويبدأ الترحيب بالكلام ويرد المدعوون على الترحيب بما يسمى « المردودة » وهي عبارة عن كلام يوضحون فيه سبب قدومهم ويبينون المبلغ الذي يحملونه وينزلون يوماً في بيت صاحب الدعوة ثم يتفرقون على منازل أهل القرية

وحتى يقوم صاحب الدعوة بواجبه ، عليه أن يقدم أنواع الطعام جميعها ، وقد يتحمل الكثير من الديون بهذا السبب ، بل هو الشائع لفقر المنطقة النسبي .

والكرم الزائد عن الحد هو السائد بينهم وكأن كل شخص يحاول إثبات وجوده بين جماعته وأفراد قبيلته به .

٤ - المرأة : لا تحتجب المرأة في عسير أي لا تغطي وجهها ، وإنما لباس الحشمة هو الشائع بين النساء جميعاً ، وهن يعملن مع

الرجال في الحقول وهذا شأن أكثر المناطق الزراعية خاصة وقت
الحصاد وجني المحصول ... وتعمل المرأة مع الرجل في شؤونه
كلها إضافة إلى عملها الخاص الموكلة به وهو تدير المنزل ، وفي
جلب الماء وإحضار الحطب ، وقلما تعمل المرأة في الخياطة إذ أن
هذه المهنة من اختصاص الرجل .

ومن الأسماء الشائعة في المنطقة زهرة ، وظيفية ، ونجمة ،
وملك ، وليلى

وتلبس النساء سراويل وقمصان ، وغالباً ما تكون القمصان
سوداء محلاة على الصدر بأشكال من التطريز اليدوي بالحرير
المختلف الألوان . وتضع المرأة على رأسها خارج منزلها سواء
في الحقل أم في السوق قبعة من سعف النخل أو من القش تقيها
من أشعة الشمس ، وتسمى « الطفشة » ، وتكون على شكل
دائري مجوفة في وسطها لدخول الرأس ، وتشد خصرها بحزام
من الجلد ، وقد يكون من الفضة وتجعل المرأة المتزوجة فوق
رأسها خماراً أسود ، بينما تكتفي الفتاة البكر بمنديل أصفر
اللون أو أحمر منقلاً بالسواد وتربطه أسفل الرقبة ، وتطيب
النساء بأنواع من الأطياب كالريحان ويكثرن منه على الرأس
ويعرف باسم « معكس » .

والمرأة عند البدو أكثر مشاركة للرجال في أعمالهم حتى في التجارة والسفر على ظهور الإبل ، وتلبس البدوية إزاراً من قماش مصبوغ بصباغ أرزق ورداء من النوع نفسه ، كما تضع على رأسها القبعة « الطفشة » وإن كانت أصغر مقياساً مع طول في التجويف الخاص بالرأس ، وقد تسير مسافة طويلة دون نعل .

ويعمل سكان القرى في الزراعة ، وفي تربية الحيوان ، وكثيراً ما يكون مركز الرجل حسبما يملكه من أرض أو من عدد قطع الحيوان ، ويعمل البدو في الرعي فقط ، ولذا فهم يملكون ثروة حيوانية أكبر خاصة من الأغنام .

وقد اتجه عدد غير قليل من السكان اليوم إلى العمل في وظائف الدولة ، وانصرف أبناؤهم نحو المدارس وتحصيل العلم .

الرجل : كان الرجل حاسر الرأس أما الآن فقد أصبح يضع على رأسه « الغترة » وذلك منذ أن أصبحت المنطقة جزءاً من المملكة العربية السعودية ، ويلبسون في الشتاء العباءة ويسمون « الشملة » وتتخذ من أصواف الأغنام ، وتحاك إلى ما تحت الركبة بقليل حتى لا تعيق الحركة . ويضعون على أوساطهم « الجنابي » وبعضها ما يحلى بالفضة ، وتوضع داخل غمد من الجلد يسمى « معيرة » وبعضها ما هو معقوف الرأس ومنها ما هو مستقيم ، أما الثياب الأخرى فهي عادية ، الشوب المعروف في المنطقة كلها وإن كان يبدو هنا قصيراً قليلاً ، ولونه أبيض ، بينما ثوب المرأة أحمر أو أسود .

الالهاب : يصطفون متراصين على شكل صفوف، يتوسط الصف الأول حملة الطبول والدفوف ويواجههم ملحن الغناء فينشد ما يريد ، وتقرع الطبول والدفوف على ترجيعه ، ويردد اللاعبون في الصفوف ماقاله مع القفز وضرب أرجلهم على الأرض واقفين مرة وسائرین أخرى في شكل دائري ، وقد يواجههم أحياناً رجل آخر حاملاً « جنبيته » وقد استلها من غمدها، ويقفز بخفة ويصيح بكلمات عالية لا يفهمها الغريب عادة لأنها باللهجة المحلية .

التعاون : وأجمل ما في عسير التعاون الذي يسود بين أهلها ويبدو هذا في مساعدة الشخص الذي تحل به نازلة أو تصيبه نكبة إذ يسرع أفراد القبيلة والقرية إلى التعويض عنه وبناء بيته إن تهدم وإعطائه ما فقد ، وتبدو في استقبال أهل القرية للضيف القادم إلى أحد أبنائها مهما كان وضعه الاجتماعي ويتقدمهم كبير القبيلة ومعه الوجهاء يرافقون المضيف يرحبون بالضيف ويسIRON معه إلى البيت الذي سيحل فيه ، كما تساعد القرية المضيف في إنزال ضيوفه وإكرامهم ودعوتهم ، خاصة إن كان عددهم تضيق به دار المضيف وحالته . وهناك لجنة قبلية منتخبة في كل قرية وغالباً ما يكون عددها ثلاثة أفراد تقوم بجمع عشر محصول الأرض من المزارعين ، وهذا الناتج يكون للغزو وقرى الضيف ومساعدة المحتاج وإطعام أبناء السبيل ويصرف كذلك للمسجد وتجهيز الموتى الفقراء وحفر الآبار .

كما يبدو التعاون في مساعدة بعضهم بعضاً في البناء
والحصاد وجني الموسم ومساعدة من يقعده الفقر عن الزواج ،
ويسعون لعدم رفع المهور ويعاقبون من يغالي في الصداق •

وكانت هناك بعض العادات السيئة وقد زالت - والله
الحمد - ومنها ما يتكبد به الذي يموت له بعض أفراد أسرته فينزل
عنده العديد من الرجال للعرزاء ويسمون ذلك « الفراش » فيذبح
لهم كل ما يملك أو أكثره خلال الأيام الثلاثة التي يقعون في داره
ومنها ما يأخذه بعض أكابرهم باسم المسؤولية وقد انتهت أيام
هذا كله •

الصفات : ويمتاز أهل عسير بالشجاعة وثبات الجأش عند
اللقاء ، ويحبون اقتناء السلاح كما يرغبون في الانخراط في
صفوف الجيش إذ يعرفون بالطاعة التي يتركونها إن أصابهم ضيم
أو لحق بهم أذى •

اللهجة : لأهل عسير لهجة خاصة وهي تغيير بعض
الأحرف وقلبها في اللفظ ومنها:

قلب الجيم ياء فيقولون : ياء ، مسيد ، ريال
بدلاً من جاء ، مسجد ، رجال •
وقلب النون راء فيقولون : حلي بر يعقوب بدلاً
من حلي بن يعقوب •

وقلب ال التعريف أم فيقولون : اممعي ،

امناصر ، امقضية بدلاً من ألمعي ، والناصر ، والقضية •
ليس من امبر امصيام في امسفر « ليس من البر الصيام في
السفر (١) »

قلب الكاف شيئاً وبخاصة لمخاطبة الأنثى فيقولون :
ما حالش وحال أبوش ؟ ويقصدون كيف حالك وحال أبوك ؟ •
ويستعملون كلمة « ثم » بدلاً من « هنالك » بشكل
طبيعي •

كما يستعملون الجمل الاعتراضية ومعظمها دعائية
للمخاطب •

(١) حديث شريف رواه كعب بن عاصم الأشعري ، قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من امبر
امصيام في امسفر » مسند الإمام أحمد ٥/٣٤٤ •

المراكز البشرية عند قبائل عسير

أبها : لعل من أشهر مراكز المنطقة كاملة « أبها » وهي حاضرتها ، ومركز قبائل عسير وقاعدة بني مغيد ، تقع في الجانب الشرقي من جبال عسير ، في وهدة بين جبال جرداء ، وتتوسط الوهدة ربوة تسمى « رأس أملح » حيث أقام الأمير محمد بن عافض قصره المسمى « شذا » حيث يشرف من طرفه الشمالي الغربي على منطقة فسيحة تعرف باسم « البحار » وكذا من الشرق على منطقة منبسطة يقوم فيها السوق الاسبوعي ، وبهذا يمكن الدفاع عنه .

ويوجد فيها واديان أحدهما اسمه « وادي أبها » أو « الثعثر بان » والثاني اسمه « ضباعه » ويجريان إن كان التهطل غزيراً ، وقد يتدفق الماء فيهما عدة أيام ، ومعظم آبار البلدة في هذين الوادين وأعذبها بئر « نعمان » وبئر « الجلة » . ويعرف وادي أبها قبل وصوله المدينة باسم « خبيبي » .

ومدينة أبها بلدة غير قديمة فهي غير معروفة في التاريخ (١) وإنما الذي عرف إنما هو وادي أبها فعندما انشئت عرفت باسمه ،

(١) كماورد أنها كانت معروفة في التاريخ منذ القديم وباسم « ابقا » أو « ايفا » أو « هيفا » وأن الابل التي كانت تحمل هدايا بلقيس لسيدنا سليمان كانت منها .

وضمت عدة أحياء حملت اسم الوادي ، وبدأت تنمو عندما
اتخذها علي بن مجتل قاعدة له .

وتحيط الجبال بها من كل جهة ، وقد أقيمت على قممها قلاع
تحمي المدينة إضافة إلى حمايتها من جهة الغرب بسبب صعوبة
الانتقال من تهامة الى السراة والذي لا يتم إلا عن طريق عدد من
العقبات لا يرتقيها الانسان إلا بكثير من الصعوبة .

ومن أهم هذه القلاع المحيطة بها :

١ - قلعة ضلع : وهي تتحكم بوادي ضلع حيث العقبة
المعروفة بهذا الاسم .

٢ - قلعة ذرة : وتقع على جبل ذرة الذي يقع شمال
شرقي قلعة ضلع ، والقلعة القائمة على هذا الجبل حفرت تحتها
بيوت داخل الصخر .

٣ - قلعة شميمسان : وتقع شمال مدينة أبها وتتحكم في
الطريق الشمالية القادمة من عقبتى «شعار» و «الصماء» . وقد
وصلت هذه القلاع مع بعضها بعضاً بطرق جبلية ممهدة وبخاصة
أيام المتصرف التركي محي الدين باشا .

تقع أبها على ارتفاع ٢١٧٠ متر عن سطح البحر مما يجعل
الضغط الجوي منخفضاً الأمر الذي يجعل القادم اليها يشعر
بالتعب وبخاصة من يأتي من منطقة قليلة الارتفاع ويستمر هذا
عدة أشهر حتى يعود على مناخها العذب وهوائها العليل .

وتتألف مدينة أبها من عدد من القرى أقيمت على طول مجرى وادي أبها وتمتد باتجاه سيره من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ، وهذه القرى هي :

١ - المناظر : وهي أصل المدينة واليوم حي من أحيائها ، وكانت في الأصل قصراً للأمير عائض بن علي بن وهاس ثم أقيم على انقاضه قصراً للأمير سعيد بن عائض سمي بقصر مازن .

٢ - المفتاحة : وهي أول الأحياء من جهة الغرب وتقع إلى الشرق من الوادي ، واختط علي بن مجثل قلعته فيها .

٣ - القرى : وتلي المفتاحة .

٤ - النعمان :

٥ - الربوع : وكانت تقام فيها سوق يوم الأربعاء فسميت بها على عادة أهل تلك المنطقة .

٦ - شذا : وفيها القصر الذي بناه الأمير محمد بن عائض عندما نقل مركز حكمه من بلدة « ريدة » إلى أبها ، وفيها الآن قصر الحكم ومركز البرقيات واللاسلكي ، وقد أقيم قصر الحكومة على أنقاض الشكنة العسكرية العثمانية .

أما إلى الشرق من حي المناظر فتوجد القرى أو الأحياء الآتية :

١ - البديع :

٢ - الخشع :

٣ - النصب :

٤ - المقابل : كان قصرًا للأمير سالم بن عبد الله بن إبراهيم عايض ومنه سمي الحي ، وعلى أنقاضه أقام الأمير محمد بن عائض قصرًا لم تزل أطلاله ماثلة ، مقابل قصر باشوات متصرفية عسير . وهو الحي الوحيد القائم على الجانب الغربي من الوادي ، وقد كان يسكن فيه متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، ثم محي الدين باشا من بعده ، وكان جسر يربط بين هذا الحي وبقية الأحياء . وعند ملتقى وادي أبها بوادي « جوحان » المنحدر من الجبال والعقبات الواقعة جنوبي أبها وعلى مقربة من قرיתי « القاعد » و « الداره » كان الوادي يشكل مستنقعاً وغدراناً عميقة أمكن للأسماك أن تتوالد فيه .

وعند هذه الغدران كان يوجد قبر ينسب لذي القرنين وقد هدم يوم دخلت الحملات الإخوانية من جيوش نجد المنطقة . ويقول الهمداني « إنه عثر على هذا القبر في رأس الثلاثمائة من الهجرة » وذو القرنين هذا هو يمانى وليس الاسكندر المقدوني . وقد اختلف في نسب هذا الرجل اليماني فمنهم من قال : هو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان .

ومنهم من قال : هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالك ابن الحارث الأعلى بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

ومنهم من قال : هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد

ابن حمير الأصغر وقد نسب هذا القول الأخير إلى علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس .

ويزيد عدد سكان أبها اليوم على خمسة وعشرين ألف نسمة .
وبيوتها من الطين والحجارة وقد يتفرد بعضها بنوع واحد من مادتي البناء هاتين ، وقد بدأ العمران الحديث يكثر فيها يوماً بعد يوم .

ومدينة أبها عقدة مواصلات هامة فهي تتصل مع :

أ - تهامة : عن طريق يتجه من أبها نحو الجنوب الغربي إلى عقبة ضلع ومنها إلى وادي « عتود » إلى « القصبة » و « درب بني شعبة » و « صبيا » و « جيزان » وإن لم يكتمل هذا الطريق بعد تعبيداً إلا أنه من مشروعات المنطقة .

ب - القنفذة : عن طريق عقبة شعار .

ج - رجال : عن طريق عقبة الصماء .

د - الحجاز : عن طريق بلاد بالأحمر وبالأسمر وبني شمر و غامد وزهران فالطائف .

هـ - شهران : حيث تبعد عن بلدة خميس مشيط ٣٥ كم

فقط .

و - اليمن : عن طريق تمنية إلى بلاد قحطان ووادة ثم إلى صعدة ، وهي طريق وعرة •

ريدة : بلدة عمرها الأمير عائض بن علي بن وهاس عام

٨٦٠ هـ ، واتخذها مقراً له وملجأ ، وهي الآن تحت يد ورثته ، وقد دمرها الأتراك ١٢٩٠ هـ ، وسموها « حيدة » • وتقع إلى الغرب من مدينة أبها •

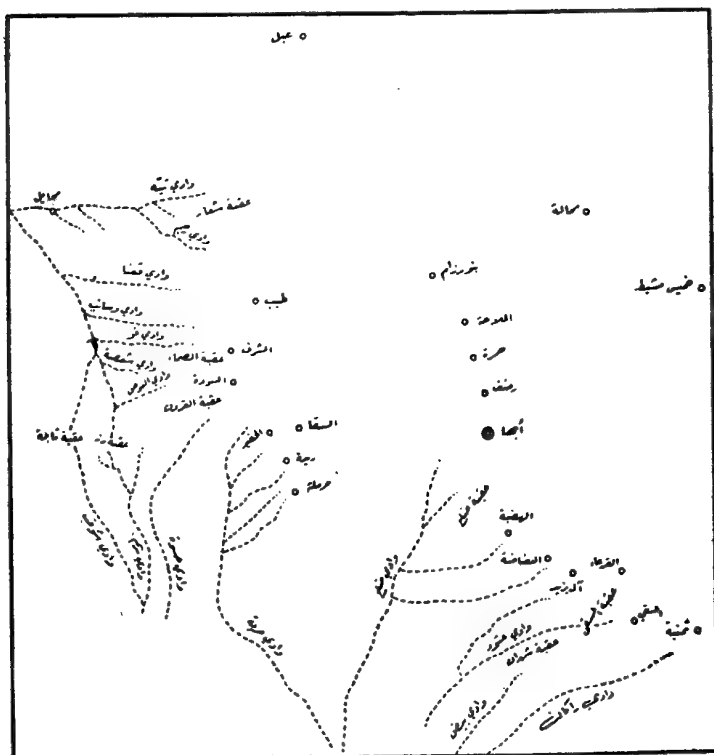
حرملة : بلدة عمرها الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي عام ١١٢٢ هـ ، وهي الآن تحت يد ورثته من آل عايض ، وقد دمرها الجيش السعودي أثناء احتلاله عسير عام ١٣٤٠ هـ •

طبب : وهو واد حملت المدينة التي بنيت عليه اسمه ، وتقع في بلاد ريبة ريفية وقد اتخذها محمد بن عامر المعروف بأبي نقطة قاعدة له •

المسقى : وقد أصبحت مركز المنطقة عندما اتخذها الأمير سعيد بن مسلط قاعدة له عندما ثار على حكم محمد بن عبد المعين بن عون عام ١٢٣٧ هـ •

السودة : قرية تقع إلى الغرب من أبها تتبع قبيلة علكم ، وقد بنيت على ارتفاع ٢٥٠٠ م على قمة جبل فهي من أعلى قرى

عسير ، وهذا ما يجعل مناخها عذبا ، وتحيط بها المروج من كل جهة ، وقد أصبح اسم هذه القرية يتردد على الألسن في المملكة كلها لما فيها من جمال الطبيعة .



مصور المراكز البشرية في قبائل عسير

الفصل الثالث

رجال ألمع

وهم أكبر القبائل في تهامة ، وأكثرها عدداً إذ يبلغون مائة ألف أو يزيدون ، وهم في تهامة كعسير في السراة ، وتقع بلادهم في الجهة الغربية من منطقة عسير يحدها من الشمال منطقة محایل ومن الجنوب بلاد بني شعبة وهي بلاد جبلية غالباً ، ويقسمون إلى قسمين :

ألمع الشام : أو ألمع الشمال ويقدرّون بثلاث العدد الكلي كما لا تزيد مساحة منازلهم عن هذه النسبة ومركزهم بلد « الشعين » وفيها الدوائر الحكومية .

وألمع اليمن أو ألمع الجنوب وهم الثلاثان وكذا تشمل مساحة بلادهم ، وأهم قراهم بلدة « رُجال » وقد كانت هذه في أيام خلت مركز المنطقة ، وهي أكبر من قرينتها « الشعين » بخمسة أضعاف على الأقل ، وإن كان لا تتقال مركز المنطقة إلى « الشعين » أثر واضح في اتساعها ونموها .

ولطبيعة الأرض في هذا التقسيم شكل بارز يتمثل في عقبة « رز » التي تقع بين المدينتين فمن ينظر من ذروتها باتجاه الشمال

يجد أرض ألمع الشام تنحدر نحو الشمال مع سير وادي « حلي » وفروعه ، ومن يتجه نحو الجنوب تظهر له أرض ألمع اليمن تميل نحو الجنوب مع سير وادي « ريم » و « عرمم » .

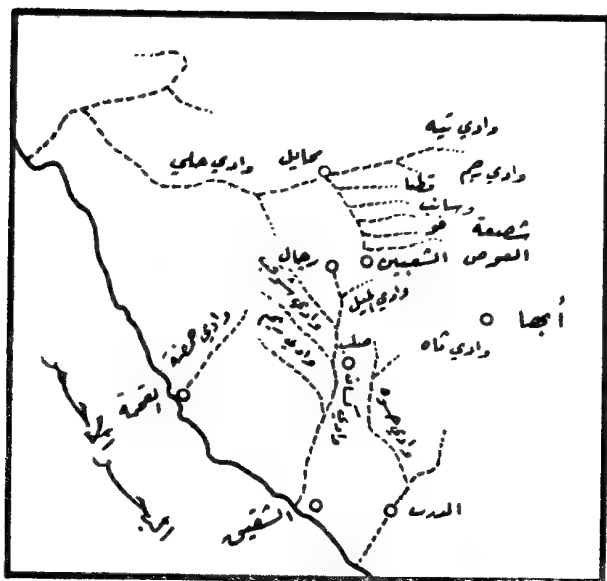
ومن الأودية المشهورة : « حلي » و « سانب » و « الشصعة » و « العوص » وهي من روافد « حلي » إضافة إلى « تيّه » و « رجم » و « قضا » و « فو » ثم هناك روافد وادي « ريم » وهي « رجال » و « الميل » و « شوقب » و « ثاه » و « حسوه » ثم وادي عرمم .

ولما كانت القرى قليلة السكان لا تتوفر فيها الحاجيات الأساسية لذا فالأسواق تقام في المنطقة حيث تتجمع جموع كبيرة من الناس ، وتعرض فيها البضائع فيشتري السكان ما يحتاجون إليه ، واليوم المقرر للسكان معروف في القبائل كلها ، فالأحد في « الشعبين » ، والاثنين والخميس في « رُجال » ، والسبت عند « آل صلب » ، والثلاثاء في « ريم » (ثلوث ريم) ، والأربعاء في « البنا » (ربوع البنا) .

وتبنى القرى في قمم الجبال لتأخذ نصيبها من البرودة واعتدال الجو في ذلك المناخ الحار الرطب ، ولتكون في موقع حصين في تلك البقعة التي عرفت بالقتال بين القبائل ، وقد تحف بها الجبال التي تكون فيها مراكز للمراقبة .

ومن الأشجار المنتشرة في المنطقة « الأثب » وهو يشبه شجر

الكينا في شكله ، والنبق ، والشعب ، والشقب ، والتمر الهندي ويسمونه « حَمَر » وحمرار ويشبه التمر الهندي ، والجميز ويسمى البراء ، ويزرع السكان الذرة والدخن بكثرة وكثيراً من المحصولات الزراعية الأخرى .



الأودية في بلاد رجال المع

وتتكون رجال ألمع من عدة بطون هي :

١ - بنو قيس بن مسعود : وتقع منازلهم في سفوح جبل قيس ووادي حسوة ، ويبلغ عددهم خمسة عشر ألفاً ، ولهم حمل

اللواء في الحرب ، وهم من العدنانيين ، ومن أشهر عائلاتهم آل عبد المتعال •

٢ - بنو جونة : ومن أوديتهم « كسان » و « ريم » و يبلغ عددهم اثني عشر ألفاً أو يزيدون ، ويقال لهم ولبنو قيس « بنو مسعود » •

٣ - بنو ظالم : وتقع منازلهم على وادي « حلي » ويزيد عددهم على خمسة عشر ألفاً ، وينحدر معظمهم من الأزد القحطانيين ، ومنهم آل الحفطي ، وحاضرتهم مدينة « رَجَال » •

٤ - بنو قطبة : ومواطنهم في أعالي وادي « حلي » ، وتعتبر قرية « الشعين » من مراكزهم ، ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من الأزد ، ويقال لهم ولبنو ظالم أمرفقة أي الرفقة •

٥ - بنو زيد : ومنازلهم في وادي « حسوة » وفي سفوح الجبل الذي يفصل بين وادي « حسوة » و « مربة » ، ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، وهم من العدنانيين من تغلب •

٦ - آل صلب : ومراكزهم في وادي « كسان » ويقدر عددهم بعشرة آلاف ، ويطلق عليهم اسم قبيلة بني بكر ، وأحياناً يشمل هذا الاسم بني زيد أيضاً •

٧ - بنو شحب : ومنازلهم على عدوتي وادي « ريم » ، ويصل عددهم إلى خمسة عشر ألفاً ، ويرجعون بأصولهم إلى الأزد •

العادات الاجتماعية عند رجال ألمع

تشتهر قبائل رجال ألمع بالكرم الذي يصل إلى حد الاسراف لكثرة الذبائح التي تقدم للضيف ، ومن أشهر الأطعمة المعروفة لديهم « العريكة » ، وتشتهر بها المنطقة كاملة ، وهي بر وسمن وعسل ، ويتفنن الأهالي بصناعة أشكال عدة منها ، ثم هناك « الثريف » وهو دخن ولبن وسمن ، وهناك « الخنيد » •

وحالة السكان المادية دون الوسط بشكل عام •

ومن العادات الاجتماعية المعروفة والتي لها طابع مميز موضوع الزواج والختان •

فالزواج يتم بعد أن تحصل الموافقة على الفتاة ، تذهب جماعة من أهل الرجل قد تتجاوز الثلاثين أحياناً إلى أهل الفتاة ، ويسمى هذا الجمع اسم « مُعَرَّسة » ، ويكون أهل الفتاة قد استعدوا لذلك ، وذبحوا الذبائح ، وخرجوا إلى ظاهر الدار يستقبلون أهل الرجل ، وقد يصطفون صفّاً واحداً أو اثنين على جانبي الطريق ، وما أن يهلّ أهل الرجل حتى يرتفع صوت من المستقبلين « ارحبوا يا إخواننا وارحبوا » ويردد بقية المستقبلين بعده العبارة بصوت مرتفع ، ويجب الضيوف « سلمتم والسلام عليكم » ثم يتصافحون ، ويسير الجمع إلى بيت ولي أمر الفتاة ، ويبيتون عنده ، ويتناولون في داره طعام العشاء ، ثم طعام الفطور

في الصباح ، ثم يتوزعون في بيوت القرية ضيوفاً لمدة يوم كامل، ثم يعودون إلى قراهم أو إلى بيوتاتهم إن كانوا من القرية نفسها، وبعد مدة يأتي أهل الفتاة إلى أهل الرجل ضيوفاً ويعاملون بالمعاملة نفسها • وعندما يتم الزفاف يذهب مع الفتاة عدد من النساء وأهل القرية ، وتعرف النساء المرافقات باسم « حوادي » ، ويسمى الرجال المرافقون لها « مَثْرَوِّحَة » ، ويساعد الرجل بأن يدفع له أصدقاءه وأقرباؤه وغيرهم معونة مادية ومساعدة مالية تعينه على إتمام حفلة الزفاف والولائم لأهل عروسه •

أما الختان فيجتمع له الناس قبل يوم من العملية ، وعادة ما يكون اجتماعهم بعد العصر ، وتقام العروض ، وتحدث ألعاب شعبية في الليل وتسمى « السَّمرة » ، وفي الصباح يعود الناس للاجتماع ، ويكون أمام الشاب الذي ستجرى له عملية الختان ، فيختن أمامهم ، والويل لأهله من العار إن هو تألم أو أبدى أية حركة ، ولهذا فإن الأهل يأبون أن يختن ولدهم قبل بلوغ سن الخامسة عشرة من عمره وقد يزيد ، وبعد الختان يرجع الناس إلى بيت الوالد مغنين فتكون الذبائح قد أعدت والطعام قد هبىء • ويقدم أحوال المختون بعض المال ويسمى « قَدَر » ويعمل لهم استقبال ، ويخطب أحدهم بعد الاستقبال ، ويسمون كلامه « رِدَّة » • كما أن الفتاة تختن ولكن دون ولائم ، وفي يومها السابع وإن كانت تتم العملية بحفل نسائي مشهود •

ويعرف التعاون في رجال ألمع كما يعرف في المنطقة كلها ،
فيساعدون بعضهم بعضاً في بناء البيت وسقفه والحائط على
الاستان الزراعي ، وقد يجتمع أهل القرية جميعاً لهذا العمل ،
ويتهم بيوم واحد ، وهذا بلا أجر ولا مِنة ، بل إنهم يأتون بطعامهم
معهم حتى لا يكلفون صاحب البيت شيئاً ♦

وكذا عند المصائب ، فإذا ما فقد أحدهم عزيزاً ، اجتمع
عنده أياماً ثلاثة يأتونه في الصباح وكل يحمل معه أرغفة من
الخبز وطعاماً ليتمكن من إضافة الغرباء الذين يأتونه من خارج
القرية ، وبعد هذه الضيافة عند صاحب العزاء ينتقل الضيوف
الغرباء إلى أهل القرية ليقوموا أيضاً بواجبهم بدورهم فكان
التعزية عامة لأهل القرية ♦

وأهل قرية « رُحال » يسمون الجلوس للعزاء « فراشاً »
فبعد أن ينتهوا من الدفن يذهب المشيعون إلى بيت المتوفى
ويتلاحق بهم من لم تسعفه ظروفه بالمشاركة في التشيع وهناك
تبوزع عليهم أقراص خبز الذرة والدخن يأتي بها أولياء المتوفى
وجيرته مشفوعة بالقهوة ♦

ويستمر العزاء على هذه الحالة ثلاثة أيام في نهايتها يقرؤون
ويهللون ، ويختتم الحفل بدعاء للميت وتوزع على من حضر أعواد
الريحان الطرية^(١) ♦

(١) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٩٠ .

ومن العادات التي لها حرمة عندهم وعند قبائل عسير أيضاً رعاية السمي والالتزام نحوه بحقوق لا تجب للغير ، وذلك إذا ولد لأحدهم ولد وطمع أبوه في محالفته لشخص ذي مقام في القبيلة أو في غيرها من أحلافها سماه باسمه وكنيته ولقبه وبعث إليه يخبره بذلك وعندئذ يكون المسمى باسمه ملزماً بإكسائه وزيارته وإذا كبر عُدَّ حليفاً ، له ما للحليف من حقوق وواجبات (١) .

اللباس : الملابس بسيطة وعادة ما تكون مئزراً إلى منتصف الساق ، وصدرية ذات أكمام ، والرؤوس حاسرة وإن بدأت تنغطي ، والشعر طويل ومرسل دون قص أو ضفر ، ومفروق من الوسط ، ومحاط بإكليل من النباتات ذات الرائحة ، أو بسير من الجلد محلى أحياناً بالفضة ، ويضعون الريحان في الوسط ويسمونها « غرارة » ، ولا بدّ من الجنية (المَعْبَرَة) في الوسط .

أما النساء فقريب لباسهن من لباس الرجال ، فقميص أو فستان يلبس وإزاء يأتزرن به وغالباً ما يكون من النوع الغالي ولهن تباة كبير في ذلك . ويستعملن من الحلي « الخخال » ويسمونه « حجل » و « الدملج » ويلبسونه في العصد ، ويخرقن أنوفهن لتحلى بخزام من الفضة ويسمونه (بالزمام) ويدثرن

(١) المصدر السابق ص ٩٥ .

رؤوسهن بالخمير ويسمونها « مقالم » ، وغالباً ما تلبس نساء القرى القبعات « الطفشات » ، ويستعمل بعضها وهي النوع الطويل كحقيية تضع فيه المرأة المكحلة والمشط والمرآة وما إلى ذلك .

المرأة : ليس على المرأة سوى شؤون البيت إلا ما ندر أما الاحتطاب وجلب الماء فهو على غيرها وكثيراً ما يكون من حظ الفقيرات أو الموالى وهم كثير في قرية « رجال » أما في بقية القرى فتقوم المرأة ببعض هذه الواجبات خاصة وأنهن سافرات بينما في قرية « رجال » وأهل الثراء فيضعن الخمر .

والكرم معروف وصوت الهاون يدوي في الحفلات وبيوت الكبار باستمرار وأكواب القهوة تدار على الضيوف دائماً .

اللهجة : تشبه لهجة رجال ألمع لهجة عسير في قلب الكاف شيئاً في مخاطبة الاثنى ، وقلب النون راءً فيقولون فلان إبر فلان .

ويستعملون كلمة أهرت بمعنى أرسلت .

ميد بمعنى أريد .

سُعَيْل بمعنى صغير .

سُعَيْلة بمعنى صغيرة .

ويستعملون ليس للنفي وقد لا يستعملون ما فيقولون لست

ميد أي ما أريد .

العُمران والمراكز البشرية

تبنى البيوتات عادة بالأحجار حيث هي المادة الأولية التي تقدمها الأرض بسخاء ، أما السقوف فتبنى بالأخشاب والتراب وذلك لوفرة الأشجار وصلاحيه أخشابها للبناء . وغالبا ما تكون النوافذ صغيرة رغم عدم وجود البرد ولكن ذلك أصبح فناً نبغ عن كثرة الحروب في المنطقة ولكن الأبنية الحديثة بدأت تظهر في القرى الكبيرة ، وإن كانت قليلة والتطور بطيئاً ، وإن مما يعيق التطور السريع ويحول دونه عقبة « رز » وعقبة « الصماء » حيث لا تجتازهما إلا الدواب وبشكل بطيء مع الحذر الشديد وبخاصة إذا ما انهمرت الأمطار وجرت السيول .

والأبنية تتألف عادة من طابق أو اثنين سوى قرية « رجال » فتتعدد الطوابق وتصل إلى خمسة أو ستة . ولما كانت المرأة همها الأول البيت وواجبها تدير شؤونها فيظهاره بمظهر الجمال إنما يدل على ذوق المرأة ومهارة صاحبة البيت . لذا نرى البيوت ملونة من الداخل بمختلف الألوان ، ومزينة بالنقوش ، ومرتبعة عليها الرفوف التي تحمل أدوات المطبخ بشكل أنيق ، حتى السقوف مزخرفة وملونة ، وأرض البيت عليها دوائر ومخططة بالطين ، ومن أشهر مراكز تجمع السكان هي :

١ - « رجال » ، وهي حاضرة القرى وقبائل ألمع المختلفة.

وتقع في صدر وادي « كيسان » ، وتبنى بيوتها على ضفتيه وترتفع فوق بعضها بعضاً على السفوح ، وتصل في ارتفاعها إلى ستة أذوار ويمتلك كل دور إنسان ، ولطبيعة الارتفاع على السفح كثيراً ما يكون السطح مدخلاً لبيت آخر . ونوافذها ضيقة ، ولا يختلف فن بنائها عما ذكرناه آنفاً في قبائل ألمع كلها .

وهي قرية حديثة لا يزيد عمرها على الألف عام ويقال : إن أول من بني فيها رجل من اليمن من مدينة « بيت الفقيه » ويسمى موسى بن خثعم وينسب إليه آل الحفظي ، كما أن من أحفاده رجلاً يسمى الشيخ بكري ويعتبره آل الحفظي جدهم الأعلى لذا تسمى أحياناً بقرية الشيخ بكري . وهذه الأسرة أكثر الأسر شهرة ، وأبنائها أهل علم ، ولهم موهبة بالشعر وللواحد منهم حق لقب « الفقيه » ولو كان جاهلاً .

يبلغ عدد سكان القرية اليوم ما يناهز ١٥٠٠ نسمة ، وهي مركز بني ظالم .

٢ - الشعين : وتقوم عند ملتقى وادي « العوص » بوادي « حلي » وعلى السفوح الجبلية المشرفة عليها ويطلق هذا الاسم في الأصل على شعبين صغيرين من مآتي وادي حلي المشهور يسمى أولهما الأحد ويعرف الثاني باسم صوله . ولا يزيد سكانها على ١٥٠٠ نسمة ، ويقوم السبوق فيها يوم الأحد ، وهي مركز بني قطبة وفيها الدوائر الحكومية التي تشرف على قبائل ألمع وهذا ما جعلها تنمو وتتسع .

وتبنى بيوتها من الحجارة ، ولكن أدوارها قليلة قلما تتجاوز
الثلاثة ، ويرجع تأسيسها إلى عام ١٢٨٨ هـ يوم دخول محمد
رديف باشا عسير •

ويفصل بين هاتين القريتين عقبة « رز » التي سبق أن
تحدثنا عنها •

٣ - البتيلة : وهي حاضرة بني قيس بن مسعود ، وهي
جنوب « رجال » وعلى مقربة منها في مرتفع جنوبي وادي الميل •
٤ - كسان : وهي مركز قبيلة بني جونة •

٥ - قرية الجوز : مركز قبيلة البنا في المرتفع القائم بين
وادي « شصعة » و « فو » من روافد وادي (حلي) •

٦ - ثاه : وهي مركز قبيلة بني زيد في مرتفع قرب وادي
« ثاه » •

٧ - غمة : حاضرة قبيلة العوص ، على مرتفع قرب وادي
العوص •

٨ - الكرى : حاضرة آل صلب ، وتقابل « ثلوث ريم »
على الجهة اليسرى لوادي « كسان » •

٩ - غمرة : حاضرة قبيلة الشديدة في مرتفع غربي قرية
« رجال » تقريبا •

١٠ - ثلوث ريم : حاضرة بنو شحب في المرتفع بين وادي
« ريم » و « شوقب » •



المراكز البشرية في بلاد رجال المع

ومن القبائل الموجودة في تهامة أيضاً •

١ - قبائل بارق : وتقع منازلها حول بارق التي هي حاضرتهم ، وتنحدر هذه القبائل من أصل قحطاني من الأزد ، عدا عدة بيوت منها تنتمي إلى الاشراف ويطلق عليهم السادة ، ويقدر أفراد هذه القبائل بخمسين ألفاً •

ومن أهم أوديتهم وادي بارق وماتية من جبال إثرب وريدان ، وينحدر إلى الغرب حتى يصب في وادي حلي بن يعقوب ، وترفده عدة أودية وادي شري و « خبت آل حجري » •

وهم عدة بطون منها : آل سباعي - آل حجري - آل سالم - آل جبلي - آل موسى - آل عرام - آل صعبان - آل رايان - حميضة - المهاملة .

٢ - قبائل محايل : وهم عدة قبائل تتبع بلدة محايل . وهذه البلدة حديثة العهد تعود إلى أيام حكم الوالي العثماني محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ هـ الذي أقام عدة قلاع لا تزال ماثلة إلى الآن ، وهي تقع على ضفاف وادي « تيه » الذي يرفد وادي « حلي » ومن هذه القبائل :

آل موسى : وتقع منازلهم على وادي « تيه » ، وحاضرتهم مدينة محايل ، ويقسم قسم منهم على الساحل الجنوبي من حلي ابن يعقوب ، ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بخمسين ألفاً ، ويلقب شيخها عادة باسم « امخالد » أي الخالد وأغلب أفرادها من العدنانيين .

آل مشول : وتقع منازلهم على وادي « مِرّة » ومآتية من قمم جبال بالأسمر وبالأحمر وينحدر نحو تهامة حتى يصب في وادي حلي بن يعقوب .

آل التدريب : ويتبعون محايل .

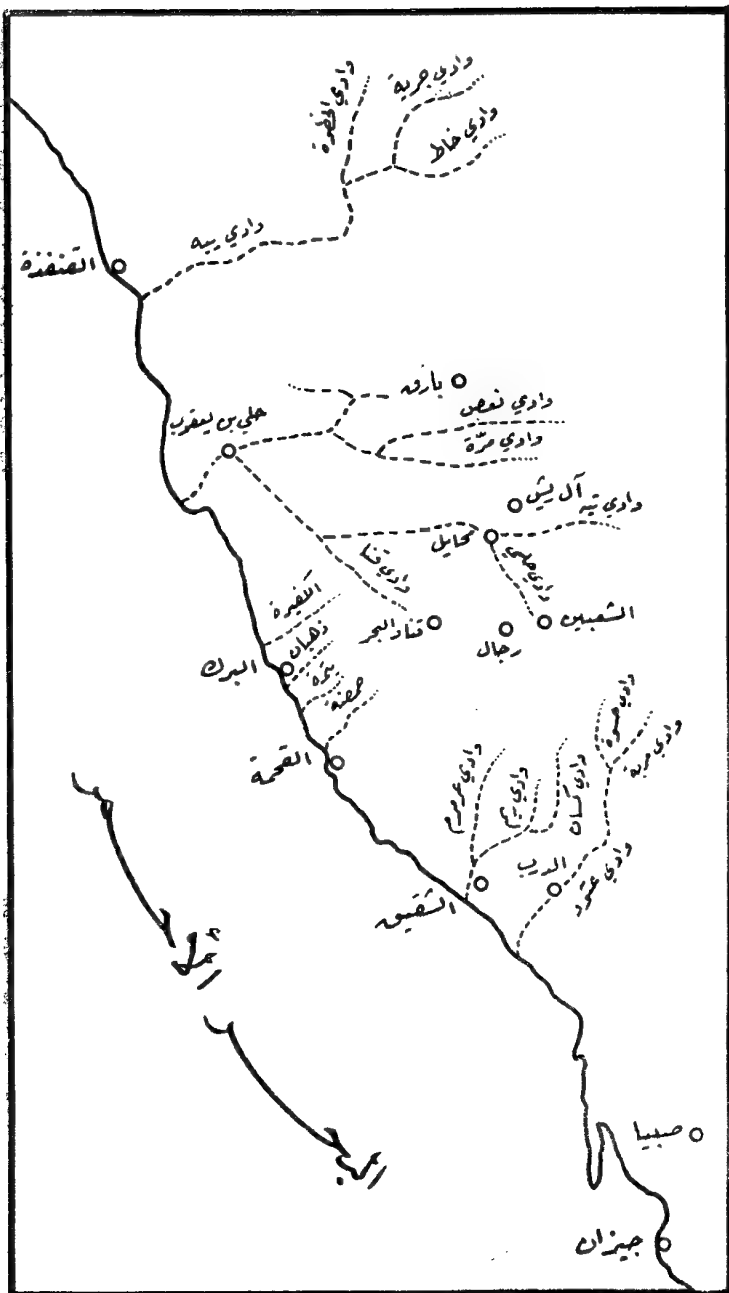
الريش : ويتبعون محايل أيضاً ، وتتبعهم القبيلتان السابقتان .

آل مسمر : ويقدر عددهم بعشرة آلاف .

بنو توعة : وتقع منازلهم جنوبي محايل وحاضرتها القاعد .
قبائل المنحجة : ويقيم أفرادها على وادي عسلان ، وهم
من البدو . ويتبع قسم منهم الفحمة ، ويقدر عددهم بأربعين ألفاً .

٣ - قبائل قنا والبحر : ومساكنهم على ضفاف وادي قنا ،
وهم خليط من العرب ، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً .

٤ - بنو شعبة : ويقيمون في جنوبي تهامة عسير وحاضرتهم
الدرب وتعرف بدرب بني شعبة . هذا بالإضافة إلى قبائل ثانية
تعيش بين هذه القبائل بعضها لا يزال يعيش بدوياً ، وبعضها
الآخر مستقراً .





آل مسؤل آل الدریب

آل یسی

آل موسیٰ آل خنارہ

بنو نوحه

قنا والبحر
آل مسر

فنا
دجال الملعون

المقدمة

بنو سبعة

قبائل تهامة عسير

الفصل الرابع

رجال الحجر

الحجر هو ابن الهنو بن الأزد ويقصد برجال أربع قبائل هي : بالأحمر ، وبالأسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو وتقيم في السراة شمالي سراة عسير كما أن قبائل أخرى تتبعها وتقطن تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بـ ٤٠ ألفاً •

١ - بالأحمر : وتقع منازلها على ضفاف أودية عبل وصبح ويحان والماوين ، وتتجه نحو الشرق لترفد وادي بيشة وبطونها كثيرة تزيد على ستة وثلاثين بطناً ، ومركزها بلدة الماوين ، ويقدر عدد أفرادها بثلاثين ألف نسمة ، ومعظمهم يقيم في السراة •

٢ - بالأسمر : وهم إلى الشمال من بالأحمر وأهم أوديتهم وادي « يعا » ويأتي من أعلى السراة وتأتيه الروافد وتسير مياهه نحو الشرق لترفد وادي بيشة ، وحاضرتهم آل خريم أو اثنين بالأسمر لأن السوق يقام فيها يوم الاثنين لذا عرفت بهذا الاسم • وتبدأ بلادهم من وادي « عبالة » وتلثا هذه القبيلة يقيمون في تهامة ، ويقدر عدد القبيلة بأربعين ألفاً •

٣ - بنو شهر : وأشهر أوديتها وادي تنومة ويأتي من أعالي السراة باتجاه الشرق ليرفد وادي ترج المشهور والذي

يقال : إن الأسود كانت تكثر فيه ، هذا ما أورده الهمداني في كتابه « صفة الجزيرة العربية » وأهل المنطقة يقبلون الجيم ياء لذا يلفظونه « تري » وأخيراً تؤول مياه وادي ترج إلى وادي ييشة .
أما وادي تنومه فترفده عدة أودية منها « سدوان » و « نحيان » و « منعا » وغيرها من الروافد .

وينقسم بنو شهر إلى قسمين رئيسيين هما « سلامان » و « بنو الاثلة » وكل من هذين القسمين يتألف من عدة بطون .

وحاضرة هذه القبيلة « النماص » واسمها القرية ، وسميت بالنماص لوجود شجر النمص فيها وهي بلدة يسكنها آل العسبلي أمراء بني شهر ، منذ أيام الحاكم العثماني محمد رديف باشا عام ١٢٨٨ أصبحت مركز بني شهر إذ بني فيها مركز للحكومة . وفي الجنوب الغربي من بلدة النماص توجد أعلى مرتفعات البلاد حيث يرتفع جبال يعرفان باسم « تلّحصن » ، ويوجد فوقهما أغلب الأحيان قطع من السحاب الأبيض . كما ترتفع في غربها في تهامة ثلاثة جبال منفصلة عن السراة ، وتعتبر من جبال تهامة ولا يقل ارتفاعها كثيراً عن جبال السراة التي تقابلها ، وهذه الجبال تعرف باسم « ثرَبان » و « نَهَوَ » و « ريمان » . والارتفاع يصل إلى ألفي متر تقريباً، وبهذا الارتفاع نجد النماص تشبه مدينة أبها .

ومن أشهر قبائل بني شهر :

أ - شهر ثرامين ، شهر الشام ، بنو عبس .

ب - بنو القيم •

ج - العوامر •

- د - بلحارث : ويطلق على هذه القبيلة اسم « الشعفين » •
وبعض بطونهم يعيشون في تهامة في وادي « بقرة » •
هـ - تربان : ويقيم أفراد هذه القبيلة في الجهات الغربية من
بلاد بني شهر • ويقدر عدد بني شهر بمائة ألف نسمة •

أما تنومة فقد أصبحت مركز الإمارة عامة وهي مدينة
تاريخية وقرية من بلدة النماص وإلى الجنوب منها بحيث يمكن
أن ترى منها •

٤ - بنو عمر ويقدر عددهم بسبعين ألفاً • وتقع منازلهم
شمالي سراة الحجر ، وتختلط منازلهم مع مساكن أبناء عمهم بني
شهر ، وتنحدر أوديتهم نحو « وادي كرج » ثم تؤول في النهاية
إلى وادي ييشة •

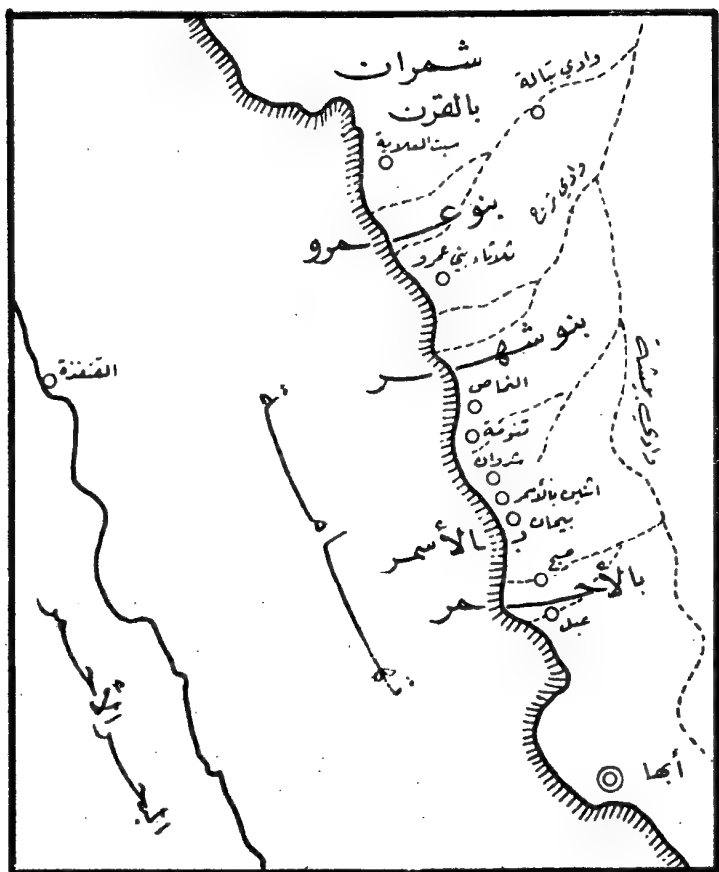
وهم جزءان كبيران بنو تميم وبنو كعب •

وأكثر بيوت هذه المناطق مبنية بالحجارة وترتفع إلى عدة
طبقات تصل إلى أربعة أدوار باستثناء بيوت بالأحمر فإنها مبنية
الجدران بالحجارة في قسمها الأسفل أما القسم الأعلى فمقام من
اللبن • ونوافذها صغيرة ، وليس في الجدران من الداخل تلك
الزخارف التي وجدناها في بلاد عسير ورجال ألمع وإنما مطلية
بالطين فقط •

أما العادات فهي قريبة من عادات جبال الحجاز في غامد
وزهران وإن كان منها ما يشبه عادات قبائل عسير أو نستطيع
أن نقول : إن رجال الحجر لهم عادات تشبه عادات سكان جبال
الحجاز وأخرى تشبه قبائل عسير أو هي مرحلة انتقالية بين
المنطقتين • فالرجال يلبسون عادة الثياب البيضاء أما النساء
فيلبسن السوداء أو الملونة، هذا بالنسبة إلى السراة، أما في تهامة
فالوزرة هي الشائعة ، وتلبس النساء القبعات « الطفشة » وهي
عادة سافرة الوجه واليدين بسبب مساعدة الرجل في أعماله أو
لكثرة الأعباء الملقة على عاتقها ، وإن كانت هذه الأعباء قد بدأت
تقل ، فلم تعد المرأة تنزل إلى السوق لتأخذ حاجات بيتها إلا نادراً
وإن أصبحت هذه من وظائف الرجل •

وبالنسبة إلى اللهجة فاستبدال أل التعريف بأم غير معروفة،
بينما الجيم غير موجودة عندهم وإنما يستبدلون بها بحرف الياء
كما رأينا •

٥ - بالقرن : وتقع منازلهم في شمال بلاد بني عمرو ،
وحاضرهم العلاية وتعرف عادة باسم « سبت العلاية » حيث يقام
السوق فيها يوم السبت •



بلاد رجال الحجر

الفصل الخامس

شِهْرَان

شهران قبيلة كبيرة ولهذا تسمى العريضة ، وهي تسكن وادي بيشة وفروعه عدا بعض أعاليه حيث تقيم فيها قبيلة رفيذة من قحطان • كما توجد في مجراه الأسفل بعض فروع من قبائل خثعم وأكلب وبلحارث وبالقرن وشهران • وكذلك فإن هذه القبيلة تملك منطقة وادي السيرق الذي يتألف من اجتماع أودية السليل وخير والشيق • ويسكن بعض شهران قسماً من منطقة الشعف تسمى شعف شهران وفيها عدة قرى منها القرعاء، ومسقى، وبني جابرة، وآل سرحان ، وآل القارية ، وآل ينفع وكذلك يقيم أفرادها في سيل القاع أحد روافد وادي تثليث •

ولكثرة هذه القبيلة فإن بعضهم يعيش في إمارة بيشة كما أن بعضهم يقيم في إمارة نجران ، ولكن القسم الكبير منها إنما يتبع إمارة أبها •

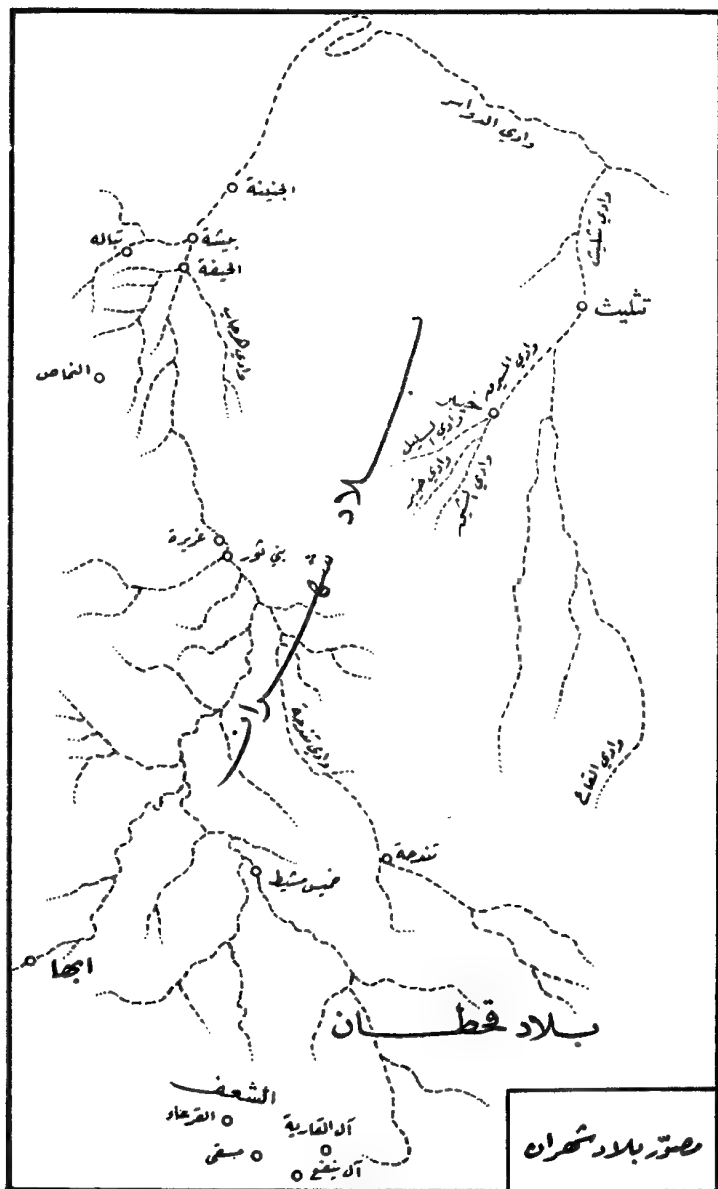
والقبيلة من أصل قحطاني عدا شعف إراشة فإنهم ينحدرون من عنز أي من القبائل العدنانية •

وشهران عدة بطون أشهرها : آل رشيد ، آل الغمر ، بنو بجاد ، ناهس ، بنو منبه ، بنو واهث •

ويصل تعداد أفرادها إلى ٢٥٠ ألف نسمة ، ومركزها خميس مشيط ، وتنسب إلى ابن مشيط شيخ القبيلة ، ويكون السوق فيها يوم الخميس . وتقع على واد يعرف باسمها ، وهو فرع من وادي بيشة . وفيها مطار يقع إلى الشرق منها على مسافة قريبة . . بينما لا يوجد مثله في مدينة أبها ولذا فهي ثغر عسير الجوي . . كما أن معسكر المنطقة يقع إلى الجنوب منها ، والمعسكر منذ القديم يقام فيها . ولا تبعد عن مدينة أبها سوى ٣٥ كيلو متراً . وكان الشائع قديماً في بلاد شهران سفور النساء واختلاطن مع الرجال ، ورخص مهورهن ، وكثرة الأعمال التي يكلفن بها إضافة إلى أعمال المنزل مثل الاحتطاب ونقل الماء وسقي الماشية والبيع في الأسواق ، وقد زالت أكثر هذه الظواهر الآن .

ومن المراكز الهامة التي تتبع أبها تثليث ، وهي ملتقى عدة أودية تجتمع كلها وتعرف باسم وادي تثليث حيث تؤول مياهه إلى وادي الدواسر في النهاية ، وتبعد هذه القرية عن مدينة أبها مسافة ٢٥٠ كم ، وعن بيشة مسافة ١٠٠ كم وعن الدواسر ٢٠٠ كم . وهذا المركز في منطقة صحراوية تقل فيه المياه وإن كانت المياه الجوفية قريبة من سطح الأرض يمكن الحصول عليها بالحفر العادي . والطريق الذي يصلها بأبها لا تقوم الآبار عليه . . . مما يضطر المسافرين إلى أن يتزود بالماء قبل رحيله .

وتثليث مركز قديم وقد جاء في « صفة جزيرة العرب » (تثليث كان لعمر بن معد يكرب الزبيدي وفيه حصن ونخيل ، وفيه القرار والريان وجاش) .



الفصل السادس

قحطان

قبيلة قحطان في عسير مجموعة قبائل تعود إلى خولان وهدان تسكن ما بين ظهران الجنوب وقبيلة شهران ومن أهم أوديتها : ظهران — تثليث — الجوف — سنحان — بشر — يعوض — الراحة •

وهي عدة قبائل منها :

١ — وادعة : وترجع إلى همدان وتقيم على ضفاف وادي ظهران شمال بني صحار وغرب قبائل حبونة وبدر وهي مجموعة بطون منها : آل سيار — آل زاهر — آل رشيد — المخاضي — آل ثابت — آل جبير — آل مونس — سحامي — القضاء — آل علي بن محمد •

وشيخها ابن دليم ويقدر عدد أفرادها بستين ألفاً •
٢ — سنحان : ويقدر عددها بخمسين ألفاً ، وشيخها ابن دليم • وهي عدة بطون منها : السلاطين — آل يعلى — آل زائد — آل مرتفع — الخمجات — هباله •
وتعود في أصولها إلى خولان •

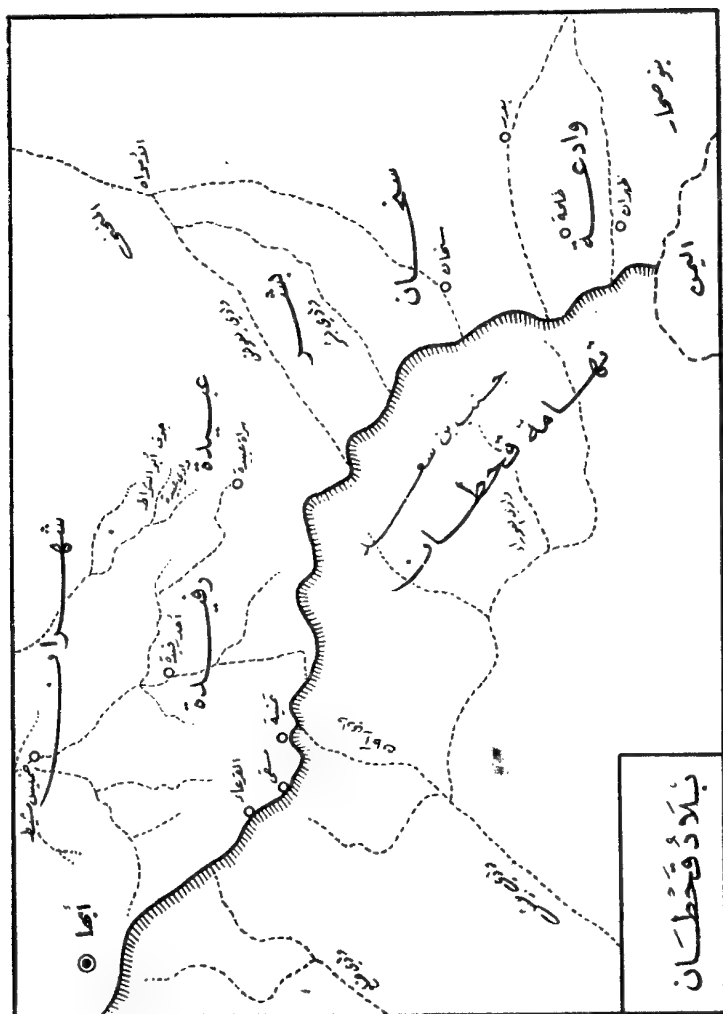
٣ — بنو بشر وشريف : وتختلط منازل هاتين القبيلتين ، وشيخها ابن دليم • ويقدر عدد أفراد هاتين القبيلتين بستين ألفاً •

٤ - عبيدة ورفيدة : أما عبيدة فهي من خولان أي قحطانية
ويقدر عدد أبنائها بخمسين ألفاً وأميرها ابن شفلوط ، أما رفيدة
فهي عدنانية وتعود إلى عنز بن وائل وتقدر بخمسين ألفاً •

٥ - الجارمة : ويقال قبيلة جارمة وخطاب وعددهما ٥٠
ألفاً ، وهم من خولان •

وهناك قبائل أخرى صغيرة هي : ألحاف - وقشه - ذعي -
بنوقيس - آل الشواط ويقدر عدد القبائل جميعها بخمسة
وعشرين ألفاً •

ويقال لبدو تهامة قحطان جنب بن سعد •



عَدَدُ السَّكَّانِ

١١٠.٠٠٠

قبائل عسير :

٢٥٠٠٠	علكم
٣٠٠٠٠	بنو مغيد
٢٥٠٠٠	ربيعة ورفيدة
٢٥٠٠٠	بنو مالك
٥٠٠٠	قبائل تابعة

١١٥.٠٠٠

رجال ألمع :

١٥٠٠٠	بنو قيس
١٢٠٠٠	بنو جونة
١٥٠٠٠	بنو ظالم
١٠٠٠٠	بنو قطبة
١٠٠٠٠	بنو زيد
١٠٠٠٠	آل صلب
١٥٠٠٠	بنو شحب
١٠٠٠٠	شديدة
٨٠٠٠	بنو العيص
١٠٠٠٠	البناء

قبائل تهامة :

١٩٠ر٠٠٠

٥٠٠٠٠	بارق
١٥٠٠٠	محایل
٣٠٠٠٠	بنو شعبة
١٠٠٠٠	قبائل أخرى

رجال الحجر :

٢٤٠ر٠٠٠

٣٠٠٠٠	بالأحمر
٤٠٠٠٠	بالأسمر
١٠٠٠٠	بنو شهر
٧٠٠٠٠	بنو عمرو

قبائل شهران :

٢٥٠ر٠٠٠

قحطان :

٣٦٠ر٠٠٠

٦٠٠٠٠	وادعة
٥٠٠٠٠	سنحان
٦٠٠٠٠	بشر وشريف
٥٠٠٠٠	عبيدة
٥٠٠٠٠	رفيدة
٥٠٠٠٠	الجارمة وخطاب
٢٥٠٠٠	قبائل أخرى
١٥٠٠٠	بدو تهامة

١٢٦٥٠٠٠

وبهذا يكون عدد سكان منطقة عسير أكثر من مليون
وربع المليون وأعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن شيوخ القبائل
كثيراً ما يعطون أرقاماً تزيد عن الحقيقة واعتقادي هذا يعود إلى
الاحصاء الذي جرى في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤ هـ
والذي دل أن عدد سكان المملكة لا يزيد عن ثلاثة ملايين ونصف
المليون ، وما أعتقد أن سكان منطقة عسير يزيدون عن خمس
سكان المملكة وبهذا أتوقع أن يكون العدد المقبول لسكان المنطقة
هو ثلاثة أرباع المليون .



الباب الثالث
التاريخ

الفصل الاول

بلاد عسير في العصر الإسلامي

كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها بعدد أفرادها ، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على غير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء •

وعندما شاع نور الإسلام في الجزيرة العربية وأصبحت المدينة المنورة مركز انطلاقه ومنطلق اشعاعه على حين بقيت مكة المكرمة تقف في وجهه وتحول دون اتساعه وكان سكانها من قريش قادة الصادين عن دين الله ، وأبطال الواقفين أمامه ، ولهم ما لهم من مركز بين قبائل العرب لما لهم من مهابة وما لمدينتهم من قداسة وكذا كانت الطائف وسكانها من ثقيف ، ولما كانت المدينتان مكة والطائف تقعان بين المدينة وعسير ، فقد حالتا دون وصول الاسلام إلى هذه البقعة وهذا ما يعلل سبب تأخير وصول الإشرقة السماوية إلى هذه المنطقة من أرض العرب •

ولما فتحت مكة المكرمة للمسلمين ودانت لهم الطوائف وخضع لهم ما حولها من قبائل وأعراب ، وزالت الأصنام ودالت دولة الشرك ، وابتدأت القبائل تدخل في دين الله أفواجاً وصل شعاع الحق إلى عسير فوفد الصرد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه في السنة العاشرة للهجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس وفد من قومه •

أسلم الصرد بن عبد الله رضي الله عنه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بهم من كان يليه من أهل الشرك ، فخرج رضي الله عنه حتى أحاط بمدينة جرش قاعدة منطقته التي كانت تعرف باسم مخلاف جرش ، وحاصرها حصاراً شديداً استمر ما يقرب من شهر عجز فيه عن فتحها ، فانشمر عنهم وكأنه يريد إيهامهم بأنه منهزم فخرجوا في طلبه حتى إذا كانوا بسفح جبل شكر ، عطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزموا أمامه واعتصمت فلولهم بالمدينة جرش ، وأخيراً صالحوه على الفداء ، وكان منهم بعد عصر يوم الواقعة وفد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما رجلان فقط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلد شكر ، فقال وفد جرش: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر ، فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قال الوفد : فما شأنه يا رسول الله ؟ فقال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ، وجلس وفد جرش إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم يعني لكما قومكما فقوموا إليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع
عن قومكما ، فقاما إليه فاسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ،
فخرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى
قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

تولى الصرد بن عبد الله رضي الله عنه أمر هذا الأقليم ، وكان
أول من وليه بعد ظهور الإسلام وقد بقي عاملاً لرسول الله على
جرش حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

فصل في قدوم الأزد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى
المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت
أبا سليمان الداراني ، قال : حدثني علقمة بن مرثد بن سويد
الأزدي ، قال : حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث . قال :
وفدت سبع سبعة من قبومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمئنا وزينا فقال :
ما أنتم ؟ قلنا : مؤمنون ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال « لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم » قلنا خمس
عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن تؤمن بها ، وخمس
أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها
حتى تكره منها شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ » قلنا : أمرتنا
أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال :
« وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا : أمرتنا أن

(١) عن الحلبية فقط .

نقول لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً . فقال : « وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية » قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال « وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوها ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء أتمم عنه غداً زائلون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلصون » . فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها (١) .

وبقي الصرد بن عبد الله والياً على جرش حتى انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وجرش مدينة بائدة ولا زالت أطلالها قائمة ، وتقع على قاع منبسط بالقرب من سفح جبل شكر من جهته الغربية ، وهذا الذي وقعت عنده الموقعة بين من آمن من أهلها ومن كفر ، ويقع في بلاد ربيعة الآن شمالي بلدة أحد ربيعة ويبعد عن أبها مسافة ٤٠ كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي منها وقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة جرش :

(١) البداية والنهاية ٩٤/٥ . طبعة مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض .

جَرَش : بالضم ثم الفتح ، وشين معجمة ، من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وهي في الاقليم الأول ، طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع عشرة درجة ، وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير أن تبعاً «أسعد بن كليكرب» خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان يجرش ، وهي إذ ذاك خربة ، ومعد حالة حوالها ، فخلّف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً ، وقال : اجرشوا هاهنا أي البثوا ، فسميت جرش بذلك ، ولم أجد في اللغويين من قال ان الجرش المقام ، ولكنهم قالوا إن الجرش الصوت ، ومنه الملح الجريش لأنه حك بعضه ببعض فصوص حتى سُحق لأنه لا يكون ناعماً ؛ وقال أبو المنذر هشام : جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم فغلبت على اسمهم وهو جرش واسمه منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث

ثم قال : قرأت بخط جنجخ النحوي في كتاب أنساب البلدان لابن الكلبي : أخبرنا أحمد بن سهل الحلواني عن أبي أحمد محمد بن موسى بن حماد البريدي عن أبي السري عن أبي المنذر قال : جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تبعه ، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل

معه يومئذ كان جرشياً ، وينسب إليها الأدم والنوق فيقال : أدم
جرشي وناقة جرشية ، قال بشر بن أبي خازم :

تَحْدَرُ ماءَ البئرِ عن جرشيّة

على جريرةٍ ، تعلو الديار غروبها

يقول : دموعي تحدر كتحدّر ماء البئر عن دلو تسقى بها
ناقة جرشية ، لأن أهل جرش يسقون على الإبل ، وفتحت
جرش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، في السنة العاشرة للهجرة
صلحاً على الفء وأن يتقاسموا العشر ونصف العشر ، وقد نسب
المحدثون إليها بعض أهل الرواية ، منهم الوليد بن عبد الرحمن
الجرشي مولى لآل أبي سفيان الأنصاري ، يروي عن جبير بن
نكير وغيره ، ويزيد بن الأسود الجرشي من التابعين ، أدرك
المغيرة بن شعبة وجماعة من الصحابة ، كان زاهداً عابداً سكن
الشام ، استسقى به الضحّاك بن قيس وقتل معه بمرج راهط .

أما الهمداني المتوفى عام ٣٣٤هـ فيقول : جرش كورة نجد
العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويتراأس فيها العواسج من
أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد عود
وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز
وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي
قريش والغازين نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج
ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها . وجرش في قاع ولها أشراف
غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقها بينها وبين

حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء - حمومة وحمّة وكولة - ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبه جرش حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شامها عسير قبائل من عنز وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تيه وهي عقبة من أشراف تهامة (١) .

وتولى أمر جرش في أيام الصديق رضي الله عنه عبد الله بن ثور وقد طلب منه الصديق أن يمدّه بالمؤمنين من منطقته ليقاتل المرتدين ، وقد فعل ، واستمر في إمرته أيام عمر وعثمان رضي الله عنه وبعد ذلك كانت عسير تتبع مكة المكرمة .

شاركت قبائل عسير مع الجيوش الإسلامية بالفتوحات والانطلاق خارج الجزيرة العربية ، فلما توقفت الفتوحات عاش سكان المنطقة في مرتفعاتهم حياة هادئة مطمئة يخضعون للدولة ويدينون بالولاء للوالي الذي يتبعون إليه في مكة المكرمة .

ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وتقاتلهم، توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم وبخاصة الغربية منها والجنوبية ، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير

(١) صفة الجزيرة العربية تحقيق محمد بن علي الأكرع
الحوالي - أشراف حمد الجاسر - منشورات دار اليمامة بالرياض

وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ، ولم يمض على ذلك سوى عدة سنوات ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتتنطح إليه غيرها ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عبيدها بحركة على الدولة أو يحارب أميراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسير أو مقتل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعد مدة أن يرجع الأمر كما كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد .

إن الأمير الذي يولد في حضن العز وينشأ في بيت كريم المنبت لا يستطيع أن يكون إلا كذلك وإن حطت به الأيام أو أذلت الظروف إذ لا تلبث أن تحركه أرومته وتدفعه سمعته وأمجاد سلفه أن يعود إلى مكانه الطبيعي فيأتيه الناس مقدرين له حسبته ووضعه الذي هو فيه فإن النفس البشرية لترحم عزيز قوم ذل وتشفق على إنسان حط به القدر ، هذه الرحمة وهذه الشفقة لتجعلان له من وضعه الضعيف مركزاً محترماً وموضعاً لاثقاً ، وإذا كان هذا العزيز قوي الحجة طلق اللسان استطاع أن يجعل من وضعه الذي هو فيه قوة ومن مطلبه حقاً ومن رغبته عدلاً ، وكثيراً ما كان ينشأ أولاد الأمراء على هذا ويربون على ذلك وعلى الكرم ليكونوا أهلاً لمناصبهم ، إذ لا يرتفع إنسان بخيل ،

ولا بد لمن يريد أن يتصدر المجالس ويجمع حوله الناس من أن يكون كريماً ، فالكرم عنوان الامكانيات على القيادة ودليل القدرة على توجيه الناس حسب الوجهة التي يريدها وإعلاء رأيه وإن قلّ مؤيدوه في بداية الأمر وضؤل أنصاره •

وإذا كان للشجاعة دور كبير إلا أنها لا تنعدم في رجل قطع أكباد الإبل واجتاز الفيافي في سبيل رأيه وعزة نفسه فلو لم يكن شجاعاً لكان في الأصل ممن سكت على ضيم فنال مصيره المحتوم كما ناله الكثير من أسرته أو عاش حياة الذل بين الجموع التي يحيونها في كل زمان فلا يطالهم أذى ولا ينالهم خير ، لا يرتفع لهم اسم ولا يعلو لهم شأن •

وإن في الأسرة الواحدة سواء كانت حاكمة أم محكومة أفراداً كثيرين، ولكن ليسوا جميعهم ، يرتقون إلى مصاف القادة وعداد العظماء وإنما الذي يصل إلى ذلك المركز من يتجشم المخاطر ويتحمل المصاعب ويضحى في سبيل ذلك بنفسه وولده وما يملك •

ولعل في هذه الأسرة التي تتكلم عنها وهي الأسرة الأموية أكثر من انموذج واحد لهذه التضحية وهذا البذل وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا إلا صورة واحدة وهي صورة عبد الرحمن الداخل الذي ذهب إلى الأندلس وبقي عدة سنوات في طريقه يختفي إذا انبلج الصبح ويسير إذا جنّ الليل يتصور أمامه مرأى أخيه الصغير تقتله جنود بني العباس وهو يحاول اجتياز

نهر الفرات معه ، قتل وعينه تنظر وتدمى وقلبه يتفطر ولكن لا بد له من قوة القلب ورباطة الجأش ومتانة الأعصاب حتى يستطيع أن ينجو بنفسه..... يحلّ الرحال إذا وجد مكاناً أميناً ويشدّها إذا خاف بطش متملق غادر ، وأخيراً استطاع أن يصل إلى مأمنه وتمكّن بدعائه أن يؤسس دولة لها في التاريخ من المركز مالهاء...

وإذا كان عبد الرحمن قد طغى على غيره من أبناء العمرة الفارين من وجه العباسيين فذلك لقوة الدولة التي أقامها في تلك المنطقة وقد ساعده حسن موقعها وبُعد مركزها عن أعدائه وصلاح منطقتها واتساع أرضها وكثرة خيراتها وتعداد جندها أما الأمكنة الأخرى التي اتجه إليها بقية الأمراء فلم تكن شروطها مواتية ولا جغرافيتها مناسبة ولا ظروفها ملائمة كما لم يكن غناها كافياً لإقامة دولة وهذا شأن بلاد عسير ذات الرقعة المحدودة والجند الضئيل والعدد القليل والمرتقى الصعب بحيث يجعل من كل بقعة منها أرضاً منفصلة فيها أسرة مستقلة وفيها زعامة قائمة بحد ذاتها ثم قربها من اليمن ذات المناعة والثورات الدائمة بحيث تمر الجيوش باستمرار من عسير أو على مقربة منها بحيث يمكن استخدامها للقضاء على كل حركة ، وإضافة إلى هذا فعبد الرحمن على نسب قريب من حكام بني أمية للأواخر ، فهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وجده هشام لم تمض على خلافته أكثر من سبع سنوات ، فالأنظار تتجه نحوه

وأفراد أسرته معروفون جميعاً لاتخفى منهم خافية ولا يغيب عن أعدائهم فرد ، ويمكن أن يكون الأمر إليه ، لذا يجب القضاء عليه
..... أما علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد فقد ذهب الحكم من فرع أسرته منذ أكثر من ٦٨ سنة لذا فقد نسي الناس هذا الفرع وطوى التاريخ البيت السفيناني وإن كان هو المؤسس للدولة الأموية حتى انصهر أمراؤه بين أفراد الشعب وضاعوا بين عناصر المجتمع وبخاصة لضعف الذين ورثوا الأمر بعد يزيد والتفات أبنائه إلى أعمالهم وبعدهم عن أمور الحكم التي استقل بها أبناء عمومته من الفرع المرواني . وربما هذا ما جعل المؤرخين ومنهم ابن كثير يقولون بأن نسل يزيد قد انتهى إذ لم يعقب أبنائه .

وصل علي بن محمد إلى عسير وتحالف مع قبائلها ، واستطاع بمدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعة وصاحب النفوذ ، وقد يكون قد أخفى نفسه في بداية الأمر حتى لا يطلبه الوالي ويدفعه إلى بغداد لينال هناك جزاء العداوة وعقاب الفرار وهذا ما يضيف سبباً ثانياً إلى الاعتقاد بانقطاع نسل يزيد ابن معاوية . دفعت علياً نفسه وقد رأى من قوته ما رأى أن يثور على الدولة العباسية وقد صار الأمر فيها إلى المهدي ولكن دون أن يفصح عن شخصه ومن غير أن يعلن عن هويته حتى لا يزداد الاهتمام بأمره مادام من سلالة الأسرة التي زال منها الحكم ولا يزال لها من الأنصار العديد ، خاصة وأن وضع بني العباس لم

يرق للكثيرين الذين كانوا يؤيدونهم سواء من العرب عامة أم من
 الطالبين خاصة، أم من الذين كان يسوؤهم وضع بني أمية في أواخر
 عهدهم فكانوا يرجون الإصلاح بتغيير الأوضاع فلما تمّ ساءت لهم
 عواقبه فقلبوا ظهر المجن إلا أن السيف قد أخرس الألسن فكفت
 عن الكلام ومحا أسطار البلاغة فاخفت الكتب التي تريد أن تظهر
 بعض الحقيقة ، إلا أن الجيش الذي أرسله المهدي إلى اليمن
 والذي رغب علي بن محمد أن ينازله وأن يوقعه في كمين ينصبه
 له ، ولكن قوته لم تكن قد اكتملت بعد وليست بحالة تؤهله
 للموقف أمام هذا الجيش الكبير الذي كان بقيادة عبد الله بن
 عبد الرحمن بن عبد الله الغامدي فمات قتيلاً عام ١٦٩ هـ ورغم
 هذه النكبة التي أصابت الأسرة هناك وأضعفت كلمتها إلا أن
 نفوذها لم ينته ، واستطاع أبناء علي بن محمد وأحفاده أن يعيشوا
 في تلك الأرجاء ويحاولوا التماسك فيما بينهم والاحتفاظ
 بمركزهم بين قبائل عسير وبماضيهم الذي ورثوه واستمر ذلك
 حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حيث وقع الخلاف على
 الزعامة بين أبناء العم فصقر بن حسان بن سليمان وهو الذي
 ينتسب إليه آل عائض وابن عمه علي بن إبراهيم بن سليمان الذي
 ينتمي إليه آل يزيد الشعف والذي كانت إمارته على قحطان
 وشهران ، حدث بينهما الخلاف فانتقل علي إلى قرية السربة وهي
 لبني مأجور أحد فروع قبيلة ربيعة وحلفاء بني مغيد فكان أن
 قتل عام ٦٥٢ هـ بقرية دلفان إحدى قرى بني الأزهر وهم أحد

فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران، حيث كانت ربيعة قسمين، أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد ... فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل . واستمرت الإمارة في صقر بن حسان وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن ابراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف .

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق ، وتنفصل في المغرب ، وتنزل في الجنوب ، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فبُعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد ، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الشمال خاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم .

لقد شملت سلطة الطولونيين عسير عام ٢٥٤ - ٢٩٣ هـ (٨٦٨ - ٩٠٥ م) ثم عاد الأمر للعباسيين قليلاً ٢٩٣ - ٣٣٠ هـ (٩٠٥ - ٩٤١ م) ثم صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى والذي

يفرض سيطرته على الحجاز ، فقد خضعت للاخشيين مدة ثم
للفاطميين بعد ذلك .

لقد كان سكان عسير يديرون شؤون بلادهم بأنفسهم ،
ويعلمون الطاعة لصاحب النفوذ الكبير مفضلين عدم القتال وعدم
الخوض في دماء المسلمين ، ولكن إذا داهمهم عدو أو حاول
غزوهم خصم وقفوا في وجهه واستفادوا من مناعة بلادهم ووعورة
أرضهم في حربه ورده خاسراً ، فعندما قامت فتنة القرامطة في
الجزيرة العربية ، وغلبوا أكثر أهلها ، ودانت لهم أكثر أجزائها
امتنعت عنهم عسير ، ووقفت في وجههم ، وردتهم على أعقابهم
خاسرين ، وتوقفت مجازر القرامطة وسوء أعمالهم عند أقدم
مرتفعات عسير .

واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر
الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلاجقة عام
٤٦٣ هـ (١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية
من عسير .

وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة
أملكهم ، وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم
إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت
عسير تتبع الأقوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخرى لأولئك حتى
إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك
كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير .

الفصل الثاني

أنكام الضعف

في هذا الوقت تغيرت القوى الدولية وظهرت الصليبية في المشرق فكانت نتيجة ذلك أن تغيرت الأوضاع في هذه المنطقة ولا بد لنا من أن نتحدث بعض الشيء عما حدث .

استطاعت أوروبا كافة أن تدعم الاسبان والبرتغاليين في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس حتى تمّ لهم النصر إذ كان المسلمون آنذاك متفرقين في كل جزء دولة وفي كل اقليم سلطان يتناحرون في أغلب الأحيان فاستطاع الاسبان والبرتغاليون أن يطرّدوا المسلمين من الأندلس ، وأن يدخلوا غرناطة آخر معقل للمسلمين ، وذلك عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وقاموا يذبحون المسلمين الذين بقوا في الأندلس ويرتكبون بحقهم جرائم تقشعر لها الأبدان — على الرغم من العهد الذي قطعوه لحاكم غرناطة الذي سلم لهم المدينة بموجبه — حتى لم يبق في شبه جزيرة ايبيرية مسلم واحد ، ويمثل أعمالهم أبو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة التي يرثي فيها الأندلس والتي مطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش انسان

حتى يقول :

وظفلة مثل حسن الشمس إذا طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العالج للمكروه مكرهه والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولم يكتف الا سبان والبرتغاليون بهذا بل أرادوا ملاحقة المسلمين الى المغرب واخراجهم منها وبالفعل فقد استولوا على بعض المراكز على شواطئ البحر الابيض المتوسط في شمالي المغرب مثل مثيلة ووهران وغيرهما، ولا تزال سبتة ومليلة بأيديهم الى الآن، كما استولوا على مراكز على شواطئ المحيط الأطلسي غربي بلاد المغرب ، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا أنها لا تكفي لتحقيق بغيتهم ، لتمكن المسلمين في الداخل ، وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت ببعض حقدهم بدؤوا التخطيط لتحقيقها فرؤوا أن عليهم :

أ - أن يعرفوا طرقاً تجارية جديدة غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون ، وتصلهم هذه الطرق مباشرة بالشرق دون المرور بأرض المسلمين ، وبهذه العملية يفقد المسلمون الأرباح التي يجنونها من التجارة ، وتصبح بلادهم في معزل عن العالم ، ولهذا نرى أن الدول الأوروبية المختلفة أسرع الخطو للمعرفة الجغرافية والتي كان

من نتائجها معرفة أوروبا لطريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقية ، وأمكن وصول أوروبا إلى الشرق مباشرة ، وإن طال الطريق فإن ذلك ليس له أية أهمية بالنسبة إلى الغاية الموضوعة نصب أعين العالم النصراني . كما كان من نتائج هذا العمل معرفة أميركا التي كانت عن طريق الصدفة في محاولة للوصول إلى الشرق باتجاه الغرب ، وبالفعل فقد أضعفت معرفة أوروبا لرأس الرجاء الصالح إمكانيات البلاد الإسلامية بشكل واسع ، إذ تحولت التجارة العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كانت تجنيها من التجارة ، وارتفعت أسعار الحاجيات التي كان ينتجها الشرق ، كما نتج عن ذلك تأخر اقتصادي خرب البلاد وأثر على رفاه السكان ، وأوقف الحركة العمرانية ، كما تأخرت الصناعة التي لم يعد لها أسواق خارجية .

٢ - عند الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين يجب السيطرة على تلك المناطق والاستعداد التام لقتال المسلمين ، وفتح المعركة عليهم من جميع النواحي بعد إحاطتهم إحاطة تامة . كما يجب على الأوروبيين الذين يصلون إلى البلاد المجاورة للمسلمين القيام بمحاولة نشر النصرانية بين السكان وحثهم على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ومن الضروري هناك الاتصال بالنصارى كافة للغرض نفسه ، ويبدأ الاتصال بنصارى الحبشة ، وتقديم العون لهم على قتال المسلمين والاشتراك معهم لتلك الغاية ، وفي الواقع فقد تم هذا الاتصال ، وحثت الحبشة ملوك أوروبا للقيام بحرب صليبية لإزالة الممالك الإسلامية التي كانت في حرب معها في شرقي إفريقية .

وتبنت البرتغال هذه الآراء ، وأرادت تنفيذها بالدراسة والإعداد لها ، وبعد التهيئة وجدت أن أقوى الدول الإسلامية في تلك الفترة غير الدولة العثمانية المتجهة نحو أوروبا ، إنما هي دولة المماليك التي كان مركزها القاهرة والتي تسيطر على شرقي إفريقيا، وتساعد المسلمين في حروبهم مع الأحباش ، وأن هذه الدولة سيصطدمون معها أول ما يصطدمون بصفقتها تسيطر على مراكز في شرقي إفريقيا، لذلك يجب إرسال الجواسيس إليها ليأتوا بالمعلومات العسكرية والبحرية بالدرجة الأولى واللازمة لتكفل لهم النصر عليها، واستفادت من بعض اليهود الذين يجيدون العربية لوجودهم في الأندلس فأرسلتهم إلى مصر ، والتقت هنا أهداف اليهودية مع أهداف الصليبية، وأظهر هؤلاء اليهود الإسلام، وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الجيدة حيث وضعت الأموال تحت تصرفهم ، وبعد مدة استطاع هؤلاء اليهود أن يعرفوا أحوال الجيش المملوكي وأوضاع البلاد الداخلية كما حصلوا على خرائط ومصورات للبحار ومعلومات عن الملاحة، وطريقة التخلص من منطقة الهدوء الإستوائي بقيت لغزاً يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة حيث تهدأ الرياح في المنطقة الاستوائية ولا تتحرك السفن التي تسير بالشرع وهي المعروفة فقط آنذاك ، ولا يمكن التنقل إلا في الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية وفي الخريف جنوباً مع الحركة نفسها . وعندما أخذ اليهود كل ما يريدون انسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال وقدموا ما حصلوا عليه من معلومات إلى الحكومة، وبهذا

حصلت البرتغال على كل ماتريد ، فأرسلت ملاحها المشهور « فاسكودي غاما » الذي وصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤ هـ - ١٤٩٧ م ، ثم تحركت سفنه في المحيط الهندي بالاتجاه شمالاً فطلع على المدن الإسلامية في شرقي إفريقيا ، وكان لا بد من الاصطدام مع الممالك (١) .

كان على الممالك أن يستعدوا لذلك خاصة وأن المسلمين من مختلف المناطق قد بدؤوا دعوتهم لحمايتهم ونجدتهم من هؤلاء طلب من اليمن ، من عامر بن عبد الوهاب سلطان بني طاهر وطلب من ملك كوجرات السلطان مظفر شاه يطلب مساعدتهم وقد كتب قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي الملكي المتوفي عام ٩٩٠ هـ في كتابه غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة والمسمى بالبرق اليماني في الفتح العثماني ما يلي « وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادم النواذر ، دخول « الفرقتال (٢) » اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، إلى ديار الهند ، وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة (٣) في البحر ويلجئون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من (جبال القمر) (٤) بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر ، أي أبيض ، وهي

(١) يرجع إلى كتابنا الكشف الجغرافية - حقيقتها - دوافعها .

(٢) الفرقتال : يقصد البرتغال .

(٣) زقاق سبتة : مضيق جبل طارق .

(٤) جبال القمر : في جزائر القمر ، وهي أربع جزر بين جزيرة مدغشقر وقارة إفريقيا .

مادة أصل بحر النيل^(١) ، ويصلون إلى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمواج لاستتقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلاص منهم (غراب)^(٢) إلى الهند ، فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر ، يقال له (أحمد بن ماجد)^(٣) صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له (إلى مالندي)^(٤) وعاشره في السكر^(٥) ، فعلمه الطريق في حال (سكره) ، وقال لهم : لاتقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلاتنالوا الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في « كوة^(٦) » من بلاد (الدكن) قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز^(٧)) وتقووا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من

(١) أصل بحر النيل : خطأ في معرفة منابع النيل .

(٢) غراب : نوع من أنواع السفن .

(٣) أحمد بن ماجد : الملاح العربي المشهور .

(٤) مالندي : مدينة ساحلية تقع في تانزانيا اليوم .

(٥) قضية السكر لم تثبت وإنما دعاية ضد المسلمين شاعت آنذاك .

آنذاك .

(٦) كوة : مدينة غوا على ساحل الهند الغربي .

(٧) هرموز : جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي بينه وبين

خليج عمان .

الفرقتال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ،
ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ،
وعم أذاهم على المسافرين ، فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمد
ابن أحمد شاه ، سلطان كوجرات يومئذٍ ، إلى السلطان الأشرف
قانسوه الغوري ، يستعين به على الفرنج ، ويطلب العدد والآلات
والمدافع ، لدفع ضرر الفرنج عن المسلمين ، ولم يكن أهل الهند إذ
ذاك يعرفون المدافع والمكاحل والبندقيات ، ومن أرسل
إلى السلطان الغوري يطلب منه النجدة على الفرنج : السلطان عامر
ابن عبد الوهاب ، لكثرة ضرر الفرنج بالمسلمين ، في بحر اليمن
وبنادرها ، وتواتر أذاهم ، وضعف جنود المسلمين في بحر اليمن ،
وتلك الديار عن مقاومتهم ، لعدم معرفتهم بحرب البحر ، واستعمال
المدافع ، ونحو ذلك ، فجهز السلطان (قانسوه) من كبار مقدميه
الأمير (حسين الكردي)^(١) .

إلا أن حسين الكردي احتل اليمن وقضى على دولة الطاهريين ،
واشترك في حروب مع أهل المنطقة ، ولم يكن الاسطول المملوكي بدرجة
من القوة تؤهله للوصول إلى الهند ومقاومة البرتغاليين وبخاصة
بعد تحطيم الاسطول المصري أمام الاسطول البرتغالي في معركة
(ديو) البحرية التي وقعت عام ٩١٥هـ - ١٥٠٩ م . وهكذا خضعت
المنطقة إلى الممالك الجراكسة .

(١) البسوق اليمني في الفتح العثماني ص ١٨ منشورات دار
اليمامة بالرياض ١٣٨٧ هـ اشرف حمد الجاسر .

ولكن دولة المماليك لم يطل عهدها بعد ذلك ، إذ نظر إليها العثمانيون فوجدوا أنها لم تقو على دفع البرتغاليين الذين إن تقدموا قليلا أثروا على الدولة العثمانية التي تحارب في أوروبا بل وتقف أوروبا كافة في وجهها وبهذا تصبح بين فكي كماشة أوروبا من الغرب والبرتغاليون من الجنوب والروس من الشمال ، هذا إضافة إلى ما أعلنه القائد البرتغالي « البوكرك » الذي خلف « فاسكودي غاما » من أنه يريد انجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

١ - تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها ، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك ، ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقعة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز •

٢ - تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، ونش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليء بالآلئ والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين^(١) •

(١) الكشف الجغرافية ص ٢٨ منشورات المكتب الاسلامي
بدمشق ١٣٩٣ هـ •

فكان على العثمانيين أن ينازلوا البرتغاليين قبل كل شيء ويهزموهم وذلك ما تقتضيه الفكرة الإسلامية إذ أن حرب البرتغاليين صليبية واضحة إضافة إلى الناحية العسكرية حتى لا يطوقوا من الجهات كلها، وكان أول عمل من واجبه القيام به هو توحيد ما يمكن من قوة المسلمين ، ولما لم يستجب الماليك ، كان لابد من القضاء عليهم واحتلال أراضيهم ، وهذا ما كان فقد تقدم السلطان العثماني سليم في بلاد الشام وانتصر على الماليك في مرج دابق ، وقتل قانصوه الغوري ثم دخل مصر عام ٩٢٣هـ ، وانتصر أيضاً في الريدانية على أبواب القاهرة ، ثم قتل (طومان باي) خليفة الغوري بعد أن قبض عليه ، وبذلك دالت دولة الماليك ، وأرسل شريف مكة «بركات» ولده « أبو غي » إلى السلطان وهو في مصر ، فسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين اعترافاً بالطاعة والولاء ، فأقره على إمرة مكة ، وعهد إليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة من قبل الماليك ، وبالفعل فقد قتل الكردي غرقاً في البحر على الرغم من استسلامه ، وفر عدد من الماليك الجراكسة إلى اليمن ، واجتمعوا حول الأمير برسباي في زبيد ، وكان قد قوي أمره هناك ، وأراد امتلاك اليمن ، فقتل عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك وأكثر الأمراء الطاهريين في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخرة ٩٢٣هـ . إلا أن أمر برسباي قد انتهى إذ هاجمته جماعة من العربان وهو في طريقه من صنعاء إلى زبيد ، وقتلته ، وتولى أمر اليمن بعده الأمير اسكندر الذي أتاه أمر من السلطان العثماني سليم عن طريق نائبه في مصر « خير بك » بأن

يكون والياً على اليمن من قبل العثمانيين ، فامتثل ، وهكذا خضعت المنطقة إلى حكم بني عثمان ، إلا أن هذا الخضوع كان إسمياً ، إذ بقي الأمراء في تناحر وخلاف يعتصم بعضهم في حصون منطقتهم ينازل الولاة ، أو يعلن العصيان ويقا تل الجوار •

وكان البرتغاليون قد استولوا على بلاد الهند ، وعجز أهلها عن مقاومتهم . ودفع ضررهم ومنع إلحاق الأذى بالمسلمين ، حتى أنهم غدروا بالسلطان بهادرشاه صاحب كوجرات فقتلوه غدراً ، فاستنجد عند ذلك أهل الهند بالسلطان سليمان القانوني الذي طارت شهرته في الآفاق لما قام به من فتوحات في أوروبا وانتصارات على أعدائه ، فتحركت فيه حمية الاسلام فأرسل لهم نجدة بحرية بقيادة سليمان باشا ، تحرك هذا القائد بأسطوله يريد الهند ، وفي طريقه عرّج على عدن ، وقتل غدراً أميرها عامر بن داود من بني طاهر ، فأعاظ تصرفه هذا الناس ، ووصلت أخبار عمله هذا وأضرابه إلى مختلف المناطق حيث كان سفاكاً للدماء محباً للتفرد بالسلطة في كل مكان يحل فيه فلما وصل إلى الهند خافه المسلمون فيها لما سمعوه عنه وأرادوا التخلص منه ، وأظهروا له اتفاقهم مع البرتغاليين بكتب مزورة وصلته ، فقرر مغادرة الهند على عجل ، وترك لسرعته أضخم مدافعه فيها وعاد إلى اليمن عام ٩٤٥هـ ، فقد كان كثير الخوف ، جباناً ، خوَّاراً رغم كل مافيه من غلظة وقسوة . ومن اليمن عاد إلى مصر فاستأنبول •

تضايق أهل اليمن من ظلم الولاة العثمانيين ، وخلافهم ، وكثرة استبدالهم التي دعت إلى وجود الفتن ، فاستقل ولاة بما تحت يدهم ، وانفصل حكام في مناطقهم ، ووسطا بعض الطامعين على بعض البقاع ، وهذا ما أشغل الدولة إضافة إلى شغلها الدائم فرغبت في إعادة فتح اليمن وتوطيد نفوذها فيها فأرسلت عام ٩٧٨هـ سنان باشا فأعاد فتح البلاد ونشر الاستقرار ولكن إلى مدة قصيرة من الزمن إذ عادت الأوضاع بعده إلى ما كانت عليه قبله بل ازدادت سوءاً مع زيادة ضعف الدولة العثمانية ، وكثرة حروبها في أوروبا التي تكاثفت في وجهها ، وأعلنتها عليها حرباً صليبية ، ويجب ألا ننسى طبيعة البلاد اليمنية وبعدها عن مركز الدولة وكره السكان لها لما لمسوه من ظلم ولايتها وقسوة أمرائها ، ثم هناك الخلاف العقائدي الموجود بين سكان أهل مرتفعات اليمن الزيديين وبين العثمانيين الذين هم من أهل السنة ، يضاف إلى ذلك ضعف الولاة الذين تولوا أمر اليمن بعد سنان باشا ، كل هذا جعل قبضة العثمانيين تتراخي وتضعف في تلك الأرجاء فتنطح كل في منطقته يريد الاستقلال ، وعزم زعماء على الانفصال ، وحكم كل أمير قبيلته حسب رأيه وهواه ، فعمت الفوضى وكثرت المحن .

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى وكثر الخلاف لابد لنا من أن نذكر حالة المناطق المجاورة لبلاد عسير والزعماء الذين تولوا أمر تلك الجهات أو الذين كانت لهم صلات بالأحداث التي دارت فيها آنذاك والذين لعبوا فيها دورهم .

١ - اليمن

كانت صعدة عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات ، واستمر أمرهم في المنطقة عدة قرون ، وهم يعودون بنسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب • وزالت دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر •

وعندما استولى العثمانيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب والذين يعيشون في مرتفعات اليمن على أحسن حال مع الولاة على حين لم يمتزج بعضهم الآخر معهم أبداً ، وظلوا معاكسين لهم حفاظاً على استقلالهم • وتفرّد الامام الطهر من بين هؤلاء بأنه كان هو وأولاده من بعده من أشد من أبدى عداً للولاة العثمانيين وأكثرهم ضراوة في مقاومتهم ، وقد وبدأت هذه المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ ، وقد استطاع عام ٩٧٥ هـ أن يستولي على صنعاء ، وآلت البلاد كلها إلى اضطراب ، وهذا مادعا مجيء سنان باشا - كما ذكرنا آنفاً - • ولكن بعد زوال سنان باشا عن اليمن وحوالي العام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد ، وكان من أعظم الأئمة الزيود ، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشيوخها كلهم وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقيم الزيديون بينما المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل

السنة وهم من الشوافعة ، وقد استطاع القاسم أن يمالئ العثمانيين وأن يعقد معهم اتفاقاً عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجبه المرتفعات ، وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد . وسيطر الأئمة الزيديون من أسرة القاسم على أكثر أراضي اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين الجند العثمانيين حتى إن الوالي العثماني قانصوه باشا الذي تولى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجئ إلى الإمام الحسين بن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوَّص في قلعته ، ثم ترك اليمن ، وفرّ إلى مصر ، وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن واستمرت أسرة القاسم الزيدية تدير شؤون المنطقة . ويعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية ليست إلا امتداداً لدولة بني رس في صعدة إذ أن القاسم يعود في نسبه إلى أحد حكام دولة بني رس .

كان الأئمة الزيود يحاولون دائماً مد نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ما خضعت لهم وحكمها بعض الأمراء باسمهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مد نفوذهم إلى تهامة ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعون مذهب أهل السنة وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تقع الحروب بين الأطراف المتنافرة وتكثر الغارات بينهم .

٢ - الحجاز

حكم بنو الأخضر مكة ونجد منذ عام ٢٥١ هـ واستمر حكمهم حتى عام ٣٥٠ هـ - وقد دالت دولتهم بفتنة القرامطة ، وهم من أحفاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب .

وجاء إلى حكم الحجاز بعد فتنة القرامطة آل موسى حيث استمروا في مكة والمدينة حتى عام ٤٥٣ هـ ، إذ خلفهم بنو هاشم « بنو فليته » وهم من أحفاد الإمام علي أيضا ، ودام حكمهم ٤٦٠ - ٥٩٨ هـ ، إذ جاء أمير ينبع أبو عزيز قتادة ، وحكم مكة ، وهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ، ودان له القسم الغربي من بلاد اليمن ، ومن بعده حكمت أسرته الحجاز واستمر أمرها حتى عام ١٣٤٢ هـ ، وكان آخر أفرادها الشريف الحسين بن علي وابنه علي ، وكان هؤلاء يعرفون باسم الأشراف ، لانتمائهم الذي ذكرناه .

كان أمراء الحجاز جميعاً يتبعون السلطة القوية سواء في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدويلات وعندما وصل السلطان العثماني سليم إلى مصر فاتحاً أرسل شريف مكة من أسرة قتادة وهو الشريف « بركات » ابنه « أبو غي » إليه ، فأقره السلطان على الشرافة ، وأصبح الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق ولايتها في مصر .

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير ، أو يستعلي أمراؤها عليهم ، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء ، أو على مناطق تهامة في

أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدّ نفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحياناً كثيرة يختلف أبناء الأسرة الواحدة على الشرافة ويقع بينهم القتال ، كما أن الأشراف كانوا يلجؤون إلى عسير لطلب النجدة ، أو اللجوء إليها •

ولموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة لليمن أم بالنسبة إلى الحجاز فهو بمثابة جسر قوي تتحطم دونه مطامع ولاية اليمن في الحجاز ، وولاية الحجاز في اليمن ، لأن اجتيازه إلى إحدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانه ، ووعورة مسالكه ، وشدة بأس أهله ، وشجاعتهم وتفانيهم في الذود عن حياض بلادهم ووقوفهم في وجه الغزاة متماسكين ببسالة وصمود وأتفه وحمية نادرة • لذلك نجد غزاة الحجاز لليمن يتعدون عن سلوك طريق عسير متخذين طريق الساحل ممراً آمناً لسهولته ولأن مسالكه واضحة لا غناء فيها ولا مشقة وهذا كان طريق الجراكسة والعثمانيين ولهذا أصبحت عسير في مأمن من الطامعين لوقوعها بين أطراف اليمن وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة إلى تاريخ عسير السياسي ، ونجد الحروب تشتد بين معظم تلك القبائل التي يحتضنها الحجاز شمالاً ونجد شرقاً واليمن جنوباً بين وقت وآخر وتلجأ إلى الاستعانة بأحلافها وحلفائها على بعضها بعضاً في أغلب الأدوار التي مرت بها هذه المنطقة فهي أشبه ما تكون منزوية على نفسها لا تطمع في التوسع ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها •

٣ - تهامة

تهامة: هي المناطق الساحلية والسفوح الغربية لجبال السروات يقطنها - كما ذكرنا - أهل السنة وكلهم من الشوافعة تقريباً . وقد خضعت هذه المنطقة لحكم أسر محلية كانت تدير شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سماء انتي كانت في مصر أم التي تقوم في بلاد اليمن وأحياناً قليلة كان نفوذ أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الأسر :

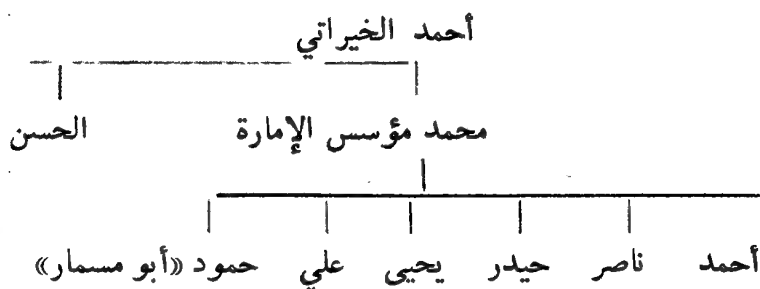
أسرة الحكمي: التي أسسها سليمان بن طرف الحكمي والتي دامت حتى ٣٩٣ هـ .

الأسرة السليمانية : التي أسسها سليمان بن داود الذي استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي . وكانت تحكم باسم آل زياد في زيد . ثم كان نفوذ بني نجاح والصليحيين والمهديين وغيرهم من دول اليمن .

ومن الأسر الأخرى آل القطبي والذروات والخواجيون . وأخيراً جاء آل الخيرات إلى زعامة المنطقة، وقد أسس إمارتهم محمد بن أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبنائه ، فوقعوا في خلاف كبير مع بعضهم بعضاً منذ وفاته ، فكانوا ضد بعضهم بعضاً بجنود مرتزقة من قبائل اليام في نجران ، أو يستجدون بإمام صنعاء ، وقد عمت الفوضى المنطقة وساد الاضطراب حتى

انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب بين أهل تهامة ، ووصل إلى
الإمارة آنذاك حمود بن محمد وهو الذي عرف بأبي مسمار .

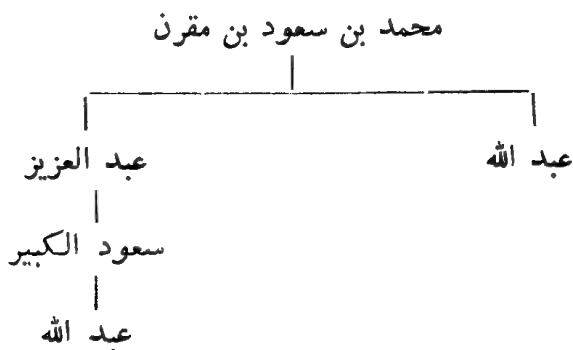
آل الخيرات : وهم فرع من أشرف مكة انتقلوا إلى المنطقة
لما حصل خلاف بين الأسرة من أجل الحكم .



٤ - نجد

كانت نجد تحكم بواسطة أمراء محليين في كل بلدة أمير
وعلى رأس كل قبيلة شيخ ، ويخضع الجميع إسمياً لسلطة
العثمانيين . وقد عمت المنطقة الفوضى وسادها النزاع بين
الجميع فالحروب دائمة والخلافات قائمة واستمر ذلك الوضع
حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي وجدت
العناء الكثير من قبل السكان إلى أن تقبلها حاكم بلدة الدرعية
محمد بن سعود ، وعمل على نشرها فعمت وذاع صيتها وكانت
لها دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن

سعود وتولى أمرها أبنائه من بعده ، وقد امتد نفوذها إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة باستثناء مناطق قليلة في مرتفعات اليمن وحضرموت وعمان •



٥ - عسير

وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز ، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف ، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم ، ومن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكم المنطقة كاملة • واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وكانت الدولة السعودية في الدرعية •

الفصل الثالث

العصور الحديثة

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى في أرجاء الجزيرة العربية ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في نجد وبدأ نفوذها يمتد ويتسع حتى وصل إلى الحجاز ، وكان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره العثمانيين بسبب واليهم «محمد أبو الذهب» الذي كان قد عزله عن شرافة مكة وولى مكانه حسين بركات ، إلا أن أحمد هذا قد قام على حسين وقتله ، وتمسك لنفسه بالشرافة فالتقى مع السعوديين على كره العثمانيين فسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ هـ ، وكانوا قبل ذلك قد منعوا بسبب الفكرة السلفية التي يحملونها والدعوة التي يتبنونها وبعد أعوام ثلاثة ثار الأشراف في مكة على أحمد بن سعيد وعزلوه وولوا مكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استمر شريفاً على مكة ١١٨٦ - ١٢٠٢ هـ لم يخاصم أثناء هذه المدة كلها السعوديين مما جعل دعوتهم تنتشر بين رجالات بعض القبائل ، أو يقبل عليها كثير ممن يطمع أن يكون له دور في المستقبل فإن هناك إشارات تدل على نجاح الدعوة أو أن يكون لها دور بارز مع الأيام . وتوفي سرور بن مساعد عام ١٢٠٢ هـ فخلفه في الشرافة أخوه

عبد المعين بن مساعد ، ولكنه لم يلبث سوى يوم واحد حتى
اعتزل الأمر وتنازل لأخيه غالب بن مساعد •

جاء غالب بن مساعد شريفاً على مكة فاختلف مع السعوديين
إذ خاف على أملاكه بعد أن رأى انتصار السعوديين على بني خالد
في الإحساء ، فكاتب الذين لم يستسلموا منهم بعد ، ووعدهم
بالنصر ، واستنجد بالعثمانيين على السعوديين ، ودارت معارك
بين الطرفين استمرت مدة شرافته على مكة ١٢٠٢ - ١٢٢٠ هـ •

إن وجود الفوضى في المنطقة ، ورغبة الناس في التخلص
منها ، وقناعتهم بأن الإسلام هو العامل الوحيد لانتشار الرخاء
والقضاء على الظلم والاستبداد ، واستعدادهم الفطري لقبوله ،
وانتشار الدعوة التي تحمل هذا الشعار في نجد ، وتوسعها والدعاية
لها في المناطق كلها ، ومهادنة شرفاء مكة لها ، ثم هناك الطمع
والرغبة الشخصية في ارتفاع المركز وعلو الشأن جعل الكثيرين
يقبلون هذه الدعوة ، وحسب دوافعهم يتخذون الوسيلة اللازمة
ويسلكون الطريق المؤدية لأغراضهم •

كان من الأشخاص الذين أقبلوا على الدعوة وكان لهم أثر
في المنطقة محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب في السراة ، وعرار
بن شار في بني شعبة ، وحسين بن أحمد الفلقي الذي استقر في
وادي بيش عند قبائل الجعافرة إضافة إلى قبائل شهران وقحطان
التي انتشرت بينهم الدعوة بشكل أوسع نتيجة اتصالهم بنجد
أكثر من سكان السراة وتهامة •

في بداية عام ١٢١٥ هـ وفد إلى الدرعية محمد بن عامر

وأخوه عبد الوهاب من آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة
إحدى قبائل سراة عسير ولقيف من عسير وكما يقول صاحب
تاريخ المخلاف السليماني محمد بن عيسى العقيلي « طلباً للعلم
ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفى في أخذ مبادئها - التي لها
الهداية والمثوبة - وتتيح لمريدها السيادة والمجد^(١) » .

وعاد الأخوان من الدرعية ، وقد حصلوا على ما يبغيان ، فقد
أسند إليهما عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية مهمة نشر
الدعوة في عسير وحمايتها . وعندما وصلا بدأ يتصرفان كأمرأ
مما حدا بالأمير من آل يزيد أن يقف في وجههما ، وهو محمد بن
أحمد بن محمد ، فاستتجدا بالدرعية ، فأرسلت لهما جيشاً
استطاعا به أن يقتلا محمد بن أحمد بن محمد أمير عسير من آل
يزيد ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت
١٢١٦ ، وبعد أن أصبح صاحب الكلمة الأولى فيها ، أخذ يحارب
خصوم الدعوة السعودية سواء في تهامة أم الحجاز ، واتخذ
إحدى قرى قبيلته ربيعة ورفيدة وهي طيب مركزاً لحكمه ، وقد
عرف باسم « أبو نقطة » حيث كان جده يكنى بذلك لنقطة كانت
على عينه فاشتهر بها هو وذريته ، وقد عمل على إخضاع قبائل
رجال ألمع ، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق وقد

(١) تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٧١ القسم الثاني من الجزء
الأول / طبعة الرياض ١٣٧٨ - ١٩٥٨ .

أصابه الجذري وذلك عام ١٢١٧ هـ . فتولى أمر عسير مكانه أخوه عبد الوهاب أبو نقطة .

وقد جاء في مذكرات جعفر الحفظي أثناء كلامه عن أحداث هذه المنطقة ما مفاده أنه في عام ١١٧٧ هـ وفد إلى الدرعية بعض أعيان عسير ومن جملتهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب وطامي بن شعيب من آل المتحمي ومن آل الحفظي علي بن الحسين وعبد القادر بن أحمد وعبد الله بن عبد الرحمن وزين العابدين وسبواهم لطلب العلم على يد علامة زمانه محمد بن عبد الوهاب .

وفي عام ١١٧٩ هـ وجه أمير الدرعية محمد بن سعود مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى الدين وبند الشرك ، ودعوة من يليهم إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح ، وقد وجد الأخوان خصومة لأن الناس ظنوا أنها دعوة تملك وتغلب ، فردهما الأمير محمد بن أحمد بن محمد ، فعادا إلى الدرعية لطلب النجدة وبيان الواقع .

وكان الأمير محمد بن أحمد واسع السلطة تدين له شهران وقحطان ورجال الحجر وبنو شعبة وغامد وزهران .

وفي عام ١١٨١ هـ قامت شهران بقيادة أميرها محمد بن سعد أبو سرح على آل الغمر (قبيلة بين عسير وشهران) وأجلوهم عن قراهم ، فقصدوا الأمير محمد بن أحمد في السقا ، فأرسل معهم الجبلي أبو زوعة ويحيى بن محمد وسليمان بن عايض الهراوي

وقبائل عليكم وبعض بني مالك بإمرة سالم أبو حامد ، فأبعدوا
شهران من قرى آل الغمر وأعادوا أصحابها إليها ، وقتلوا محمد
ابن سعد أبو سرح ودمروا قرينته بأعلى وادي عتود وعين الأمير
محمد بن أحمد أميراً على شهران وناهس ، سالم بن حسين
الرشيدي إلا أن سعد بن عبد الله بن حمدان هجم على الأمير
سالم وقتله فهرب ابنه مشيط إلى الأمير محمد بن أحمد
وأخبره بما حدث فأعاده مع كتاب إلى غشّام بن عامر أمير
قحطان ورفيدة وأمره فيه أن يتوجه إلى شهران لقتل ابن حمدان
وإعادة مشيط إلى مشيخة شهران وذلك في عام ١١٨٣ هـ ، وبقي
مشيط أميراً على شهران وناهس ، وألزمه بحماية سوق شهران من
الفتن والقتل ...

وفي عام ١١٨٧ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد رجال الحجر
وأدخلها في طاعته .

وفي عام ١١٩٠ هـ غزا بني شهر فدانته له .

وفي عام ١١٩٣ هـ سار مع رجال الحجر إلى غامد وزهران
فخضعت له . وفي العام نفسه توجه إلى بني شعبه في تهامة فأقرت
له بالسيطرة والحكم .

وفي عام ١١٩٧ هـ غزت قحطان تثليث (بلاد ييشة) وقطعوا
معظم نخلها ، فتوجه الأمير محمد بن ساعد المهدي إلى الأمير
محمد بن أحمد يستصرخه ، فأمر بني مالك وبني منبه وشهران

بطرد قحطان وقتالهم ، وأمر ابن عامر بالتوجه إلى تثليث لضربها
إلى طاعته

وفي عام ١١٩٩ هـ غزت قبائل يام مع المكرمي نجداً وعسيراً
وكان كبير غزوها لعسير ظافر بن نصيب وأصله من ربيعة قحطان
..... ودخلت يام بلاد قحطان وشهران وأفسدت فيها وتوجهت
إلى عسير فواجهت قوة محمد بن أحمد فانهزمت بعد ملحمة عظيمة
في بلاد شهران قتل فيها أكثر اليامية وكفى الله شرهم وكانت
دعوتهم تمت إلى الاسماعيلية بصلة .

وفي عام ١٢٠٥ هـ غزا الأمير محمد بن أحمد بلاد سنحان
ووادعة ، وكان يقود شهران يومذاك مشيط ، وقحطان
يتزعمها غشام .

وفي عام ١٢٠٧ هـ خرجت بلاد غامد وزهران مع شريف مكة
على عسير فالتقوا بمكان يسمى الجرف من بلاد غامد مع الجيش
العسيري بقيادة غرم بن سعيد العسيلي ، ومحي بن الأضلع ،
وابن مارد ، وابن جليّ أمير بالقرن وشمران ، ومبارك بن سعد
أمير بني عمرو ، وضامن أمير خثعم .

وأمام هذه القوة التي أضحت للأمير محمد بن أحمد من
آل يزيد كان لابد من حدوث الصدام بينه وبين ابن سعود أمير
الدرعية الذي ردت دعوته أيضاً في بلاد عسير .

وفي عام ١٢٠٩ هـ غزا ابن سعود بيثه وتربة وتباله ورنية
وعد بعد أن نهت بواديه أهل هذه الجهات

وفي عام ١٢١٠ هـ دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود،
وامتنعت على الأمير محمد بن أحمد الذي توجه لإعادتها إلى
طااعته وحدثت معارك طاحنة في سبيل ذلك ، وتوجه مشييط وغشام
إلى الدرعية لطلب النجدة ، وكان محمد بن عامر وأخوه عبد
الوهاب هناك ، وفي العام نفسه عاد من الدرعية علي بن الحسين
الحفظي وعبد القادر بن أحمد .

وفي عام ١٢١١ هـ وجه أمير عسير لمحاربة شهران جيشاً
بقيادة مفرح بن أحمد بن عبد الله المغيمي إلا أن هذا الجيش قد
لقي الهزيمة .

وفي عام ١٢١٤ هـ رجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب
ومشييط وغشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بن
أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا منه . . . فرجع محمد بن عامر
وأخوه عبد الوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها .

وفي عام ١٢١٥ هـ جاءت جيوش ابن سعود مع شهران
وقحطان وبيشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن أحمد ودخلت
المنطقة في طاعة الدرعية ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير
من قبل آل سعود . وقد رأينا كيف انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى
أخيه عبد الوهاب^(١) .

دخل عبد الوهاب في حروب مع غالب بن مساعد شريف

(١) ص ١٤٨ - ١٤٩ .

مكة ، ومع أمير أبي عريش^(١) من آل الخيرات ، أما حروبه في الحجاز فقد اشترك في ثلاثة عشر هجوماً على قوات غالب بن مساعد وحالفه النصر فيها جميعها ، أما حروبه في تهامة فقد طالت وتباينت ، إذ كان أمير أبي عريش في البداية علي بن حيدر من آل الخيرات ، وعامله على صبيا^(٢) عمه ناصر بن محمد . ثم تنازل ناصر لابنه منصور .

وعندما بدأت الدعوة الوهابية تنتشر في المنطقة على يد أحمد بن حسين الفلقي خشي أمير صبيا على نفسه فاستنجد بأمر

(١) أبو عريش : مدينة تقع في منطقة جيزان ، ومن أشهر مدنها ، الى الشرق منها على مسافة ٣٢ كم ، وعلى ارتفاع ٧٧ م عن سطح البحر ، يقدر عدد سكانها اليوم بخمسة عشر ألفاً ، وهي مدينة قديمة جدها في القرن السابع آل الحاكمي ، وكان رجلاً صالحاً فابتنى في المدينة عريشاً فقصده الناس لطلب العلم فعرفت باسم « أبو عريش » وبعد ذلك بقرون أصبحت مركز منطقة جيزان كلها .

(٢) صبيا : مدينة في منطقة جيزان ، إلى الشمال الشرقي منها وعلى مسافة ٣٢ كم ، وهي الآن بلدتان : القديمة ، وتقع على طرف الوادي المعروف باسمها ، ولقربها منه فإن خطر الفيضان يهددها الأمر الذي جعل المسؤولين يقيمون سداً من الحجر يحميها في القسم الشرقي منها ، أما القسم الجنوبي فلا يفصله عن السيل سوى سد ترابي لا أثر كبير له ، أما الثانية وهي الجديدة فقد بناها الإدريسي عام ١٣٣٨ هـ شرقي الأولى بخمسة كيلو مترات ، واطلق عليها اسم الإدريسية ، ولا تزال آثار قصره قائمة . وبعد ذهابه عادت للأولى أهميتها وترك الناس الجديدة .

أبي عريش الذي سار على رأس قوة إلى منطقة الجعافرة حيث يقيم أحمد بن حسين الفلقي فانتصر عليهم ، وهذا مادعا الدرعية إلى أن ترسل سرية بقيادة حزام بن عامر العجماني إلى المنطقة وعندما وصلت انضم إليها كل من عرار بن شار في بني شعبة والفلقي إلا أن الصلح قد تم بين الفريقين على أن يقوم آل الخيرات بالدعوة في منطقتهم ، فعاد حزام من حيث أتى ، ثم تنازل علي بن حيدر عن الامارة لعمه حمود الذي عرف باسم « أبو مسمار » ، ووافق امام صنعاء الذي يرتبطون به على هذا التنازل رغم أنهم وعدوا بالدعوة إلى السلفية في منطقتهم أمام سرية حزام ، ومعنى ذلك ارتباطهم بالدرعية إلا أن الواقع أنهم لا يزالون مرتبطين بإمام صنعاء . وحدث خلاف بين الفلقي وأهل المنطقة الذين استنجدوا بأمير أبي عريش حمود أبي مسمار فأمدهم بسرية رفض أمير صبيا الاشتراك فيها فهزم الفلقي ، وجاء عرار بن شار لمساعدة الفلقي إلا أنه لم يحدث قتال لتوسط أمير صبيا منصور بن ناصر ، وعادت سرية حمود أبي مسمار إلى أبي عريش أما عرار فقد تقدم إلى صبيا واتفق مع أميرها منصور الذي كان على خلاف مع عمه حمود أبي مسمار ، وتعاهدا على العمل للدعوة السلفية .

غضب حمود أبو مسمار على ابن أخيه منصور ، وسار بقوة انتصرت على عرار والفلقي ، وسار من طرف آخر حزام بن عامر وزبران القحطاني واتصلوا بعرار والفلقي ومنصور وكونوا جبهة واحدة ضد حمود أبي مسمار إلا أنه انتصر عليهم

تقاسمتجدوا بالدرعية وخاف أبو مسمار فاتصل بصنعاء إلا
أن اتصاله قد باء بالفشل .

وجاءت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب بن عامر أبي نقطة
بأمير عسير بالتقدم إلى أبي عريش على رأس حملة ينضم إليها كل
من حزام وعرار والفلقي وسارت الحملة واستسلم آل
الخيرات وتعهد حمود أبو مسمار بالعمل باندعوة، وبدأ بغزو اليمن
على حين رجع عبد الوهاب إلى عسير ، وأصبح له حق الاشراف
على المنطقة كاملة .

بدأ حمود أبو مسمار يطالب بانفصال عسير لما في نفسه
من أطماع ، وبعث وفداً مؤلفاً من وزيره حسن بن خالد وابن أخيه
أحمد بن حيدر، كما ذهب عن صبييا الأمير منصور بن ناصر ابن أخيه
بأبي مسمار .

وفي هذه الاثناء توفي أمير الدرعية عبد العزيز بن محمد بن
سعود وتولى الأمر مكانه ابنه سعود بن عبد العزيز ، فقرر أن
يذهب الوفد السابق لتقديم التعازي ، والتهنئة والمبايعة ، والتعهد
بدفع الخراج والجهاد في اليمن ، والارتباط بالدرعية مباشرة مع بقاء
أموال الجهاد مرتبطة بعبد الوهاب ، وحتى لا تساور الشكوك عبد
الوهاب أخبره بمسيرة الوفد للتغزية والمبايعة وتم لحمود
سما أراد وحصلت الموافقة على الارتباط المباشر بالدرعية .
وسار حمود أبو مسمار لغزو اليمن

وفي عام ١٢٢٠ هـ صدرت الأوامر من الدرعية إلى أمير صبيا

منصور بن ناصر وأمير بني شعبة عرار بن شار بالنفير مع عبد الوهاب إلى الحجاز لقتال شريف مكة وانطلق المقاتلون وتأخر عرار ، فوقع شيء في نفس عبد الوهاب ، فوبخ قائد حملة عرار أخاه عيسى بن شار وعاقب بني شعبة فوقع الخلاف بين عرار وعبد الوهاب

استنجد عرار بحمود أبي مسمار واستمال بعض رجالات ألمع وتقدم نحو بلادهم واحتلها ، وطلب وفداً من الدرعية لفصل النزاع

تقدم عبد الوهاب بحملة وصلت إلى دزب بني شعبة واحتلته وعاد إلى عسير ... ووصل وفد الدرعية وطلب مسير حمود ومعه عرار ، وأمير صبيا منصور ، وعبد الوهاب إلى الدرعية ولبي الجميع الأمر إلا حمود فقد تململ ووافق على ارسال ابنه ووزيره حسن بن خالد بدلاً منه لانشغاله ...

بدأت المحاكمة في الدرعية واستطاع عبد الوهاب أن يثبت بما لديه من وثائق أن عراراً يشير الفتنة وأن منصوراً وحموداً يساعدانه ..

فأبقى أمير الدرعية عراراً لديه وعفى عن الآخرين ، وتم الاتفاق على أن يكون عمال الخراج في منطقة أبي عريش من قبل الدرعية ، كما أبقى منصور أمير صبيا مرتبطاً بالجهاد مع عبد الوهاب وطلب منه أن يهادن حموداً .

انتصر حمود على إمام اليمن في تهامة ، ولكن بدأت تظهر بعض نواياه تجاه السعوديين ، فوصل وفد برئاسة طامي بن شعيب إلى تهامة فلم يجد عند حمود ما يشير الشكوك لما أظهره لهم ، إلا أن الأمر لا يمكن أن يطول إخفاؤه إذ أبدى لعمال الدرعية الذين يجمعون الخراج في منطقته بعض نواياه ، فوصل ذلك إلى سعود أمير الدرعية الذي طلب من عبد الوهاب غزوه ، وتأهب الطرفان والتقت القوتان في وادي ييش ، وكانت معركة حامية انتصر فيها جيش عبد الوهاب إلا أنه خسر قائده عبد الوهاب عام ١٢٢٤ هـ . وتحصن الشريف حمود في أبي عريش .

تولى أمر عسير بعد عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شعيب يأمر من الدرعية فعين ابن عمه الثاني محمد بن أحمد المتحمي أميراً على صبيا ومنطقة ييش ، وعندما وصل هذا الأمير إلى صبيا جاءه جيش حمود أبي مسمار محاصراً له ، وفي مطلع عام ١٢٢٥ هـ جاء طامي بن شعيب بقوة فكت الحصار عن صبيا ونظم أمر الحامية وعاد إلى مقره في عسير ، بينما كان حمود قد انسحب إلى أبي عريش واعتصم فيها .

جاءت نجدة من اليمن إلى أبي عريش قوامها ألف مقاتل من الإمام أحمد بن المنصور الذي كان على صلة طيبة بالشريف حمود الذي ساعده على اقضاء أبيه المنصور عن الحكم وتسلم الأمر دونه ، وصار حمود يتصرف ببعض الأمور من خلف الإمام الجديد أحمد ، ولعل مساعدة الابن جاءت لأن السعوديين كاتبوا

المنصور يحرضونه على قتال أبي مسمار ، وربما كان يجب ذلك ، ولكنه يخشى إن وقعت الحرب بينه وبين أبي مسمار الذي يحكم أجزاء واسعة من اليمن - حسب رأيه - بينما حسب رأيه أيضاً أن للأشراف تهامة الحجاز فقط - يخشى أن يستغل إمام الدرعية الفرصة ويهاجم اليمن • فلما أعطاه سعود بن عبد العزيز العهد بالآيتعرض لليمن بسوء وحرضه على حرب أبي مسمار فعل واتصر عليه... ولذا حرض ابنه عليه ، فلما ذهب من الحكم ، وجاء أحمد أصبح أبو مسمار يعتمد عليه في حربه ضد السعوديين •

وصدر أمر من الدرعية بنزول عثمان المضايقي من الحجاز وطامي بن شعيب من عسير إلى أبي عريش والتقى القائدان في ميناء الشقيق عام ١٢٢٥ هـ ، وانتهى الأمر بانسحاب الشريف حمود في بربر ، واستولى المهاجمون على ميناء اللحية وجيزان • وعاد كل إلى مقره وعاد طامي بن شعيب بعد ثلاثة أشهر إلى المنطقة ودخل اللحية مرة ثانية •

ولما ضعف مركز الشريف حمود أرسل أربعة رجال من بني عمه ببعض الهدايا إلى سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية وكان يومذاك حاجاً في مكة فأظهروا له الطاعة فغفا عنهم وأيدهم • وربما كان الذي توسط بالصلح يومذاك محمد بن علي الحسني أمير صعدة ، وكان الاتفاق الذي تم نتيجة هذه المصالحة تنازل الشريف حمود عن صبيا والدرب ويش للإمام سعود ، ودفع خراج سنوي

عن الموائء اليمنية ، وأن يكف السعوديون عن حربه وذلك عام
١٢٢٦ هـ .

وبذلك هدأت الأحوال في المنطقة وأصبح الوضع السياسي
في تهامة كمايلي :

١ - من صيبا وشمالاً يتبع الإمام سعود وينوب عنه أمير
عسير طامي بن شعيب .

٢ - من ضمد وجنوباً بما في ذلك جيزان تتبع الشريف
حمود أبو مسمار .

وقعت الحرب بين إمام نجد سعود وإمام صنعاء أحمد بن
المنصور ، فاستغل الشريف حمود الفرصة ودخل الحديدة وبيت
الغقيه وزبيد وضمها إلى ملكه ، بعد أن انتزعها من أملاك إمام
صنعاء ، ولما كان حمود يرسل الخراج وأخماس الغنائم إلى
الدرعية طلب الإمام سعود أن يرسل من قبله عمالاً لتحصيلها مع
مأيا تي من الموائء فساورت الشكوك نفس حمود واعتقد أن
سعوداً يريد التدخل في شؤونه ، فلما وصل المصريون إلى الحجاز
بدأ يكاتبهم ، ويحرضهم على حرب الدرعية ويعددهم بالطاعة
والنصر ، فعلمت الدرعية بذلك فأرسلت إليه تهده ، فضرب حمود
رؤوس الرسل الذين جاؤوا إليه وعزل العلماء السعوديين في بلاده ،
وصرح لهم بالعداوة ، ولازال محارباً لهم حتى مات عام ١٢٣٢ هـ ،
ولعل جراته هذه جاءت لاعتقاده أن السعوديين لن تقوم لهم قائمة بعد
وضول المصريين إلى المنطقة .

وفي أثناء هذه الأحداث شن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية هجوماً كاسحاً على الدولة السعودية عام ١٢٢٦ هـ ، إذ أرسل قوة نزلت في ميناء ينبع بقيادة ابنه الشاب طوسون، وتقدمت هذه الحملة نحو الداخل ، فهزمت أمام القوات السعودية بإمرة عبد الله بن سعود . . . وتراجع طوسون إلى ينبع يطلب من أبيه النجدة فأمدّه بحملة كبيرة استطاع بعدها أن يتقدم نحو الداخل وأن يحتل المدينة المنورة بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام ، وبعد هذا الانتصار ، مال شريف مكة غالب بن مساعد إلى طوسون فدخل جدة ومكة المكرمة عام ١٢٢٨ هـ ، ثم اتجه إلى الطائف واحتلها، وخرج منها أميرها عثمان المضايقي ملتحقاً بالقوات السعودية ، وعند دخول القوات المصرية الطائف بإمرة الشريف غالب انضم إليها معظم القبائل حتى غامد وزهران .

هاجمت القوات السعودية القوات المصرية وانتصرت عليها وتقدمت نحو الطائف بقيادة عثمان المضايقي الذي استطاع أن يحتل بعض أجزاء الطائف إلا أنه أسر فقبض عليه غالب بن مساعد ، وأرسله إلى تركيا حيث لقي مصرعه .

أمام هذا التقدم الذي أحرزته جيوش محمد علي ، جاء هو بنفسه فوصل جدة ، ومنها انتقل إلى مكة وكان في استقباله الشريف غالب بن مساعد ، ولكن حدث ما لم يتوقع فرغم كل المساعدات التي قدمها الشريف غالب إلى المصريين وقيادته لجيوشهم واستقباله لمحمد علي ، فقد قبض عليه محمد علي وأرسله مع أولاده أسارى

إلى مصر ، ونصب مكانه شريفاً على مكة ابن أخيه يحيى بن سرور . ومن مصر أرسل غالب إلى تركيا حيث بقي محتجزاً هناك حتى وافاه أجله عام ١٢٣١ هـ متأثراً بمرض الطاعون، وجلس محمد علي باشا في مكة يصدر الأوامر إلى جيوشه المتعددة .

طلب من الجيش الأول في المدينة الزحف نحو نجد ، وأمر جيشه الثاني في جنوبي الطائف بالتحرك نحو تربة، وأعطى التعليمات لجيشه الثالث في تهامة أن يسير نحو القنفذة ليحتلها بمساعدة الأسطول في البحر الأحمر ، ليؤدب قبائل عسير وزعيمها طامي ابن شعيب لمناصرتهم السعودية هذا من جهة . ومن جهة ثانية ليشاغلهم عن مساعدة القوات السعودية جنوبي الطائف .

وفي عام ١٢٢٩ هـ توفي أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز مما زاد النشاط لدى القوات المصرية ، ففي تهامة احتل الجيش المصري القنفذة عام ١٢٣٠ هـ ولكن بعد شهرين أغار عليهم طامي ابن شعيب بأهل عسير ، فهزموهم هزيمة منكرة ، ولأذ من سلم منهم بالسفن ، واندحر الجيش إلى جدة ، وغنم طامي بن شعيب المدافع والذخيرة كلها إضافة إلى الخيل ووسائل النقل آنذاك والخيام . وكرر محمد علي المحاولة واحتلت جنوده القنفذة وعاد إليها طامي ، وتكررت هزيمتها على صورة أكبر من الأولى ، وعند ذلك عدّل محمد علي في خطته ، ورأى أن الطريق إلى عسير إنما هو طريق السراة لا طريق تهامة .

أسرع طامي بن شعيب لملاقاة جنود محمد علي المتقدمة من الطائف وتقابل الطرفان في وادي تربة ، وجرت معركة حامية ، وانتصر أهل عسير ، وارتد المصريون إلى الطائف ، وجاءت إمدادات من الإمام في الدرعية عبد الله بن سعود لمؤازرة أهل عسير ، واصطدمت قوات نجد بإمرة تركي بن سعود مع القوات المصرية في جنوبي الطائف ، وهزمت القوات السعودية عام ١٢٣١ هـ .

تقدم محمد علي على رأس حملة ، فاحتل تربة ورائية ثم بيشة ، واستقر في خميس مشيط بعد أن لقي مالقي من التعب والأعباء والهزائم في بعض المواقع ولكنه كان يتحمل ويكابد ، ومن خميس مشيط من بلاد شهران تقدم إلى عسير عبر بلاد بني مالك ، وسقطت بلدة طبب مركز حكم طامي بن شعيب ١٢٣١ هـ ونجا طامي من المعركة وتحصن في جبل تهلل ولكنه هزم أيضاً فسار منحدرأ نحو تهامة ، وفي وادي ييش اتصل بصديقه الشيخ يحيى ابن محسن النعمي ، واستشاره في القدوم على الشريف حمود ، فأشار عليه ألا يفعل لما بينهما من عدااء سابق ، وإنما يعتصم بالجبال ، ولكنه أصر على اتصاله بحمود وسار نحو بلاده .

وعندما وصل خبر هزيمة عسير أمام جند محمد علي أسرع حسن بن خالد وزير الشريف حمود واحتل صبيا وطرده الحامية العسيرية منها ، وأرسل سرية تفتش عن طامي بن شعيب ، فالتقت به في طريقه إلى صبيا مع صديقه النعمي ، فأسرته وقادته إلى صبيا ، وسلمه حسن بن خالد إلى محمد علي تقرباً وزلفى ، فأرسل مقيداً إلى

مصر مع محمد علي ، ومن هناك بعث إلى استانبول فشهره في الأسواق ثم ضربت عنقه عام ١٢٣٢ هـ .

غادر محمد علي عسير بعد أن ترك فيها حامية كبيرة ، وخضعت له اسماً ، وسار إلى مكة ، ومنها اتجه إلى المدينة ، ولم يطل المكوث فيها حيث وصله خبر مفاده اندلاع ثورة في القاهرة ضده ، ونبأ فرار نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة إلبا ، فأراد العودة إلى مصر ، ولكنه كان يخشى إثر عودته انقراض أهل البلاد على جنده ، ولكن لا بد من السفر ، فعمل على تمكين الوضع ودعّمه ، وعاد إلى مكة المكرمة ، ومنها رجع إلى عسير ، فبلدة محاليل عن طريق عقبة شعار ، فالقنفذة ومنها إلى مصر ، وفي كل هذا كان يرافقه أمير عسير طامي بن شعيب مكبلاً بالحديد .

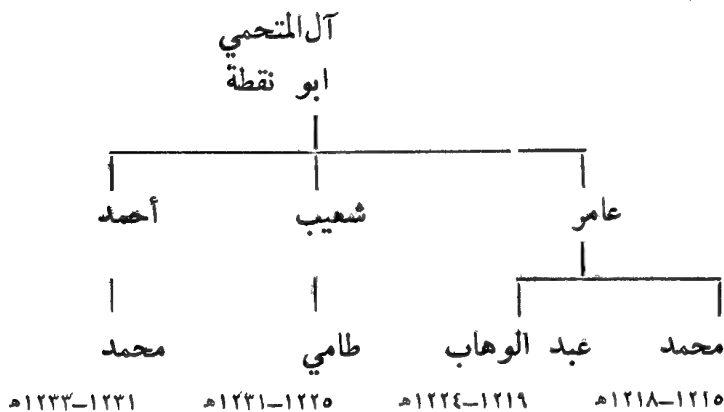
أما جبهة المدينة المنورة فقد استطاع طوسون بن محمد علي أن يصل إلى بلدة الرسّ في نجد ، وأن يعقد هناك اتفاقاً مع السعوديين ويعود إلى المدينة ولما أخبر والده بالصلح وكان قد وصل إلى مصر طلب منه العودة إلى القاهرة ، فنفذ الأمر ، ولكنه لم يلبث أن مات هناك بعد أشهر قليلة .

نقض محمد علي عهد ابنه طوسون فأرسل حملة جديدة بقيادة ابنه الآخر ابراهيم عام ١٢٣١ هـ واستطاع بعد عامين أن يدخل الدرعية ويهدمها ويقضي على الدولة السعودية الأولى . ولما تمّ لمحمد علي باشا والي مصر احتلال عسير - كما رأينا - بعد معارك دامية ومقاومة شديدة ، تمركزت قوته في

طبيب ، وعاد بعدها إلى الحجاز ، وكان قد لجأ بعض زعماء عسير إلى أطوارها الغربية ، واعتصموا فيها ، ومنهم محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع من انضم إليهم من بني مغيد ، وعلكم ، وبعض ربيعة ورفيدة ، وبني زيد ، وبني قيس من رجال ألمع بعد هزيمتهم في الباحة .

علم هؤلاء المعتصمون بعودة محمد علي باشا إلى الحجاز فخرجوا من مأمنهم ، وانقضوا على الحامية المصرية في طبب فقتلوا من قدروا عليه ومن نجا منهم فر إلى الحجاز وسيطر زعماء عسير على أمور بلادهم

سار محمد بن أحمد المتحمي إلى أبي عريش لينتقم لابن عمه طامي ، وتقدم نحو درب بني شعبة فالتقى هناك بقوات الشريف حمود بقيادة وزيره حسن بن خالد ، فهزم أهل عسير في ١٧ رجب عام ١٢٣١ هـ .



لم يكند محمد علي باشا ينتهي من أمر عسير حتى وصلت
فلول حاميته التي تركها في طبب إلى الحجاز ، فأثار ذلك غضبه ..
وأمر بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تؤدب قبائلها وتنتقم من زعمائها
وذلك في أواخر عام ١٢٣٢ هـ .

سارت قوة محمد علي من الحجاز وقد ضمت في صفوفها
تركاً ومصريين وحجازيين ، تحرك حسني باشا عن طريق بلاد غامد
وزهران وانطلق نحو عسير ، وسار الشريف محمد بن عون عن
طريق ييشة وبلاد شهران باتجاه عسير وتوجه جمعة باشا من
الساحل صوب عسير عن طريق محایل ، ووصلت أصداء هذه
الحملاّت إلى عسير فاستعد رجال القبائل وتصدوا لها على
حدود رجال الحجر وبلاد ألمع ، وكانت بين الفريقين معارك طاحنة
هزمت على أثرها عسير ، وتراجعت بعد أن أثّخت في جيش حسني
باشا قتلاً في موقعتي « مسفرة » و « الحضن » وقد استبسل
فيها الطرفان .

دخل محمد بن عون أبها وتمركز فيها بعد أن احتل بلاد
شهران وبني مالك ، وزحف جمعة باشا إلى بلاد ربيعة ورفيدة ،
وكان جيش حسني باشا قد لاحق أهل عسير حتى « السقا » حيث
اعتصموا فيها ، ومنها لجؤوا إلى الأطوار الغربية بعد معركة كادت
تأتي على الطرفين في موقعتين جرتا شمالي السقا في السوق
والصعيد .

تداول زعماء عسير الرأي في الوسيلة التي يتمكنون فيها من طرد الاتراك وإخراجهم من مواطنهم فقرروا المقاومة ، واستنفر القبائل جميعها من سراتها وتهامتها ، كما رأوا الاستعانة بالشريف حمود أبي مسمار خوفاً من أن ينضم إلى الاتراك ويكون حرباً على عسير مستغلاً الظروف وراكباً طريق مصلحته ، خائفاً من أن يصل إليه هجوم الترك بعد أن أصبحوا يسيطرون على السراة ، وأصبحوا على حدود منطقة نفوذهم ، فقبل أن يسير إليه الترك ينضم إليهم ويعددهم من الهجوم عليه ورأى زعماء عسير أن الاستعانة بالشريف حمود إضعاف لقوته وانهاك للترك في وقت واحد إذ في اشتباك الطرفين مع بعضهما بعضاً مصلحة لأهل عسير الذين يحاربون الترك ، ويواجهون الشريف حمود فالوقائع بينهما لا تكاد تتوقف عندما ينفردان في الميدان . إذ أنه رجل طموح لا يقف به الأمل عند حد ، وكانوا على علم أنه ليس من السهولة إقناعه بالنجدة لعسير وليس من اليسر تلييته طلب المدد بسرعة فهو من الذكاء لدرجة لا تخفى عليه سياسة ولا تنطلي عليه حيلة ، ولا تصلح معه مراوغة ، ومع ذلك أرسلوا إليه حامد بن سليمان وأحمد بن يحيى أبو زوعة شيخي قبيلة علكم لمحدثته وطلب النجدة منه .

قلّب الشريف حمود الأمر فرأى أن يرسل وزيره حسن بن خالد الحازمي على رأس قوة من تهامة خوفاً من مغبة الأمر وتفاقمه إذ وجد أن ترك الفرصة صعب وقد وافته الظروف وجاءه وجهاء

عسير يطلبونه وهو الذي يحلم في حكم عسير ، كما أن السرعة أمر فيه من الخبل الشيء الكثير أو نستطيع أن نقول : إن لعبه قد سال لحكم عسير وهو الذي يطمح به منذ زمن وهذا ما جعله إيجابياً إلى حد أرسل وزيره وطلب منه أن يكون يقظاً وأن يوافيه بمجريات الأمور تبعاً حدثاً وراء حدث .

اطمأن حسني باشا على الأمور في عسير إذ رأى الهدوء مخيماً أو هكذا بدا له إذ كان أولو الأمر في مرحلة التهيئة أو أنه طمأن نفسه لبيتعد عن هذا الجو ، فعاد إلى الحجاز ومعه جمعة باشا ، وقد تركا حامية في طبب ولكنهما ما أن غادرا عسير وعلم بمسيرهما سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحمي حتى انقضا ومن معهما على حامية طبب ففتكوا بها وتمركزوا مكانها ، وشاع الخبر ووصل النبأ إلى محمد علي باشا فأمر بتسيير حملة على رأسها جمعة باشا فلبى الأمر وسار ومعه الأميران منصور بن ناصر آل الخيرات وابن عمه علي بن حيدر المنافسين لعهما الشريف حمود والمنازعين له السلطة ، إلا أن هذه الحملة لم تكد تصل إلى مشارف بلاد رجال ألمع حتى تصدت لها قبائل تهامة ورجال ألمع بقيادة حسن بن خالد فهزمتها وعادت فلولها إلى الحجاز ، فارفعت بذلك معنويات جيش الحازمي ، وعز ذلك على والي الحجاز فأرسل جيشين أحدهما عن طريق الساحل ويقوده جمعة باشا والآخر عن طريق السراة بقيادة سنان آغا .

شعر العسيريون في هذا الوقت بقدرتهم على الصمود
وآنسوا في أنفسهم إمكانية المقاومة كما أنهم خافوا من قوة جيش
أبي عريش فرغبوا الوقعة به ، وأحس قائده حسن بن خالد بتلك
الرغبة ولاحظ بوادر الشرف كتب إلى أميره الشريف حمود
يستحثه بسرعة القدوم إليه بقوة تمكنه من انقاذ الموقف وتعزيز
قوته في السراة لإمكانية السيطرة ، ولم يجد الشريف حمود بداً
من تلبية طلب وزيره فسار على رأس قوة كبيرة وارتقى السراة
عن طريق عقبة ضلع ولم ينتبه أهل عسير إلا وقد تمرکز في أبها ••
وكان هذا الخروج متفقاً مع وصول القوة التركية •

رأى العسيريون أن تصطدم القوتان قوة الترك وقوة الشريف
حمود وأيهما انتصرت أصابها الضعف من القتال وانهكت قواها
المعارك وبقيت أدنى من قوة عسير ••••• وفضلوا القتال بجانب
الشريف حمود لدعوتهم إياه وشدة الترك وحملاهم المتكررة •••
فأظهروا للشريف حمود خلاف ما يضمرون وأخفوا عنه ما يبيتون
إذ أن من المصلحة تأخير الصدام معه مادام هناك عدو مشترك •
سار الأمير سعيد بن مسلط وحامد بن سليمان ببني مغيد
وعلکم إلى الشرف لصد هجوم جمعة باشا وتوجه محمد بن أحمد
المتحمي بقبائل ربيعة ورفيدة وبني مالك إلى الطلحة وشعار
والملاحة لصد هجوم سنان آغا ورابطت بقية القبائل في طب •••

تقدم جمعه باشا إلى محایل ومن هناك أرسل حملة بقيادة علي بن حيدر الخيراتي لاحتلال أبي عريش ليضطر أميرها إلى الانسحاب من وجه جمعة باشا ، ويوقعه في مأزق حرج أرسل الأمير علي بن حيدر عيناً أمامه لاستطلاع الأمور ومعرفة الأخبار وأوضاع القوات ولم يلبث أن عاد إليه يحمل خبر ارتقاء عمه الشريف حمود السراة وعدم بقاء سوى قوة قليلة في أبي عريش فأسرع واحتل المدينة ... في حين توجه جمعة باشا إلى السراة .. ومن جهة ثانية واصل سنان آغا زحفه إلى أن احتل بلدة طيب بالرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها قواته إلا أن هذا الاحتلال قد جعل ردّ فعلٍ قوي عند قبائل عسير فتحمست للقتال والتفت حول الشريف حمود وحول زعمائها المتحمي وابن مسلط وهجمت على طيب ، وكتب لها النصر ، وهزمت قوات سنان آغا وحاول النجاة بنفسه فसार ومعه الشريف منصور بن ناصر وعدد قليل من الجند فلاحقتهم حملة من الأسمر في وادي تيبّه وألقت القبض عليهم جميعاً وقتلتهم ، وهكذا خرج من الساحة سنان آغا والشريف منصور .

بعد هذا النصر وذهاب نشوته في عسير بدأ الحليفان بالأسمر والمختلفان بالتخطيط العمل ليقضي كل منهما على خصمه ، فقد أراد الشريف حمود أن يتخلص من الأمراء محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ، وقد أدرك هؤلاء الثلاثة نواياه فأرادوا أن يتخلصوا منه قبل أن يفتك بهم ، فأرسل إليه سعيد بن

مسلط بعض رجاله فقتلوه سرّاً يوم الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ في قرية الملاحه من قرى بني مالك إحدى قبائل عسير ودفن هناك .
أحس الوزير حسن بن خالد بالخطر يحقق به وبجنده بعد موت أميره وأدرك صعوبة الموقف ، وعلم أن زعماء عسير لم يطلبوا النجدة من الشريف حمود إلا لإيقاعه في الشرك وقطع صلته بالترك خوفاً من أية صلة تقوم بينهما ثم الواقعة به وبقوته
وقد استطاعوا قتله

لجأ حسن بن خالد إلى الحيلة فأبدي أنه على خلاف مع أميره الجديد الشريف أحمد بن الشريف حمود الذي تولى الإمارة مكان أبيه ، وذلك بعد الاتفاق معه ، وطلب منه أن يبدي ما أبدي هو ... وهذا ماهياً الفرصة للشريف أحمد أن ينسحب برجال تهامة الذي كانوا مع أبيه نجو مدينة أبي عريش مقر حكمه ومركز نفوذه إلا أنه وهو على مشارف المنطقة فوجيء بكمين نصبه له ابن عمه الأمير علي بن حيدر ، فالقي القبض عليه ، وتفرقت قوته ، وعاد أكثرها إلى عسير ، أما هو فقد اقتيد إلى أبي عريش حيث شهرّ به ، ثم نفي إلى مصر حيث كان مثواه الأخير ...

أثرت هذه الصدمة على نفس الوزير حسن بن خالد وزادت موقفه حرجاً فوق حرج فالعسيريون يريدون الواقعة به ، وأبو عريش منطقة نفوذه تعاديه وقد ألفت القبض على أميره ونفته ، وهي في يد خصمه ، والترك في حرب معه ، ويحاولون القضاء عليه فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم تعد تجدي معه سوى السياسة

فرأى من الخير له كل الخير أن يداهن أمراء عسير ، ويتودد إليهم
ويلين لهم ولو كان في ذلك شيء من الذلة ويبقى معهم في حرب
خصومهم ٠٠٠٠

في هذا الوقت كان ابراهيم باشا ولد محمد علي باشا والي
مصر قد استطاع دخول الدرعية وتدميرها وذلك في ٨ ذي العقدة
١٢٣٣ هـ (٩ ايلول ١٨١٨) وقضى على الدولة السعودية وتفرغ
بعدها الترك والمصريون ومن والا هم من قبائل الحجاز إلى
عسير ٠٠٠٠ فسارت قوة كبيرة على رأسها خليل باشا والشريف
محمد بن عون وسليمان سنجق ٠٠٠٠٠

سار خليل باشا عن طريق السراة وتبعته قبائل غامد وزهران
ومعظم قبائل رجال الحجر وقد استطاع الوصول إلى شعار •
واتجه الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاد شهران حيث
انضمت إليه قبائل بيشة وشهران وقحطان • وخرج سليمان سنجق
من القنفذة إلى بلاد رجال ألمع فدرب بني شعبة وقد انضمت إليه
قبائل تهامة ، وقد أرغمهم على هذا الانضمام ، خروج الأمير علي بن
حيدر من جهته أيضاً ، فلم يكن للقبائل إلا إظهار الخضوع
وابداء الرغبة في المشاركة بالحملة على عسير •

أخافت هذه الجموع أهل عسير إلا أنه لا بدّ من المقاومة
ومن سلك الطريق الصعب لا بد من اتمام السير فيها ٠٠٠٠ فكوّنوا
ثلاث جيّهات دفاعية ٠٠٠٠

أولاهـا بقيادة سعيد بن مسلط ومعه حسن بن خالد لمواجهة الشـريف محمد بن عون في بلاد شـهران .

وثانيتها بإمرة محمد بن أحمد المتحمي وقد تمركزت في الملاحة لمجابهة خليل باشا .

أما الثالثة فقد رابطت في أبها تحت إشراف علي بن مجثل . واقتربت القوات بعضها من بعض ، واشتبكت في حرب ضروس بقيت سجالات مدة عشرة أيام ، ثم تمكن خليل باشا من دحر الأمير محمد بن أحمد المتحمي وإلقاء القبض عليه وعلى بعض أفراد أسرته ثم والى خليل باشا زحفه حيث تمركز في طبـ ومنها انتقل إلى السقا حيث كانت المعارك هناك حامية الوطيس بين علي بن مجثل وسليمان سنـجق فعزز خليل باشا قوة الأتراك بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم فاضطر علي بن مجثل إلى الانسحاب إلى أبها حيث اعتصم فيها وتابع الترك زحفهم نحو أبها فألقوا الحصار عليها . . . وبدأ الوهن يدخل إلى نفوس القوات داخل أبها وأصبح كل منهم يريد أن يجد لنفسه طريقاً للخلاص ، أو ملجأً للنـجاة ، ليلوذ بالفرار ، وهذا ما اضطر علي بن مجثل للاستسلام .

أما على الجبهة الثالثة فقد كتب النصر في بداية الأمر للأمير سعيد بن مسلط على الشـريف محمد بن عون في معركة جرت بين الطرفين قرب أطلال جرش إلا أن وصول الأنباء إلى الجند العسـيري بما حلّ في بقية الجبهات جعل النفوس تضعف والمعنويات تنهار وكل يفكر بما حلّ بالأهل والأوطان ، وبخاصة بعد مقتل القائد

حسن بن خالد في كمين نصب له في بلاد شهران يوم الخميس
٢٣ شعبان ١٢٣٤ هـ فانقلب النصر هزيمة وغدا الفرار غنيمة ورجع
الأمير سعيد ومن بقي معه إلى الأطوار وأشيع أنه مات مع حسن
ابن خالد .

دخلت قبائل عسير في طاعة خليل باشا على مضض في النفوس
وكره في القلوب ، ونفي الأمير محمد بن أحمد المتحمي مع ولده
مداوي إلى مصر وبعض أقربائه ، وتفرقت القوات التركية بعد
ذلك وظنت أن الأمير قد انتهى ، فبعضها عاد إلى الحجاز مع خليل
باشا الذي أخذ اليهود والموائيق من أهل عسير وقبائلها بالموالاة
للدولة العثمانية ، وبعضها سار إلى اليمن ، واتجه قسم ثالث
إلى أبي عريش ، وبقيت حامية في طيب ، وذلك في مطلع عام
١٢٣٥ هـ .

أما المخلاف السلياني فقد تولى أمره علي بن حيدر الموالي
لقوات محمد علي والذي قاتل معها وذلك بعد اللقاء القبض على
ابن عمه أحمد بن حمود ونفيه إلى مصر .

لم يمض شهر على مغادرة خليل باشا لعسير حتى خرج الأمير
سعيد بن مسلط من ملجئه بالأطوار مع من انضم إليه من بني مفيد
وعلكم وبعض قبائل عسير الأخرى وانقض على حامية طيب
التركية فاعتصمت داخل البلدة فألقى عليها الحصار فاستسلمت
لحكمه فسلبها سلاحها وأطلق سراحها ، وشعر بعد هذا بارتفاع

المعنويات ،وزيادة الامكانات،وقد جاءته وفود القبائل معلنة الطاعة ومبذية الاذعان وذلك في مطلع عام ١٢٣٦ هـ •

أمام هذا الذي حدث في عسير أسرع جيش من الحجاز بإمرة الوالي أحمد باشا والشريف محمد بن عون ومعهما دوسري ابن عبد الوهاب المتحمي ، إلا أن هذا الجيش لم يكد يصل إلى مشارف عسير حتى جابهه الأمير سعيد بن مسلط بقوة تكافئه فانتصرت عليه وأجبرته على العودة إلى الحجاز يجرّ وراءه ذبول الخيبة والذل وكان من نتيجة ذلك أن ضم الأمير سعيد إليه بلاد رجال الحجر •

أعاد أحمد باشا الكرة فأرسل حملة كبيرة وأوكل إمرتها إلى الشريف محمد بن عون ومعه أخواه راجح وهزاع ، فسارت الحملة عن طريق بلاد غامد وزهران حتى وصلت إلى حدود بلاد رجال الحجر فإذا بالأمير سعيد على رأس قوته يقف لهم بالمرصاد إلا أن كثافة جيش ابن عون قد تغلبت على شجاعة ابن مسلط فدحرته ووالت زحفها إلى طب بقيادة هزاع وراجح ومعهما دوسري بن عبد الوهاب ••••• فهزموا علي بن مجثل قائد حامية طب التي كانت مقرراً لإمدادات أخيه ابن مسلط •

دخل الشريف محمد بن عون عسير واعتصم سعيد بن مسلط وأخوه لأمه علي بن مجثل بالأطوار ، وبايعت قبائل عسير ابن عون على ماض • وتوسط الأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي أمير بني قيس من رجال ألمع بين محمد بن عون وسعيد بن مسلط

وتم الصلح بينهما وعفا ابن عون عن ابن مسلط ومن معه

ترك ابن عون حامية في طبب بامرة أخيه هزاع ومعه دوسري
ابن عبد الوهاب المتحمي وتوجه هو إلى بلاد شهران في طريقه
إلى بلاد وادي الدواسر واستنفر قبائل عسير للقتال معه في
وادي الدواسر ، ومكث في بلاد ناهس ينتظر قدوم قبائل عسير .
إلا أن سعيد بن مسلط قد تأخر عليه بمن معه من جند بني مغيد
وعلكم ، فانتهره الشريف وقسا عليه في التأنيب أمام الجميع فثارت
ثائرة سعيد بن مسلط ومن معه فانتظر حتى تحرك الشريف محمد
ابن عون بجنده فتراجع هو بقوته من عسير مسرعاً ، والتقى في
طريقه بالأمير ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي في المجمع
وأخبره بما فعله الشريف محمد بن عون معه فتأثر ومن معه جداً
وساءهم ما فعله في حق أميرهم فبايعوه على قتال محمد بن عون
والترك .

توجه الأمير سعيد بمن معه مباشرة إلى طبب وهجم على
حاميتها وأحرق مركز الحكم فيها . وقتل هزاع بن عون وأباد
الحامية ، وكلف من يقوم بتدمير القصور التي يعتصم فيها الترك ،
وسار مسرعاً للقاء ابن عون .

ولما وصل الخبر إلى الشريف محمد بن عون قفل راجعاً
إلى عسير وقبل وصوله إليها التقى بالأمير سعيد في وادي عتود
فجرت بين الطرفين معركة طاحنة لم تشهد عسير مثلاً وانهمز

الشريف محمد بن عون ومعه أخوه راجح ودوسري بن عبد
الوهاب المتحمي فتتبعهم قوة الأمير سعيد فأدركت الشريف راجح
ابن عون بالقرب من وادي الجنفور فقتلته ونجا كل من محمد بن
عون ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وسار الأول إلى الحجاز
على حين اتجه الثاني نحو نجد •

وبرز سعيد بن مسلط بين وجهاء عسير وعرف بشجاعته
واستبساله في القتال ، وتيامنوا به •

الفصل الرابع

الاستقلال

التفت قبائل عسير - سراة وتهامة - حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمارة لما لأسلافه من السلطة والنفوذ على هذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو من أسرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمرة المنطقة على مدار تاريخها تقريباً سوى فترات قصيرة يعصف بها روح الخلاف بين أفرادها على الإمارة والزعامة ، أو تصل قوة قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمر إليها ، وتتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يتمتع به شخصياً من منزلة رفيعة بين رجالات القبائل وسراة القوم •

وعندما انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في المنطقة وعمل لها محمد بن عامر أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب كانت الإمارة - كما ذكرنا - بيد محمد بن أحمد من آل يزيد فوقف في وجه الدعوة فكان أن قتل ، بينما وقف أبناء عمومته سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع الدعوة وأيدوها وعملا لها ، وكانا موضع ثقة ودين •

ولما كانت الإمارة في عسير تعتمد وتقوم على الدين، لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام ، فإن الأمير يجب أن يتحلى بهذا ويتصف بالاستقامة ، وسعيد من هؤلاء الرجال، إضافة إلى أنه من الأبطال الا فذاذ عرف بالشجاعة واشتهر بالبسالة وامتاز بالدين واتصف بالاستقامة فجدير به أن يتسلم الإمارة وحرى بأهل عسير أن يقدموه على أنفسهم وينصبوه أميراً ويلتفوا حوله .

أرسل الأمير سعيد بن مسلط أخاه علي بن مجثل على رأس قوة إلى بلاد سنحان ووادة ، فأدخلها في طاعة الأمير سعيد .

ووجه ابن خاله الأمير يحيى بن مرعي بقوة إلى بيشة، فأدخلها في طاعة عسير .

وسار بنفسه على رأس قوة فدخل بلاد غامد وزهران . وأصبح الأمير سعيد بن مسلط سيد هذه البلاد كلها . وهكذا انتقل الحكم في عسير من آل المتحمي إلى آل يزيد ، وانتقل المركز من طب إلى السقا ، وكانت عسير مرتبطة بالدرعية فأصبحت مستقلة ينتقل الحكم بين أبنائها حسب وصية الأمير القائم بالأمر، ورأي أهل الحل والعقد في البلاد، حيث كانت الدولة السعودية في غياب عن مسرح التاريخ لما أصابها بعد دخول إبراهيم باشا الدرعية . ولكن هناك صلات نسب بين آل المتحمي وآل يزيد فأم عائض بن مرعي هي عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي ، وكذلك زوج أم أولاده عبد الله ويحيى وأحمد هي غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي ، ولاغرابة في ذلك فالأسر

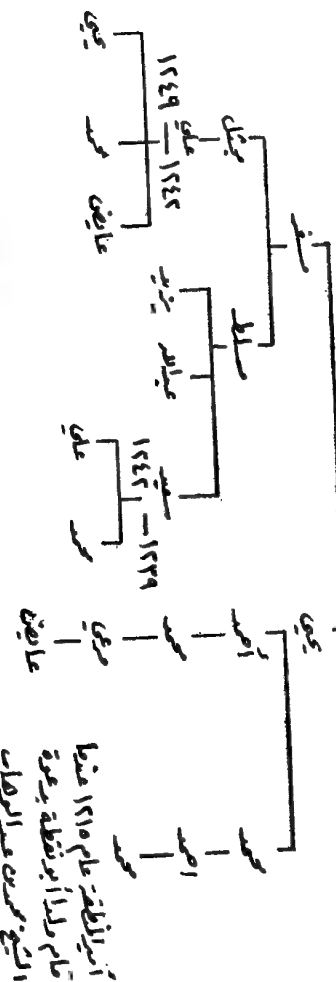
المرموقة تتزوج فيما بينها ، بل ويحرص الآباء على زواج أبنائهم
من بنات يعتقدون أنهن كفاء لهم .

وتوالت الأخبار بانتصار الأمير سعيد بن مسلط على الشريف
محمد بن عون ثم استقلال عسير وانضمام المناطق إليه منطقة
بعد أخرى وزيادة نفوذ الأمير العسيري وتقلص النفوذ المصري
والتركي فكان لهذا كله أثر سيء في نفس والي الحجاز أحمد باشا
الذي خشي أن تطرق جحافل العسيرين أبواب الحرمين الشريفين
مما دفع أحمد باشا أن يعرض الأمر على الباب العالي ، ويبين له
أهداف عسير ، فجاء الرد بأن يتوجه بحملات قوية إلى عسير
ويحيط بها من كل جهة ، ولعل الشريف محمد بن عون كان له
اليد الطولى في شن هذه الحملات إذ كان يحرض والي الحجاز
من قبل محمد علي وهو أحمد باشا وذلك لتبرير هزيمته ، ولينتقم
من الأمير سعيد ، وحتى لا يتحمل مسؤولية الهزيمة وحده .

تقدمت قوات أحمد باشا ومعه الشريف محمد بن عون عن
طريق تهامة ، ووالت زحفها على الرغم من مقاومة العسيرين
واستبسالهم لدفعها عن بلادهم وردها من حيث أتت حتى التقت
بقوات الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فدحرتها واحتلت عسير ،
واعتصم الأمير سعيد بالأطوار ، وبقي أحمد باشا في عسير حتى
نهاية جمادى الأولى ١٢٣٩ هـ ثم عاد إلى الحجاز ، وقد ترك حامية
في مدينة أبها إلا أن سعيد بن مسلط خرج من معقله بمن معه
وهاجم الحامية في أبها ، واشتبك معها في معركة تراجعت بعدها إلى

مقرها في المدينة واعتصمت فيها ، فحضر عليها الحصار ، ورغم ما أبدته من مقاومة إلا أنها استسلمت في النهاية ، فأُخلى سبيلها وسمح لها بالعودة إلى الحجاز وأثناء عودتها التقت بقوة يقودها محمد بن عون فانضمت إليها وتابعت زحفها نحو عسير حيث التقت مع الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فلحققت الهزيمة بالأمير والتجأ إلى الأطوار ، ودخل جيش محمد بن عون طيب وأبها إلا أن جيشه انسحب نتيجة الصلح الذي تم بين الطرفين في ٢٦ شعبان ١٢٣٩ هـ ، واستمر هذا الصلح لنهاية العام ثم نقضه محمد بن عون ، إذ جاءت قواته عن طريق بلاد شهران ، فالتقت بقوات الأمير سعيد وانتهت المعركة بهزيمة الشريف وانتصار العسيريين ثم سادت فترة من الهدوء بين الطرفين ، وفي مطلع عام ١٢٤٢ هـ توفي الأمير سعيد بن مسلط (يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول) وخلفه الأمير علي بن مجثل .

مصرعۃ من زبانه شیخ قبال قیس بن سعید من رجال ألع



علي بن مجتّل

١٢٤٢ - ١٢٤٩ هـ

تولىّ عليّ بن مجتّل أمر عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد ، وكان على منزلة رفيعة من الدين والورع ، فكان يقدرّ العلماء الذين ساعدوه في فصل الخلافات بين الناس ، وكانت مدة إمارته غرة في تاريخ عسير ، إذ استطاع أن يحررها من السيطرة التركية ، وساعده على ذلك الخلافات التي نشأت بين أشراف مكة ، وانشغال محمد علي في حروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية ، وحضكته السياسية ، وتجاربه الكثيرة إذ لعب دوراً بارزاً في تاريخ عسير السياسي والعسكري قبل تسلمه الأمر أيام أخيه سعيد وأيام إمارة آل المتحمي ، وكانت تلك الأيام مليئة بالحروب والمعارك التي ما تكاد تنتهي حتى تبدأ ، وعلي بن مجتّل ينتقل من قيادة جيش إلى آخر ، ومن المراقبة في مكان إلى منازل في آخر .

بعد أن سيطر محمد علي باشا والي مصر على الجزيرة العربية قامت الحركات في وجهه ، فقد ثار عليه شريف مكة يحيى بن سرور عام ١٢٤٤ هـ ، فاستصدر محمد علي مرسوماً بعزل الشريف يحيى وتعيين محمد بن عون مكانه شريفاً على مكة .

دخل محمد علي حرباً ضد الدولة العثمانية عام ١٢٤٧ هـ ،

وتقدمت جيوشه في بلاد الشام ، واتهز سكان الحجاز الفرصة وأعلنوا الثورة عليه ، وقد أرسل محمد علي حملة إلى الحجاز انتصرت على الوالي العثماني الجديد « تركشه بيلمز » أي : الذي لا يعرف التركية .

وقام علي بن مجثل بأعمال حرية نجمها بمايلي :

غزا عام ١٢٤٢ هـ وادي ييش والقبائل المقيمة فيه من بني عبس لأنها تمردت على حكمه ، فوطد الأمن في تلك الديار وعاد إلى مقره .

غزا عام ١٢٤٣ هـ أمير أبي عريش الذي دخل صيبا وطررد الحامية العسيرية منها ، فأعاد صيبا إلى منطقة نفوذه ، وحاصر مدينة أبي عريش ، ثم وقع صلحاً مع أميرها ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه .

أغار عام ١٢٤٥ هـ على قبيلة وادعة ، وأعادها إلى الطاعة . وتقدم إلى جهات مور عام ١٢٤٧ هـ ف ضرب على أيدي العابثين وأقر السلام .

وهاجم عام ١٢٤٨ هـ أمير أبي عريش علي بن حيدر الذي قاتل حامية عسير في وادي مور ، وقد جاءت مساعدات تركية إلى أمير أبي عريش فحاصر علي بن مجثل المدينة وإن لم يستطع أن يدخلها حرباً فقد دخلها صلحاً ، وتم الاتفاق بين الطرفين بحيث أصبح علي بن حيدر يحكم منطقة أبي عريش بالنيابة عن أمير عسير ، ورحلت الحامية التركية في أبي عريش إلى الحجاز .

واستطاع « تركشه ييلمز » أن يفتح الحديدية ومخا وزبيد من أرض تهامة باسم أمير عسير ، وكان نتيجة ذلك أن طلب سكان الجزر في البحر الأحمر الخضوع لأمير عسير ، والأخذ بالدعوة السلفية ، ومن هذه الجزر جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيرية .

وأرسل محمد علي باشا والي مصر حملة عام ١٢٤٩ هـ للسيطرة على عسير وتهامتها وإعادة نفوذه إليهما إلا أن أهل هاتين المنطقتين قد وقفوا في وجهه ودحروا حملته .

استأثر « تركشه ييلمز » بالمناطق التي فتحها وقام بأعمال غريبة ، فحاربه علي بن مجثل ، ودخل تلك المناطق عام ١٢٤٩ هـ ، وعندما عاد إلى السقا وافته المنية .

وقد قال فيه أحد مؤرخيه « كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال آل سعود بالبلاد ، وكان متشعباً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شديد الحرص عليها والتمسك بها وحمل الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي ، جمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير ، وأغدق عليهم العطاء والصلوات ، ولأسلاف الحفاظية القدح الملقى في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجانب آل سعود وعندما اشتد به المرض لم تحمله العاطفة على أن يجعل الحكم وراثياً ،

ولكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالامارة إلى
عائض بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر فيمن يصلح
لتولي أمور المسلمين فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته وكان ذلك
في أواخر عام ١٢٤٩ هـ (١) » .

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة .

عائض بن مرعي

١٢٤٩ - ١٢٧٣ هـ

يلتقي عائض بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الخامس إضافة إلى كونهما أبناء عمته عائشة بنت محمد [وقد ولد يتيماً في ذي القعدة عام ١٢١٣ هـ وتربى يتيماً مع أخويه خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود عام ١٢١٦ هـ عند دخوله جهات عسير لعدم دخوله في الطاعة لأنه ومن انضم إليه وقف في وجه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي ، وكان الإمام محمد بن سعود قد جعله أميراً على عسير ، وكان الأمير محمد بن أحمد قد بيت الإيقاع بالأمير محمد بن عامر وحشد له من والاه من قبائل عسير إلا أن الأمير محمد بن عامر قد أدرك نواياه فتوجه إلى الدرعية وطلب من الإمام محمد بن سعود قوة تغرز القبائل الموالية له للقضاء على الأمير محمد بن أحمد ، واستولى الجيش على عسير ، وقتل الأمير محمد بن أحمد ، وانتقل الأمير عائض وأخويه إلى كفالة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخ الأمير علي بن مجثل لأمه وابن عمه ، ويجتمعون مع عائض بن



مرعي في جده الخامس ، وقد تولى الإمارة بالوصاية من علي بن مجتل (١) .

أما ما يقوله الريحاني وحافظ وهبه من أن عائض بن مرعي كان راعياً، فهذا لا يتفق مع الواقع في شيء فهو أولاً سليل الأمراء ، وتربى في كنف الإمارة ، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة علي بن مجتل وهو في المخلاف السليماني يقاتل أمير أبي عريش ، ثم فرى أن أهل الحل والعقد يابعون عائضاً قبيل وفاة ابن مجتل وهل يبايع عليه القوم راعياً ؟ يقول الزركلي: « كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ، ولما وصلت الحملة المصرية إلى عسير عام ١٢٤٩ هـ استبسل في صدها ، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجتل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجتل في شوال من السنة نفسها » .

وقال النعمي « كان عائض من أنبل رجال عسير ذكاء وشجاعة ، وبايعه العسيريون بالإمارة في شهر شوال ١٢٤٩ هـ على أثر وفاة ابن مجتل وبقي فيها حتى عام ١٢٧٣ هـ حيث توفي وخلفه ابنه محمد » .

وكان أول أمر واجه الأمير الجديد عائض به مرعي اتقاض أمير أبي عريش علي بن حيدر عليه فأرسل له وفداً لأخذ البيعة

(١) المصدر السابق .

وفشل الوفد ، إذ أجاب علي بن حيدر أن العلاقة مع عسير قد انتهت ب وفاة علي بن مجثل . فسار إليه عائض بن مرعي على رأس جيش قوي إلا أنه لم يستطع دخول أبي عريش على الرغم من وجود حامية عسيرية في إحدى قلاعها ، فاضطر إلى العودة إلى مقره بعد حصار طويل ، ثم انسحبت الحامية العسيرية من أبي عريش .

وفي شهر صفر عام ١٢٥٠ هـ توجه الترك إلى بلاد عسيرة بقوة كبيرة على رأسها شريف مكة محمد بن عون وكان مجيئهم عن طريق ييشة ، فخرج إليهم الأمير عائض بن مرعي ، والتقى الطرفان بمعركة حامية في وادي عتود من بلاد شهران ، فهزم أهل عسير ودخل الترك أبها وعسكر بعضهم في طبب ، إلا أن بقاءهم لم يطل إذ أعاد الأمير عائض عليهم الكرة وأخرجهم من بلاده .

وعقد محمد علي باشا حاكم مصر اتفاقاً بين إمام اليمن وشريف أبي عريش لقتال قبائل عسير المتمردة على نفوذه المستعصية على حكمه ، والممتنعة عليه حصونها ، والتي تؤيد الدولة السعودية في نجد وذلك في منتصف عام ١٢٥٠ هـ .

وفي أواخر عام ١٢٥٠ هـ شن الجميع هجوماً عاماً على عسير ، فقد جاؤوا من كل جهة ، جاؤوا عن طريق بلاد شهران وعن طريق الحجاز وعن طريق تهامة ومن الجنوب ، ومالأتهم بعض القبائل وخاف بعضها الآخر واستطاع الأحلاف أن يدخلوا عسير ، إلا أن الأمير عائض بقي رابط الجأش ثابت الجنان يغير على العدو الغارة إثر الغارة حتى استطاع إخراجهم

من عسير ٠٠٠٠٠ ويظهر أن فشل هذه الحملة إنما كان بسبب الخلاف الذي وقع بين شريف مكة محمد بن عون الذي يريد بسط نفوذه على عسير وبين أحمد باشا سر عسكر الحجاز من قبل محمد علي ٠٠٠٠٠ دعا محمد علي الخصمين إلى مصر بحجة التنسيق ودراسة أمر المنطقة ، وهناك عزل محمد بن عون ، وأثبت أحمد باشا في مكانه ، أما قبائل عسير فقد أرسلت البشرى إلى فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية تعلمه بالنصر كما بعثت إليه بخمس الغنيمة مع بعض الهدايا تأكيداً للصلة بين عسير ونجد ٠٠٠

فترت الحملات على عسير بعد هذا الذي حدث عام ١٢٥١ هـ فتفرغ الأمير عائض للقيام ببعض الإصلاحات وحفر الآبار ، وفرغ بعض الطلبة للتفقه في الدين في المدرسة الحفظية في بلدة رجال وخصص لهم المراتب ٠

وغزا بيشة عام ١٢٥٢ هـ ، وأرسل سرية إلى درب بني شعبة لحمايتها من أوباش القبائل الذين عاثوا هناك الفساد ٠

وسار عام ١٢٥٣ هـ إلى بلاد غامد وزهران وأدخلهما في طاعته ، إلا أن أحمد باشا مندوب محمد علي في الحجاز استرجعهما بعد مدة ، وعندما أراد الأمير عائض العودة إليهما هزم جيشه هزيمة قاسية ٠

انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥ هـ بعد هزيمتهم في بلاد الشام وخروجهم منها وبناء على اتفاق لندن ، وعاد الأمراء في الجزيرة العربية يوسعون دائرة نفوذهم ٠

وفي عام ١٢٥٦ هـ غزا الأمير محمد بن مفرح نائباً عن الأمير
عائض تهامة اليمن بالاتفاق مع الأمير حسين بن علي بن حيدر
أمير أبي عريش وذلك بغية اخراج الترك منها .

وفي العام نفسه غزا الأمير حسين بن علي بن حيدر مخا
بالاتفاق مع الأمير عائض ، كذلك قاتل الأمير محمد بن مفرح بلاد
بني عمرو في السراة . وخرج من الحجاز أحمد باشا سرعسكر
الحجاز من قبل محمد علي وعاد محمد بن عون إلى مكة وعقد
معاهدة هدنة بينه وبين الأمير عائض ، عاد بموجبها أسرى عسير
الذين كانوا في الحجاز ، وبانسحاب المصريين من الجزيرة ، والهدنة
مع الحجاز ، وانشغال الدولة العثمانية ، كل هذا فسح المجال للأمير
عائض لأن يوطد شؤون إمارته ويتفرغ لإرساء قواعدها .

قام ببعض الغزوات لبعض القبائل التي أرادت معاداته
فأعادها للطاعة .

وفي عام ١٢٦٠ هـ استغل ضعف شريف مكة محمد بن عون
فأغار على ييشة ، وبلاد شهران وبالقرن ، وبلاد غامد ، وأدخلهم
في طاعته .

وقاتل عام ١٢٦٣ هـ بني جماعة الذين يقيمون في باقم ، وهي
غربي ظهران الجنوب ، وتقع الآن ضمن حدود اليمن . وغزا عام
١٢٦٤ هـ اليمن .

اتفق مع شريف مكة على تعيين الحدود بين الامارتين وقد

أناب عنه الأمير محمد بن مفرح ، ومثل شريف مكة محمد بن عون
ابنه عبد الله وذلك عام ١٢٦٥ هـ .

وغزا عام ١٢٦٦ هـ آل حدرة الذين يقيمون غربي درب بني
شعبة قريباً من ساحل البحر الأحمر .

وفي عام ١٢٦٧ هـ ترك الاتفاق السابق بينه وبين شريف مكة
بشأن الحدود وأغار على ييشة وبلاد بالقرن، كما غزا في العام نفسه
وادي تثليث .

وفي عام ١٢٦٨ هـ بعث سرية إلى بلاد غامد وزهران بقيادة
ابنه محمد فانتصرت عليهم ثم عاد فأرسل حملة أخرى في العام
التالي يامرة أخيه يحيى بن مرعي .

وفي عام ١٢٦٨ هـ سیر عباس الأول والي مصر عشرة آلاف
جندي نظامي إلى جبال عسير فهزمت هزيمة منكرة أمام الأمير
عائض بن مرعي .

وفي عام ١٢٦٩ هـ حصلت عدة وقائع بين عائض بن مرعي
والجيوش المصرية انتصر فيها كلها أهل عسير بقيادة أميرهم ،
الذي استأصل خصومه قتلاً وأسراً ، فأرسل الأمير عائض بشارة
إلى إمام نجد فيصل بن تركي مع هدية وقصيدة لقاضيهما علي بن
الحسين الحفظي التي يقول فيها :

قفي فانظري يا أم عبد معاركاً

يُصيب لها الولدان من كل أمرد

وإن كنت عنها في البعاد فسألي
 ففيها أسود من مغيد^(١) بمرصد
 وفيها ليوث الأزد^(٢) من كل شيعةٍ
 يصالون نار الحرب حرباً لمعتد
 وفيها رئيس عايض^(٣) حول وجهه
 حياض المنايا أصدرت كل مورد
 وفي ربوة الشعبين^(٤) داهية أتت
 عليهم فما أغنى دفاع بعسجد
 ويوم المقضى^(٥) قد تقضت أمورهم
 بفاقرة الظهر التي لم تضمد
 ومن قبل ذا يوم العزيزة^(٦) عزهم
 ذليل بضرب المشرفي المجرد
 كتائب منها صرعوا ثم غودروا
 بأشلائهم قاني الدماء المكند

-
- (١) بنو مغيد : احدى قبائل عسير وأبرزها وحليفة آل يزيد
 (٢) الأزد : قبائل عربية معروفة ينتمي إليها أهل عسير .
 (٣) عايض : هو عائض بن مرعي أمير عسير آنذاك .
 (٤) الشعبين : مركز رجال المع وقد جرت فيها معركة يشير
 إليها الشاعر .
 (٥) المقضى : اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين .
 (٦) العزيزة : بلدة غربي أبها ، وهي بلدة آل لاحق أبو سراح
 الزيدانيين وقد كانوا وزراء آل عائض .

بأيدي رجال من شنوءة^(١) جدهم

رقى بهم مجداً حذو فرقد

وفي عام ١٢٦٩هـ بدأت الأوبئة تصل إلى عسير بعد أن انتشرت كثيراً في الحجاز، ومنها الطاعون الذي فتك بالكثير من الناس، وقد امتد أثر هذا المرض حتى عام ١٢٧٣ هـ وأصاب الأمير عائض بن مرعي وكانت منيته به وذلك يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وبهذا امتد حكمه ما يقرب من ٢٤ سنة ترك بعده إمارة واسعة تمتد من بلاد زهران في الشمال حتى ظهران الجنوب قرب نجران في الجنوب ومن وادي تثليث في الشرق حتى البحر الأحمر في الغرب ، وقد امتدت إلى تهامة اليمن حتى مخا •

صفاته : « إن الأمير عائض بن مرعي كان على قسط وافر من

رجاحة العقل وسجاجة الخلق وكان محسناً محباً للعلماء ومقدراً لهم ، فقد ذكر في حوادث عام ١٢٥٩ أن العلامة الشيخ زين العابدين الحفظي كتب إلى الأمير المشار إليه أن ينزل إلى تهامة لمواجهة ، فامتثل ذلك ونزل إلى أول وادي ثاه من بلاد بني زيد ، واجتمع بالشيخ المشار إليه فبذل له وصايا ونصائح ومسائل هي لثبات الدين والملك من أعظم الوسائل فتلقاها بالرضى والقبول^(٢) » •

(١) شنوءة : لقب الأزدي الذين يقيمون في سراة عسير .

(٢) في ربوع عسير محمد عمر رفيع ص ٢٣٦ طبعة ١٣٧٣ هـ -

١٩٥٤ م دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة .

وهذه صفات لا تتوفر إلا لدى قليل من الأمراء ، وهي علامة التواضع والتقوى « نعم الأمراء على أبواب العلماء ^(١) » .
 قال صاحب « الدر الثمين » : « وكان فيما أوصى به فيما بلغني بالإمارة للأمير عائض بن مرعي لما يعلم فيه من الحزم والبسالة ، وحسن السياسة والنبالة . فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت ، وقدم أرسخ من الجبال الثوابت ، يخضع لسنطوته كل معاند ، وتزهو باسمه الصكوك في جميع المقاصد ، وهذا كله بعد ما وقع بينه وبين الأتراك من الملاحم الكبار التي تسك المسامع وتعمي الأبصار ، فحصى حمى بلاده ، وأعاناه الله تعالى على القيام بمراده ، وأذاق أولئك في حروبهم معه السقم الزغاف ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهرق . »

وما تقر سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهرأ منه في القلل
 والمعروف أنه سار على نهج سلفه الأمير علي بن مجثل في الذود عن حياض الدعوة ، والولاء لآل سعود الذين تقلص ظل نفوذهم في كثير من أنحاء الجزيرة العربية بدليل أنه تولى الحكم في أواخر عام ١٢٤٩ هـ في الوقت الذي قتل فيه الإمام تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله تعالى وفي الفترة التي انقطعت فيها الصلة بين نجد وعسير وكثرت الاضطرابات التي واكبت تقلد الإمام فيصل بن تركي زمام الحكم في نجد ، ومع ذلك فإن الأمير عائض بن مرعي يعتبر حكمه امتداداً لحكم آل سعود في اقليم عسير وإن كان مادون من تاريخ حكمه لا يمدنا إلا بذكر بعض

(١) المرجع السابق .

الحوادث المفككة الحلقات ، فهناك الكثير من الحوادث والوقائع التي سمعتها ممن عاصروا أواخر حكمه لم أجد لها ذكراً فيما دون من كتب عن تاريخ عسير وحكامهم ، من ذلك ما سمعته من بعض كبار السن الذين أدركوا حكمه وكان هذا منذ ستين عاماً أن الأمير عائض بن مرعي كان يعزل شيئاً من خمس الغنائم التي يحصل عليها في غزواته، وشيئاً من الزكاة خصوصاً الابل ويجعل لها رعاة يتنقلون بها في مواقع الغيث في انتظار من تستتب له الأمور من آل سعود ليدفعها إليه ، وظلت مدة طويلة بأيدي رعاتها ، وعندما اتبصر على الأتراك والمصريين في حملاتهم المتكررة على عسير ، وحصل عنده كثيراً من الأسلحة والذخيرة والخيول والذهب، أرسل جزءاً كبيراً من الأسلحة والذخيرة والذهب وبعض الجياد مع الإبل إلى الإمام فيصل بن تركي بعد ما استعاد الكثير من مملكة آبائه وأجداده ، وعهد إلى زيد بن شفلوت شيخ بادية عبيدة بإيصالها إليه في الرياض، وبعث معه بشخص من آل الحفطي يحمل رسالة منه إلى الإمام فيصل يزف إليه بشرى الانتصارات التي أحرزها ومعها قصيدة لعلي بن الحسين الحفطي يعدد فيها المواقع التي دارت فيها المعارك والتي كان النصر فيها حليف الأمير عائض ابن مرعي وجنوده^(١) » ومعنى هذا أنه لم يكن حريصاً على الدنيا ، ويحرص على البيعة ...

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة جماديان ١٣٩٥ هـ

أسرته : أمه عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي أخت محمد
ابن عامر أبو نقطة فهي من أسرة الوجاهة في قبيلة ربيعة ورفيدة.
إضافة إلى أبيه الذي تحدثنا عن أصلته إذ أنه سليل الدولة الأموية
وقد خلف من الأولاد :

- علياً ١٢٤٥ هـ
- محمداً ١٢٥١ هـ
- سعيداً ١٢٥٦ هـ
- عبد الرحمن ١٢٦٥ هـ

عائشة
وقد تزوجها فائز بن غرم العسيلي وأنجبت
له ابنة اسمها صالحه تزوجها
الشريف عبد الله بن محمد بن عون
وهي أم أولاده .

صالحه

- وأم هؤلاء جميعاً سرّ بنت مشيط بن سالم أحد وجهاء بني
شهران القبيلة العربية المعروفة .
- كما ولد له سعد ١٢٥٣ هـ
 - ناصر ١٢٥٨ هـ
 - وأمهما زهرا بنت مغشبر بن عرار .
 - كما رزق عبد الله ١٢٥٨ هـ
 - يحيى ١٢٦٣ هـ
 - أحمد ١٢٦٨ هـ

وأمهم غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي آخر امراء آل
المتحمي .

وبهذا يكون قد تزوج ثلاثة نساء أنجبن كلهن ، وكان له تسعة أولاد ذكوراً وبناتان •

اصلاحاته :

١- اختط عدة حصون منها : حصن شدا بمدينة أبها ، وحصون السقا ، وريدة ، وحرملة وكان يطلق على الحصون أسماء قبائل لأغراض سياسية واقتصادية تدل على ذكاء متقد •

٢- أقام عدة مساجد منها : في السقا ، وريدة ، وأبها •

٣- أصلح عدة مناطق زراعية ، وأنشأ البساتين في وادي أبها ، ومن المزارع ما هو في وادي ييش •

٤- أنشأ مدرسة علمية تدرس مبادئ الفقه والتوحيد والتفسير والحديث •

٥- حفر الآبار في وادي أبها ، والفتيحة ، والسقا ، وريدة ، وحرملة ، ومسلية •

٦- اختط في بيشة في موقع يسمى القاع قلعة وجعلها رباطاً لمقاتلة بيشة • كما اختط أخرى في جاش من وادي تثليث لمقاتلة قبائل قحطان وتثليث • وثالثة في البرك ، ورابعة في بلاد شريف لرباط قحطان تستنفر أيام الحرب ، وخامسة في تبالة إحدى أودية بيشة • ولا تزال آثارها باقية •

الأمير محمد بن عائض

١٢٧٣ - ١٢٨٩ هـ

رغم أن علياً كان أكبر أولاد الأمير عائض إلا أنه كان ينوي أن يبايع سعداً ثالث أبنائه إلا أن محمداً كان أقواهم ويده شيء من السلطة حيث قاد الحملات ... ولم تكن الرغبة هي وحدها الكافية للبيعة وأخذ الطاعة وإنما لا بدّ من موافقة أهل الحل والعقد وقد دعا الأمير عائض في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الرأي لاختيار الأمير من بعده ويظهر أنهم خافوا محمداً ، أو خشوا سطوته ، كما حذروا أن يطلب الأمر وتنقسم البلاد في وقت هم بأشد الحاجة إلى الاتفاق ووحدّة الكلمة لذلك فقد رشجوا للأمير ابنه محمداً ، وما كان له إلا أن يستجيب خاصة وأنه يشعر بدنو أجله واقتراب منيته ، وكان محمد آنذاك يرباط بجيش على حدود الطائف ، وعندما عاد بلغه ما كان من أمر البيعة .

توفي الأمير عائض يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وأصبح ابنه محمد أميراً على عسير منذ اليوم التالي وقد أخذ البيعة من إخوته وأقربائه الأدينيين وشيوخ القبائل وعلية القوم وكانت مدة حكم والده الأمير عائض بن مرعي قد وطدت له دعائم الملك

ووسعت له رقعته ، فنعمت في عهده عسير بالخير وعمها الرخاء
والأمن والاستقرار •

كانت الدولة العثمانية أيام الأمير محمد مشغولة بمشكلاتها
الخاصة وماجرتة حروب محمد علي وماأفسدته الحركات الداخلية،
وقد وجهت همها للقضاء عليه فجردت الحملة تلو الأخرى إلا أنها
كلها باءت بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير •

وقد استعانت الخديوية والدولة العثمانية بالأمر فيصل بن
تركي ضد ثورة عسير ١٨٦٣ (١٢٨٠ هـ) ، وأرسل الخديوي
إلى فيصل كتاباً ذكر فيه « أنه لا يخفى على حضرتكم ما حل بجهة
اليمن من تمرد بعض الأشقياء وأن درء المفسد مقدم على
جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف
(يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العلية
يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدي ..
والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص
وعساكر تقمع هذه الفتنة ومن القديم مؤكد ومثبت
اتساق حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء مايلزم لها
من الاشغال وغاية المأمول أن مايلزم إلى العساكر المرسلة
من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل
أمورهم أو قضاء لوازمهم يشير اجراؤه بوقته ومايرر من هممكم

في هذا المقصد المستحسن (١) «.....» ويبدو أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض ، حتى أنه في أحيان كثيرة كان يحكم عسير يرسلون إلى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة الممتدة عليهم منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود .

وقد جاءت الحملة المتجهة إلى عسير بالفعل إلا أن الحاميات العسيرية المرابطة في القاع ببلاد بيشة قد تصدت لها وأبادتها .

وفي عام ١٢٨٠ هـ تقدم الأمير محمد بجيش نحو مدينة أبي عريش بناء على طلب أهلها الذين ضاقوا ذرعاً بالفتن والخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، كما ضاق الأمير محمد ذرعاً بكثرة مراوغة الشريف الحسن بن محمد وبعدم التزامه بعهوده ومواثيقه فقرر إبعاده نهائياً ، وما وصل الأمير محمد إلى مشارف المدينة حتى استقبله أهلها ودخل المدينة دون قتال أما أميرها الحسن بن محمد فقد لاذ بقصره معتصماً فيه مع من معه ثم انسحب في الليل هارباً ، وهكذا ضم المخلاف السليماني إلى عسير

وفي عام ١٢٨١ هـ جرد العثمانيون في تهامة حملة ضد الحاميات العسيرية في المخلاف السليماني إلا أنها دحرت أمام الحامية العسيرية بإمرة محمد بن مفرح . كما جاءت حملة أخرى من الشمال بقيادة شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون لاحتلال بلاد غامد وزهران . (١) الدولة السعودية الثانية - عبد الفتاح أبو عليّة ص ١٥٣ .

وويشة إلا أنها فشلت أيضاً أمام مقاومة الأمير سعيد بن عائض . وكانت معركة فاصلة تراجع فيها الأتراك وساند الأمير سعيد القوة في ييشة المرابطة في القاع بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني .

وبعد أن توفي الإمام فيصل بن تركي اختلف أبناؤه من بعده . وقام بعضهم على الآخر وفي عام ١٢٨٣ هـ خرج سعود بن فيصل مغاضباً لأخيه عبد الله وتوجه إلى الأمير محمد بن عائض الذي بلغ من القوة مبلغاً كبيراً حتى عرف باسم « محمد الفاتح » . فقدم عليه ، وأقام عنده مدة طالباً منه النصر ضد أخيه ، ولما علم عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل إليه بهدية مع الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وكتب إليه بأن خروج أخيه من الرياض من غير سبب يوجب ذلك ، وأن مراده قطعة الرحم والشقاق ، وكتب إلى أخيه سعود يأمره بالقدوم عليه ، وأنه يعطيه ما طلب فأبى سعود أن يرجع وقد زود الأمير محمد الشيخين بهدية قيمة إلى الأمير عبد الله بن فيصل ورسالة يخبره فيها أن سعود قد طلب المساعدة إلا أننا لم نوافق ، وأشرنا عليه بالرجوع فلم يوافق . وهذا يدل على مقدار قوة ابن عائض ، وذكائه في عدم دخوله في الخلافات التي نشأت بين أبناء فيصل .

ولما تحقق للأمير سعود بن فيصل أنه لن يحصل على مساعدة من ابن عائض خرج من عنده وتوجه إلى نجران حيث حصل هناك على ما يريد من مساعدة .

كان محمد رجل حرب أكثر منه رجل علم وسياسة ، ورجل الحرب تشتد بطشته إن وجد فتنة أو لاحظ فساداً أو فوضى...
أما العلماء الذين رؤوا فرقاً بين أبيه الذي يقرب العلماء ويأخذ برأيهم ونصائحهم ، وبينه هو الذي يريد أن يعتمد على قوة السلاح وسواعد الأبطال ، فصرخوا في وجهه أن انفراج الزاوية بين الخير والشر يتسع إن استمر في خطته وسيره ، وأن المعروف يزوي تدريجياً ، وثار رجال ألمع عام ١٢٨٥ هـ إلا أنه انتصر عليهم بعد أن أرسل إليهم وفداً برئاسة لاحق بن أحمد الزيداني للتوسط إلا أن الوفد قد فشل في مهمته .

وفي عام ١٢٨٨ هـ كانت قوة الأمير محمد بن عائض قد بلغت أوجها، وأطاعه أهل المنطقة جميعاً، والمخلاف السليمانى، وتهامة بأسرها وأصبحت قوته مرهوبة الجانب ، وتحسب له الدولة ألف حساب لاسيما وأن حملاتها كانت تتحطم أمام قوة عسير ولم تجد الطرق السلمية كما لم تجد الطرق العسكرية لذلك قررت غزوه مهما كلف الأمر ، وفي الوقت نفسه فقد كانت الدولة العثمانية تريد أن تستعيد نفوذها في المناطق الخارجة عنها وأن تقوي مركزها بعدما أصابها من الضعف لهذا كله أعدت عدة حملات لهذه الغاية

ترامت الأخبار إلى الأمير محمد من واليه على مخا ، وزيد والحديدة والمخلاف السليمانى محمد بن مفرج أن الأتراك قد

زحفوا على جبهته بقوات كثيفة وانضم إليها مرتزقة من اليمن . . .
ثم توالى عليه الأنباء أن الترك قد حاصروا ابن مفرح وحاميته
بغية إجلائهم عن الحديدية بعد أن أجلوهم عن المخا فتوجه
الأمير بقوة حتى وصل إلى الحديدية وفك الحصار عن حاميتها
وأخرج الترك من المخا وتتبع تراجعهم ، وعزم على مواصلة الزحف
لاحتلال صنعاء وطردهم من اليمن بأسره ، إلا أنه ما لبث وهو
يواصل زحفه أن جاءت الأخبار باحتلال بلاد غامد وزهران
ويشة ، وطرد حاميات عسير منها ومواصلة زحفها
إلى أبها فتراجع إلى المخا ومنها إلى الحديدية . . ونشط
الأتراك في ملاحقته بعد معارك دامية ذهب الكثير فيها من
الطرفين قتلاً وبقيت الترك تحتل كل بلد يرتحل عنه الأمير
محمد فدبت الفوضى في صفوف الجيش العسيري وخرج الأمر
من يد الأمير محمد . . . ويظهر أن الجند أثناء هذا قد ارتكبوا
أفعال المنتصرين أو عملوا أعمال المنهزمين الناقمين، وهذا ما كان له
أسوأ الأثر على سمعة الأمير خاصة والعسيرين عامة ، خاصة
وأ أنهم كانوا يسمون عند الدولة العثمانية بالعصاة هذا من
جانب ، ومن جانب آخر فقد نسب للعسيرين ما فعله الترك عند
دخولهم المناطق

وما كاد يصل إلى أطراف أبها حتى فوجئ بطرد أخيه سعيد
ابن عائض من بلاد غامد وزهران ويشة ، وطرد الحامية المتمركزة
في القاع في بلاد يشة بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني . . . ثم

احتلال بلاد شهران من قبل جيش يقوده شريف مكة والسير
للهجوم على أبها من جهة الشرق

وقد نزلت حملة أخرى في القنفذة بقيادة محمد رديف باشا
للتوجه إلى عسير والتمركز في شعار ، وجاءت قوة رابعة نزلت في
الشقيق على أن يكون طريقها إلى عسير والتمركز في جبل تهلل ،
وطرد والي تهامة من قبل الأمير محمد بن عائض لاحق بن أحمد
أبو سراح الزيداني

وصلت حملة القنفذة في ٢٠ شوال إلى المدينة وتقدمت إلى
حلي بن يعقوب واستعد رجال ألمع لمقاومة خصومهم في
أول بلادهم ، وتقدم الترك إلى محاليل فاحتلوها ، ومنها راسلوا
الأمير محمد بن عائض في الطاعة والاستسلام أو القتال ثم
سار محمد رديف فالتقى برجال ألمع وهزمهم وارتقى بمن معه من
الترك إلى السراة عن طريق عقبة شعار ، أما أحمد مختار باشا
فقد توغل في أودية تهامة .

وعندما وصل الأمير محمد إلى أبها ، عقد اجتماعاً ضم عليه
القوم وشيوخ القبائل الموالية إليه فتعاهدوا على الحرب والتضحية
والبذل في سبيل كسب النصر مهما كان الثمن وبدؤوا
بالاستعداد لذلك

أما قوة الترك فكانت كبيرة واعتبرت حملاتها هذه انتحارية
إما النصر والقضاء على آل عائض وإما الهزيمة النكراء وترك

عسير إلى الأبد ، لذلك فقد أُرهب الترك القبائل التي رأت أن
لا طاقة لها بالحرب أمام هذه الجموع الجرارة فبدأت تلوذ بالفرار
أو تعتصم في معقلها السرية . . . حتى ترى النتيجة ولمن تكون
الغلبة . وكانت القيادة التركية تضم إليها القبائل التي تسير معها
خوفاً أو طمعاً لترهب خصمها بها وتكسب لها أنصاراً باسم أنها
تقاتل بجنود من عسير هذا على حين كانت قوة آل عائض
آخذة في الضعف بين يوم وآخر ، فإن ما معهم قلة لا ينهض بها
نصر، والذخيرة تتناقص مع الأيام أيضاً، وليس هناك من سند أو
دعم أو جهة يأتي منها السلاح وإنما الاعتماد على النفس

قسم الأمير محمد بن عائض القبائل والجند الذين حوله
إلى أقسام ووجه كل قسم إلى جهة فقد وجه أخاه سعيداً
إلى السقا ومعه بنو مغيد . .

ووجه أخاه سعداً إلى رجال ألمع ومعه عليكم بإمرة حامد بن
سليمان وأبي زوعة . .

ووجه أخاه عبد الله إلى بلاد ابن هشبل مع عدد من بني مالك
بإمرة معدي بن علي وأبي حشر .

ووجه أخاه يحيى إلى صبيا وبني شعبة مع عدد من بني مالك
ومعه أيضاً علي بن سعيد بن مسلط وحمود شيخ بني شعبة .

ووجه عبد الوهاب المتحمي ومحمد بن علي بن مجثل إلى
باحة ربيعة مع قبيلة ربيعة ورفيدة

وأمر أخاه ناصراً بالمرابطة في أبها... ومعه رجال من قحطان
وشهران ورجال الحجز وبيشة وتثليث والعجمان وبقية القبائل
التي معه....

وسار هو على رأس قوة إلى باحة شعار لمقابلة الترك المتجهين
نحوها....

وتم له النصر في المعارك كلها تقريباً...

وصل الأمير محمد بن عائض إلى باحة شعار وتمركز فيها
بانتظار خروج الاتراك منها وإذ به يفاجأ بوصولهم إلى سفوح
جبل تهلل بعد ارتقائهم السراة عن طريق عقبة السماء ، أي أنهم
أصبحوا جنوبي الجيش العسيري...

ذهل العسيريون بوصول العثمانيين إلى جبل تهلل فأسرعوا
إليهم ودار القتال بين الطرفين وكان سجلاً بين الفريقين ، ثم
اضطر أمير عسير إلى التراجع إلى قرية السقا فلاحقه العثمانيون
واشتبكوا معه في معركة دامت خمسة أيام انتهت بهزيمة عسير
ودخول الترك السقا . وسار الأمير إلى جهة الحفير غربي السقا
فتبعه المهاجمون ، وأخيراً التجأ إلى قرية ريذة وتحصن فيها وهي
ذات موقع منيع ومركز حصين يصعب احتلاله ويشق على المهاجم
الوصول إليه مهما بلغت قوته .

ومن جهة أخرى فقد هزم الأمير يحيى بن عائض وعلي بن
سعيد بن مسلط وحمود الشعبي أمام الترك في درب بني شعبنة

في مطلع عام ١٢٨٩ هـ ١٢٨٩/١/٤ ، وبعد هذه الهزيمة توالى الهزائم على عسير بعد أن كادت تهزم الترك .. إلا أن قلة السلاح ونقص العتاد ووهن الرجال قد لعب دوره أمام الكثرة من القوات وقوة السلاح وزيادة العتاد

استمال محمد رديف باشا بعض رجالات القبائل وأقاموا معه بالسقا وصار بواسطتهم يرسل الأمير محمداً ويدعوه إلى الطاعة والتسليم ويعطيه الأمان ، وكاد الأمير يركن إلى الباشالولا سماعه نصيحة بعض من معه بإرسال أخيه سعيد قبل ذلك يستوضح الأمر ويستجلي الخبر ويتيقن من الوضع ، وسار سعيد إلى السقا مركز الباشا وما أن وصل إليها ووقعت عليه عين رديف باشا حتى أمر بإلقائه في السجن مكبلاً بالحديد .

واستمر القتال ، وأعيا حصن ريذة رديف باشا ولم يحصل منه على مبتغاه ، ولم تجده المخادعة السياسية فلجأ إلى المناورة العسكرية ، فأمر قسماً من جنده المرابط في القنفذة أن يسير بإمرة أحمد مختار باشا ويبحر إلى الشقيق ومن هناك يتوجه إلى السراة عن طريق وادي مربة وكان دليل الطريق شيخ خلي بن يعقوب عمر بن عبد الله الذويبي

تحرك أحمد مختار باشا ضمن الخطة المرسومة وتوجه نحو السراة سالكاً وادي مربة وبينما كان الأمير محمد يقاتل الترك على الجهة الغربية إذ طلع عليه جند آخرون من جهة الغرب فأصبح بين نارين واستعر القتال ودامت الاشتباكات العنيفة خمسة أيام وهنت على إثرها قلوب العسيرين وساور الخوف نفوسهم وهم في

مأمنهم ، فخرج من كان في حصن شهران واضطرب من كان في الحصن وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولم تعد تغن قوة الرجال ، ولم يتذكروا ما قطعوا على أنفسهم من عهود ومواثيق إذ خارت القوى عندما ذكرهم أميرهم كأنهم لم يسمعوا

توسط شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون في الأمر وكان ضمن القادة المقاتلين ، وتدخل بين الطرفين واستطاع التوصل إلى اتفاق ، بحيث يطلب الأمير محمد الأمان فيعطاه ، ويسلم البلاد ، وتحفظ له الدولة أملاكه كافة ، ويأخذ وعائلته مرتباً معيناً ، وأصدر السلطان عبد العزيز فرماناً بذلك ، ووصل فرمان إلى الجهات المختصة ومنها القوات العثمانية المتمركزة في السقا وكذا المحاصرة لريدة ، وبناءً عليه أعلن الأمير محمد الاستسلام ، وفتح حصن ريده للقوات المهاجمة ، وسلم نفسه إلى القائد أحمد مختار باشا .

ولما تمكن الترك من حصن ريده قبضوا على المستأمنين ، وسيقوا إلى السجن ونزل رديف باشا من السقا إلى ريده ودخل مجلس القائد أحمد مختار ، فوقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجانبه فغضب وكنم أحمد مختار بأنه يريد أن يعدمه ... فأجابه أحمد مختار بأنه الأمان والفرمان ، فلم يرعو أو يتراجع وكان الشرر يتطاير من عينيه وكان الحديث الذي دار بالتركية إلا أن سعداً فهم بعضه وعلم أنه الموت فوثب على محمد رديف بسكين مسمومة كانت معه فطعنه في بطنه وثار كل من في المجلس على بعضهم بعضاً وانتهت المعركة بقتل محمد وسعد وعبد الله أولاد

عائض ومحمد بن علي بن مجثل واثني عشر رجلاً آخر معهم من
أعيان عسير أما بقية أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن
وأحمد وعلي ويحيى فقد حملوا إلى استانبول مع ٦٠٠ رجل من
سراة القوم منهم رئيس قضاة عسير الشيخ أحمد بن عبد القادر
الحفظي وعلي بن طامي وناصر بن طامي
•

أما ناصر بن عائض فقد بقي مرابطاً في أبها والتي لم تسقط
بعد بيد الترك •

وأما القائد محمد رديف باشا فقد نقل إلى الشقيق ليجر
إلى تركيا إلا أن منيته قد أدركته وهو في الشقيق فدفن هناك ••
ودمرت بلدة ريذة وأصبحت أثراً بعد عين بعد أن كانت
عروسة في قمتها الشامخة وقصرها المنيف المنيع الذي طالما حطم
كبرياء الجبابرة من الغزاة •

الحكم العثماني

١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ

بعد الاستيلاء على ريذة وقتل الأمير محمد بن عائض خضعت عسير للحكم العثماني ، وأصبحت متصرفية خاصة إلا أن الوضع لم يستقر فيها إذ سادها الاضطراب وكثرت فيها الاتفاضات ، وانعدم فيها الأمن حتى كان كل إنسان يخاف على ماله وعلى أملاكه وأهله . . . وهذا أمر طبيعي فالإسلام بعيد عن الحكم لذا عمت حياة الفوضى ، وأصبحت القوانين تسن حسب المصالح الشخصية ومقتضيات الظروف الخاصة وعندما يأتي الوالي ، يتصرف بالأمر وكأن المنطقة إقطاع له ، فهو مطلق الصلاحية فيها يأمر وينهى ويقطع ويمنع حسب هواه وما تسول له نفسه .

جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق كما دخلت إلى غيرها من بلاد الاسلام باسم الاسلام ولحماية أرضه من أعدائه الذين طرّقوا أبوابه وشنوا حرباً على أهله شعواء وحشية وهذا السكان مدة من الزمن لهذا الشعار إلا أنهم لاحظوا أن هذا الكلام شعار لاينطوي على شيء فالإسلام بعيد عن كل عمل اللهم إلا مايتفق ورأي الحاكم فإن وافق فهو الاسلام وإلا فهو الكفر . . . ولقد استمرت زاوية الانحراف بالانفراج والاتساع كلما مضت

الأيام وتقادم العهد على الدولة حتى كان أواخر الدولة فعم الفساد واستشرى البلاء وعندما أرادت الدولة العودة إلى ماقامت عليه اصطدمت بالواقع المرير من سوء السرائر وفساد الضمائر فقاوم الأشرار تلك الخطة وهذه المحاولة فذهبت الدولة قبل تنفيذ المحاولة •

كانت السلطة في عسير للدولة العثمانية بالإسم ، إذ لم يكن أمر الولاية يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والشكنات ، وبعض المدن أحياناً وماعدا ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عائض ومشايخ القبائل لذا فإننا سنتكلم عن السلطة الاسمية تحت عنوان الحكم العثماني وفي الوقت نفسه سنذكر الأمراء الذين كان بيدهم الأمر ويحكمون حكماً فعلياً •

تولى القائد أحمد مختار باشا أمر عسير بعد استيلائه عليها وسار مع الأهالي بمنتهى القسوة والعنف وقد جعل مدينة أبها مركزاً للمتصرفية وتتبعها ستة أقضية هي:

- ١ - بنو شهر ومركزها النماص •
 - ٢ - بلاد غامد وتتبعها أيضاً زهران ومركزها رعدان •
 - ٣ - رجال ألمع ومقرها الشعبين •
 - ٤ - محایل وحاضرتها بلدة محایل •
 - ٥ - القنفذة ومركزها ميناء القنفذة •
 - ٦ - صبيا ومقرها مدينة صبيا •
- وجعل قاعدة عسكرية في كل من السقا وريدة ، واتخذ من

القنفذة ثغراً للمتصرفية ، وتوجه إلى صنعاء فاحتلها دون مقاومة .

وكان الأمير ناصر بن عائض مرابطاً في أبها أثناء دخول الترك إلى بلدة ريدة واستمر يقاوم ثمانية أيام ، ثم انسحب إلى بلاد شهران إلا أنه عاد فدخلها بعد شهرين من احتلال عسير وحصنها بمن التف حوله من القبائل العربية وعجز أحمد مختار عن دخولها فأحاط بها من كل الجهات وشن عليها هجوماً عاماً من ناحية الشرف (١) ومشيع (٢) ورضف (٣) وحصن أسلم (٤) واستمر القتال حتى عام ١٢٩١ هـ حيث شدد الأتراك وطأتهم وتمركزوا برؤوس الجبال المشرفة على أبها ، وصوبوا مدافعهم على المواقع الهامة ، واستمر القصف ليلاً ونهاراً ، فاضطر الأمير ناصر إلى الانسحاب من أبها لنفاد الذخيرة بعد أن وحد قوته على الجهة التي تمركزت فيها القوة التركية القادمة من جهة الشرف ، وقد استطاع أن يخلص بمن معه وكان ذلك في مطلع عام ١٢٩٢ هـ .

وتوالى المتصرفون الأتراك على عسير وكانت أيامهم ضرباً

-
- (١) الشرف : بلدة تطل على تهامة من ناحية جنوبي أبها .
(٢) مشيع : إحدى قرى بني جعفر أحلاف بني مفيد وأصلهم من جعفر بن الحارث بن عبيدة وقد نزحوا من وادي تليلث .
(٣) رضف : قرية لبني جعفر أيضاً وتقع شمالي أبها .
(٤) حصن أسلم : كان في السابق سوقاً تجتمع فيه بنو مفيد وعلمكم ، وأسلم هو أسلم بن عمرو بن ثماله الأزدي .

من الفوضى والغارات المتكررة من رجال القبائل على مراكز الدولة ودورياتها وكانت مهماتهم صد المغيرين وبناء المعقل والحصون ليعتصموا بها .

كان المخلاف السليمانى تابعاَ لمتصرفية عسير بما في ذلك مدينتي صبيا وجيزان ، وكانت هذه التبعية اسمية خاصة بعد أن قويت شوكة الادريسي في تلك المنطقة — والتي سنتكلم عنها بالتفصيل إن شاء الله — .

الأمير ناصر بن عائض

١٢٨٩ - ١٢٩٥ هـ

يعتبر الأمير ناصر بن عائض أمير عسير بعد قتل أخيه الأمير محمد بن عائض إذ أنه أثناء حصار أخيه محمد في ريذة كان هو مرابطاً في مدينة أبها بقبائل قحطان وشهران وتثليث وبيشة ورجال الحجر لحمايتها من الأتراك ، وقد عرض على أخيه محمد الامتناع في أبها وعدم التحصن في ريذة التي يمكن تطويقها وفوق هذا فليس لها من منفذ إلا من وادي «مربة» فإن احتل الوادي فمعنى ذلك الاستسلام بلاشك بينما يرى الأمير محمد أن الاحتماء في ريذة أفضل لوعورة طرقها وضيق مسالكها وصعوبة مرتقاها ومناعة حصنها إضافة إلى ما فيها من الامكانيات الكثيرة ما يجعل المتحصنين فيها يستخفون بالحصار مهما طال مدته وأن منفذها الغربي إلى وادي مربة يجعل الأمير ينسحب منها إلى الجهة التي يريد لها إذا اضطر إلى ذلك ، خاصة لوجود قبائل رجال ألمع ذات البأس الشديد والمنعة القوية تحيط بذلك المنفذ

بقي الأمير ناصر مرابطاً في أبها على حين تحصن أخوه الأمير محمد في ريذة وسقطت ريذة واستسلم الأمير محمد وفوجيء ناصر بالصلح فتوجه بقوة من رجاله لقتال من بالسقا

من الترك واحرز الانتصار عليهم وعادوا إلى الاعتصام
بالسقا وركز الأمير ناصر قواته في بعض المناطق القريبة
من أبها إلا أن الترك قد استطاعوا أن يزيلوهم عن مواقعهم ،
وأطبقت القوات التركية على أبها وأخذت المدافع تدكها من الجنوب
والغرب وجرّد الترك حملة على قلعة شمسبان مجتازة
حصن أسلم إلا أن القوات المرابطة في سفوحه لم تمكنها من
الوصول إليه وردتها على أعقابها خاسرة

في هذا الوقت وصلت الأخبار إلى أبها أن الترك قد تركزوا
في بلدة النماص في بلاد رجال الحجر وهي توالي زحفها نحو
أبها فترك رجال الحجر الموجودين في أبها مراكزهم وتوجهوا
إلى بلادهم لصد المعتدين عنها واستطاعوا التخلص من
الحصار وساروا عن طريق وادي مشيع، فالعرين، فبلاد بني مالك
حتى وصلوا إلى النماص، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم وقضوا
على القوة التركية وكانت قبائل غامد وزهران قد تركت
مواقعها من قبل أيضاً للحفاظ على مواطنها من عرب الحجاز
والترك

أما الأمير ناصر فإنه قد رأى عدم الجدوى من مقاتلة
الأتراك فبقي حتى اليوم السابع لدخول الترك لحصن ريده ثم
انسحب إلى بلاد زهران وترك أبها فدخلها الأتراك وبقيت فيها
حامية منهم وانسحب القائد محمد رديف إلى السقا

وعندما وصلت أخبار مجزرة ريذة إلى الأمير ناصر عاد فاحتل
أبها وبقي الأتراك مربطين في السقا ، والتناوش بين الطرفين على
أشده ، وفي إحدى المعارك أصيب الأمير ناصر برصاصة لقي بعدها
خنتفه في ١٠ المحرم ١٢٩٥ هـ .

* * *

للأمير عبد الرحمن بن عيَّاض

١٢٩٧ - ١٣٠٥ هـ

كان الأمير عبد الرحمن بن عائض من الرجال الذين ساقهم الترك بعد انتصارهم على الأمير محمد بن عائض في ريده إلى استانبول من آل عائض وآل الحفطي وأعيان ومشايخ عسير . . . فمنهم من قضى نحبه هناك ومنهم من قدرت له الحياة حتى عاد إلى وطنه يشارك في أحداثه ومن هؤلاء الذين رجعوا الأمير عبد الرحمن بن عائض وأخوه سعيد بعفو من السلطان وما أن علم أعيان عسير بقدوم المبعدين حتى اتصلوا بهم وشرحوا لهم الوضع الذي يقاسونه من الترك والحالة التي يكابدونها وعرضوا على الأمير سعيد رغبتهم في بيعته إلا أنه رفض وحذرهم من مغبة قيامهم بأي عمل حربي إلا أنهم لم يقتنعوا برأيه وبايعوا أخاه عبد الرحمن ولم تمض إلا مدة قليلة حتى وجدوا أنفسهم هجوماً لوجه مع الأتراك .

استعد الأمير عبد الرحمن لتأليف قوة من قبائل عسير وقحطان ورجال الحجر ، لقتال الترك وإخراجهم من عسير ، وشن هجوماً على الحامية في شعار وأبادها ، وما أن وصلت أخبار هذه

الأحداث إلى أبها ، وبلغت مسامع متصرف عسير عثمان باشا حتى
جهز حملة نهبت بلاد بني مالك وبالأحمر وبالأسمر عقوبة لهم حيث
اشتركوا في الهجوم على حامية شعار إلا أن قبائل هذه
المناطق قد تصدت لتلك الحملة وتمكنت من دحرها وهزيمتها ،
وبعد هذين الانتصارين نشطت قبائل عسير في تهامة والسراة
لمقاومة الترك وقامت بأعمال حربية عدة بقيادة الأمير عبد الرحمن
كان من أهمها الهجوم على القوات التركية في السقا وتركزها
مكانها وكان مقر الأمير عبد الرحمن قبل ذلك في شعفة
آل يزيد

أما الأمير سعيد فقد اتجه إلى شهران واعتزل الأمر ، وطلب
من حسين بن مشيط شيخ شهران عدم الاشتراك مع الأمير عبد
الرحمن وكان آل الغمر وآل سرحان قد انضموا إلى قوات عسير
في القتال ضد الترك

وقامت رجال ألمع بطرد الحامية التركية من ميناء الشقيق
بالاشتراك مع بني شعبة وبقيادة حسن بن عبد المتعالي •

وفي أواخر عام ١٢٩٩ هـ استنفر الأمير عبد الرحمن القبائل
الموالية له بقيادة مشايخها وضرب الحصار على مدينة أبها بعد أن
هزم الترك في عدة معارك • واستطاع بعض العسيريين التسلل
إلى داخل المدينة عن طريق الوادي واستمر الحصار مدة شهرين
متتابعين ، وأصيب الأتراك داخلها بمجاعة شديدة ، وكانوا يزولون
أعمالهم ليلاً ، وكادت أبها أن تستسلم لولا وصول نجدة تركية

بقيادة حيدر باشا إلى تهامة كما تمكنت من احتلال بلاد رجال ألمع
وواصلت زحفها نحو أبها وبعد معركة عنيفة في شعار استطاعت
هزيمة القوات العسيرية بقيادة أحمد بن علي الحفظي ، وتابعت
تقدمها نحو أبها ففويت معنويات الحامية التركية المحاصرة فيها...

وفي أواخر عام ١٣٠٠ هـ عززت القوة التركية المراقبة في أبها
بحملة كبيرة جاءت من مكة بقيادة عمر باشا وشريف مكة عبد
الله ... وقد واصلت زحفها عن طريق بلاد غامد وزهران
فاستعدت لها مقاتلة غامد وزهران وبني شهر المشتركة في حصار
أبها وواصلت الحملة السير حتى التقت بهم في بلاد خثعم
وشهران وبالقرون، وعاد الشريف من بداية بلاد رجال الحجر، أما عمر
باشا فقد واصل سيره فاصطدم بقوة رجال الحجر الذين تركوا
أماكنهم في حصار أبها وأسرعوا لملاقاة خصمهم فهزموه واعتصم
ببلدة النماص

وصلت أخبار هزيمة عمر باشا إلى حيدر باشا فشعر بالموقف

الخرج

توسط الأمير سعد بن عائض في الصلح بين الطرفين ،
ونجحت مهمته وتم الصلح في بلدة آل يزيد الشعف ، وفكت
القبائل حصارها لأبها وذلك في مطلع عام ١٣٠١ هـ .

قدر حيدر باشا هذه الوساطة وكتب إلى الباب العالي بذلك
فصدر فرمان بتعيين الأمير سعيد قائمقام على بلاد غامد وزهران
وبيشة فسكن الظفير ، وبقي في عمله هذا حتى عام ١٣١٥ هـ ثم

اعتزل العمل وسكن مكة المكرمة في شعب عامر حيث وافته منيته
في أواخر عام ١٣١٦ هـ • وعين بعده ابن أخيه الأمير عائض بن
محمد وبقي في منصبه حتى ثورة أخيه علي بن محمد •

وفي الوقت نفسه فقد عين الأمير عبد الرحمن معاوناً لمتصرف
عسير حيدر باشا وبقي في مركزه حتى جاء أجله عام ١٣٠٥ هـ •

أما الأمير علي بن محمد فقد نزل إلى الحرمل ولم يرض عملاً
حدث من صلح•••••



للأمير علي بن محمد بن عارض

١٣١٨ - ١٣٢٤ هـ

رفض الأمير علي بن محمد الصلح الذي تمّ بين الاتراك وآل عائض ونزل إلى حرملّة مغاضباً ، وفي عام ١٣١٨ هـ قام بثورة ضد الاتراك ، وحاصر مدينة أبها وجاءت نجدة تركية إلى حامية أبها مما حدا بالأمير عائض بن محمد أن يترك عمله كقائم مقام بلاد غامد وزهران وييشة وأن يسير بقوة من هذه القبائل لمساعدة أخيه المحاصر لمدينة أبها وعندما تجدد القتال هزم الأمير علي ابن محمد والقبائل الموالية له .

ثم قام الأمير علي بن محمد بعد مدة بثورة أخرى مستفيداً من سوء الأوضاع الداخلية في عسير والخارجية أيضاً، ففي الداخل لم يكن للولاة الذين تولوا أمر عسير من القوة ما يضبط أمر المنطقة ويجعل الطمأنينة تخيم على ربوعها فانقطاع جبل الأمن والظلم وكثرة الضرائب كلها تساعد على قيام الثورة إضافة إلى الفقر وعدم إمكانية العمل في المزارع أما بالنسبة إلى الأوضاع الخارجية فقد كانت الدولة العثمانية تلهف أنفاسها الأخيرة، وجمعية الاتحاد والترقي تحاول السيطرة على الوضع، وقد انضم إليها معظم رجالات الدولة فاستأنبول في شغل شاغل

بما يجري فيها ٠٠٠٠ ثم هناك ثورة أخرى في اليمن على مقربة
من عسير بقيادة الإمام يحيى حميد الدين وكان هناك اتصال بين
الإمام يحيى حميد الدين والأمير علي بن محمد للعمل معاً من أجل
إخراج الترك .

بدأ الأمير علي الاتصال بزعماء القبائل عام ١٣٢٢ هـ
للاستعداد للقيام باقتفازة ضد الترك ٠٠٠ وعندما قام بحركته
طوّق مدينة أبها واستمر في حصارها شهرين كاملين ويُس الأتراك
من الخلاص وكادت المدينة تسقط بيد أهلها إلا أن قوة جاءت من
اليمن بقيادة تحسين باشا ٠٠٠٠٠٠ الذي تقدم نحو أبها ٠٠٠٠٠
فانقسم أهل عسير حيثُ إلى قسمين : قسم أسرع لملاقاة تحسين
باشا في جهات محاليل وكان هذا الفريق بإمرة عبد الله بن محمد بن
عائض والتقى الجمعان في تهليل وكان النصر لحليف تحسين باشا
الذي تابع زحفه ٠٠٠٠٠٠ أما الفريق الآخر فقد بقي محاصراً لمدينة
أبها واستطاع أفراد منه دخولها بإمرة عايض بن محمد بن عايض
وعايض بن عبد الرحمن بن عايض ، وعايض بن علي بن محمد بن
عايض ، وعايض بن ناصر وأحمد بن لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني
وعلي بن مشيبة وغيرهم ، وقد وزعوا رجالهم في بعض الأحياء الأخرى
بعد أن تمركزوا في حي البديع والمناظر ٠٠٠٠٠٠ ولكن ذلك لم يفدهم
شيئاً إذ لم يلبث أن وصلهم خبر هزيمة إخوانهم في تهليل ، وتقدم
تحسين باشا نحو المدينة ٠٠٠٠٠ وهذا ما أضعف من معنوياتهم
على حين قويت معنويات خصومهم ٠٠٠٠ وهزم أهل عسير مرة

أخرى على مشارف مدينة أبها وقطع الأتراك خط الرجعة
على الداخلين إلى المدينة فألقي القبض عليهم فأرسلوا تحت
حماية مفرزة يقودها علي عشان إلى محایل ، ومنها إلى الشقيق
حيث أبحر بهم إلى ميناء الحديد ومنها نقلوا إلى صنعاء حيث
كانت تحت إمرة أحمد فيضي باشا (متصرف عسير سابقاً) وصل
الأسرى في منتصف عام ١٣٢٤ هـ فأكرم والي صنعاء مثواهم مدة
ثمانية أشهر، ثم استصدر لهم عفواً من الباب العالي واقترح تعيينهم
في مناصب حكومية ، وبالفعل فقد أعيدوا إلى أبها ، وعين الأمير
عبد الله بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف عسير حقي باشا كما
عين الأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها
أما الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فكان قد جرح في
حصار أبها ، ونقل إثر ذلك إلى بلدة الحرمل حيث قضى نحبه هناك
ودفن فيها عام ١٣٢٤ هـ .

الأدارسة

حلّ بمدينة صيبا عام ١٢٤٦ هـ رجل من متصوفة المغرب اسمه « أحمد بن ادريس » يرفع نسبه إلى الإمام ادريس بن عبد الله المحض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو من أهل فاس ، ولد في إحدى قراها ميسور عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) ، وجاور بمكة نحو ٣٠ عاماً (١) . وذهب إلى تهامة اليمن ، وطاب له المقام بمدينة صيبا فحلّ فيها ، وبدأ يدعو فيها إلى الطريقة الادريسية ، وكثر اتباعه وكانت صيبا يومذاك تتبع عسير التي يحكمها علي بن مجثل وقد سمح له بالإقامة فيها رغم التباين بين الطرفين فعلي بن مجثل يعمل للدعوة السلفية ويتبناها والادريسي رجل صوفي كما أنه قد خصص له موقراً شهرياً من واردات هيزان (٢)

اعترض بعض الطلبة على الادريسي ، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن مجثل فكتب الأمير إلى عامله على صيبا وكان يومذاك

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، خير الدين الزركلي الجزء الثاني ص ٥٢٩ الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ بيروت .

(٢) تاريخ عسير في الماضي والحاضر هاشم بن سعيد النعمي

ص ١٨٢ .

محمد بن علي بن خالد الحازمي مستقراً عما ينسب إلى الادريسي من دعوى الكرامات و .. فأجابه بالسلب وعندما مر علي بن مجتل بمدينة صيبا في طريقه لحصار أبي عريش عقد مجلساً للمناظرة بين يديه ضم الادريسي وخصومه وكبار أنصاره

لم تطل حياة الادريسي فقد توفي عام ١٢٥٣ هـ في صيبا ، وخلفه ابنه محمد واستفاد من مركز أبيه فاستمال إليه بعض رجالات القبائل وتزوج محمد بامرأة من السودان فولدت له ولداً سماه علياً فلما شب علي تزوج بامرأة هندية فأنجبت له عام ١٢٩٣ هـ ولداً سماه محمداً ، وهو الذي لعب دوراً كبيراً في المنطقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

رحل محمد بن علي الادريسي من صيبا الى مكة مجاوراً وعمره لم يتجاوز العشرين ، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر مدة ست سنوات ١٣١٤ - ١٣٢٠ هـ ، ثم سافر إلى واحة الكفرة في ليبيا مركز الدعوة السنوسية ، وانتقل منها إلى السودان إلى بلدة « ارجو » من قرى دنقلة وتزوج من هناك ثم سافر إلى مسقط رأسه صيبا فوجد له مركزاً تركه له جده وجد أبيه ، ووجد البلاد في حالة من الفوضى فاستغل ذلك لمصلحته

كان محمد بن علي الادريسي داهية ذكياً عالماً جمع بين الحديث والتفسير

بدأ يعظ الناس في المجتمعات ويأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر فأحبه الناس الذين هم بأشد الحاجة إلى مثل هذا وإلى من يأخذ بأيديهم نحو الحق في وقت تعم فيه الفوضى ، ويضيع الحق إن لم تدعمه قوة ، هذا بالنسبة إلى العمل الشعبي ، أما بالنسبة إلى العمل الرسمي فقد أظهر للدولة العثمانية وممثليها قوته ورضاه ، وكانت فكرة الدعوة إلى الجامعة الاسلامية قائمة فعذاها فعينته الدولة قائماً على صيبا وأبي عريش •

قويت شوكة الادريسي في تهامة ، وأراد أن يمد نفوذه خارجها ، ولما كان يعطي نفسه أبهة ويريد أن يجعل حوله هالة بحيث يأتيه الكبار ويجتمع عنده الوجهاء ، فقد تفاوض مع الدولة التركية فأرسلت له وفداً إلى صيبا ، وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة من متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي الذهاب إلى الادريسي ، فنفذ المتصرف ، واستقبله الادريسي بحشود كبيرة تزيد على ٤٠٠٠ مسلح ليزيد من قوته في نظر الضيف •

كانت القوة الموجودة في أبها لاتزيد عن ٢٠٠٠ رجل ، مما جعل القبائل تستخف بهذه القوة ، وتغير عليها كلما سنحت لها الفرص أو وجدت حاجة من قبل الوالي وتريد أن تتخلص منها • • وقد طلب المتصرف سليمان شفيق الكمالي قوة من استانبول • • وبالفعل فقد وصلت قوة إلى القنفذة قوامها ٣٠٠٠ رجل بينما كان طلب المتصرف أن تكون في جيزان لإخافة الإدريسي ، ووضع بين نارين إن هو فكر في الثورة ، أو أراد التناول على الدولة •

استطاع الادريسي أن يقنع الأتراك أنه لافائدة من الحملة التي نزلت في القنفذة، وذلك حتى يبقى شأن متصرف عسير ضعيفاً وبالفعل فقد انسحبت الحملة من القنفذة وعادت إلى تركيا . . .

وعندما جاءه متصرف عسير ذكر للأهالي في المنطقة أن المتصرف قد جاء إليه لمبايعته ، ولكنه هو رفض ، بحجة أنه لا يريد شيئاً من الرئاسة أو الوجاهة ، وفي الحقيقة كان يسعى حثيثاً وراء ذلك بل لا يطلب غيرها

اتفق مع المتصرف أن تحل مشكلات الخلاف بين القبائل في صيبا عند الادريسي على أن يرأس الاجتماع مندوب من قبل متصرف عسير ، وهذا التساهل من قبل المتصرف ما هو إلا محاولة لمثبتي دعائم الأمن في المنطقة ، إلا أن الإدريسي لم يتقيد بهذا فكان يحاول حل الخلاف دون اعلام السلطات بما جرى .

اقترح متصرف عسير أن تكون الشقيق ثغر أبها بدلاً من القنفذة البعيدة عنها إضافة إلى طول طريقها والتوائه ، ولكن هذا لا يناسب الإدريسي لأن الحملات في هذه الحالة تمر من منطقة نفوذه لذا فقد رفض الإدريسي هذا الاقتراح وطلب الغاء بحجة أن رجال القبائل لا يقبلون نزول الجند في الشقيق ، ونحن الآن بحاجة إلى إرضاء السكان والقبائل وعدم إثارتها وهذا كله في سبيل تقوية مركزه ، ورغبته في الاستقلال ، وإضعاف شأن متصرف عسير حيث يريد أن يوسع نفوذه .

بدأ الإدريسي يتصل بالطليان بواسطة ابن عمه في القاهرة،
ويشتري الأسلحة من هذه الجهة ويزود بها الجند ، خاصة وأن
إيطالية في اترتيرة على الطرف الثاني من البحر الأحمر .

قلب ظهر المجن للدولة التركية عندما قوي أمره ، وأعلن عن
قيام حكومة خاصة به عام ١٣٢٦ هـ ، وبايعه أهل صيبا ماعدا أحمد
شريف الخواجي الناقم عليه ، واتجهت وفود القبائل نحو مركزه
تعلن المطاعة .

لقيت دعوة الإدريسي آذاثاً صاغية في عسير أيضاً بسبب
دعواه في إعادة النظام وحفظ الأمن وتطبيق الشرع ، وقد ظهر
قوياً فعلاً ، والناس قد ملّوا الفوضى التي كانت تنتشر في المنطقة
إضافة إلى خوف السكان من الشريف حسين بن علي شريف مكة الذي
يطمح في توسعة نفوذه ومده إلى عسير ، وأعلن لرجال القبائل
أيضاً أنه يريد إخراج الترك من المنطقة فوافق هذا هواهم وما في
نفوسهم ، خاصة وأن بعضهم ظن أنه إذا خرج الأتراك من المنطقة
وتماذى الإدريسي في غيه ، فبإمكانهم إخراجهم بسرعة ما دام غريباً
ضعيفاً لاعصبية له ولا سند .

جاءت إلى الإدريسي وفود القبائل من عسير كلها : رجال
المتع جميعهم ، ورجال الحجر كلهم ، وقبائل عسير (بنو مغيد -
علكم - بنو مالك - ربيعة ورفيدة) ، قبائل قناو البحر ، آل موسى ،
الكريش ، بارق ، الدريب ، حلي بن يعقوب ، غامد وزهران ،
بيشة ، شهران ، نجران ، قحطان ، وكان ابن دليم مديراً لمناحية

في قحطان وعمل مع الحكومة مدة من الزمن ثم ساند بقبائل قحطان جميعها الادريسي وتولى قيادتها في حصار أبها •

حاول متصرف عسير أن يقف في وجه الادريسي إذ بث الدعاية ضده وأرسل حملة عسكرية للهجوم على صبيا إلا أنها فشلت ، وأشيع أن المتصرف نزل لتسليم الأمر إلى الادريسي ، ولم يقف الأمر عند فشل الحملة ، بل هجمت عليها رجال القبائل الموالية للادريسي ، ولم ينقذها من التهلكة إلا ادعاء قائدها بأنه في طريقه إلى ميناء جيزان ولا فكرة عنده للقتال أو الاعتداء •

ولما عجز متصرف عسير كتب إلى استانبول يوضح خطر الإديريسي وسوء عاقبة صلته بإيطالية ، فاستدعت استانبول الادريسي للتحقيق معه بشأن أحمد شريف الخواجي الذي اختلف معه فرفض الحضور لذلك طلبت من عزت باشا قائد قواتها في اليمن ومن معاونه عضمت اينونو تجهيز حملة بحرية للقبض على الادريسي وارساله إلى تركيا •••••

انطلقت الحملة التركية ونزلت في مرفأ جيزان بقيادة محمد راغب وكان تعدادها يزيد على أربعة آلاف جندي ولما بدأ القتال هزم الاتراك هزيمة منكرة بسبب قلة المياه وتركوا في ميدان المعركة أكثر من ثلاثمائة قتيل ••••• وكان لايطالية دور عملي من جهة البحر •••• وانسحب الاتراك من ميناء جيزان إلى جزيرة فرسان ، ودخل الإديريسي جيزان واستولى على كل ما فيها من ذخيرة وبقي الاتراك في جزيرة فرسان ثم ساروا بعد ثلاثة أشهر

إلى القنفذة تحت ضغط ايطالية أيضاً ، ولاحقتهم إلى القنفذة
أيضاً لمساعدة جيش الادريسي الذي كان يحاصرها براً ٠٠٠٠٠٠ ورغم
تدمير السفن التركية الراسية في ميناء القنفذة إلا أن الحامية لم
تستسلم وبقيت محاصرة براً وبحراً ٠

وترامت الأخبار بعزل متصرف عسير كاظم باشا واستبداله
بسليمان شفيق ^(١) باشا الكمالي فقام آل عائض بوداع كاظم
واستقبال المتصرف الجديد من ميناء الشقيق في أواخر عام ١٣٢٦ هـ
وبعد وداع كاظم عاد الجميع يخفون بالمتصرف الجديد ٠٠٠٠٠٠٠
وفي آخر عام ١٣٢٨ هـ بدأ المتصرف الجديد سليمان بن باشا يتبرم
من آل عائض الذين لمسوا فيه سوء نية ، ذلك أن الأدريسي قد
أدرك أن الوفاق بين آل عائض والمتصرف التركي ليس من مصلحته
في شيء بل يرى في ذلك خطراً عليه يهدده ويقضي على مخططاته
فرغب في ابعاد آل عائض ، وجنح إلى استعمال الحيلة وإيجاد
مايفرق بين الطرفين وقد تمكن من ذلك فارتاب آل عائض في أمر
المتصرف وفكروا في التخلص منه لذلك عقدوا اجتماعاً سرياً في
بلدة حرمله لدراسة الموقف وتبادل وجهات النظر في الثورة ضد
سليمان باشا ٠٠٠٠ كما أنهم أخذوا في الحسبان موقف الادريسي

(١) سليمان شفيق الكمالي : متصرف عسير وقائد حاميتها
١٣٢٦ - ١٣٣١ هـ وانتقل بعدها إلى سورية ، ثم أصبح والي البصرة
وقائد الفيلق العثماني فيها عام ١٣٣٢ هـ ، وأخيراً تسلم وزارة
الحربية .

الذي يرقب أحداث عسير ، وموقف شريف مكة الحسين بن علي الذي يهتم بأمور عسير أيضاً ، لذلك قرروا التلويح بالثورة ضد الترك ليحسوا نبضه ويعرفوا حقيقة .. وتم ذلك ففي الوقت الذي نصحهم الشريف حسين بالترث والانتظار لأن الوقت غير مناسب كان الادريسي قد شجعهم وحثهم ووعدهم بالمساندة والمساعدة ووضع كل امكاناته تحت تصرفهم وحرصهم طالباً السرعة ...

بدأ التنسيق بين آل عائض والادريسي للثورة وشعر سليمان باشا بيوادر الحركة فأعد العدة لها واحاط الباب العالي بالخبر لإرسال ما يحتاجه من أقوات وعتاد وبدأت المناوشات وقرر سليمان باشا الدفاع والاستماتة .

تقدمت رجال القبائل نحو أبها وألقت الحصار عليها وأمر الادريسي قائد قواته في تهامة السيد مصطفى النعمي بالتوجه إلى أبها ومساعدة عسير في انقاذ المدينة من الأتراك ، فنفذ النعمي الأمر وسار على رأس قواته إلى أبها بينما بعث فرقة منهم لمساعدة رجال الحجر الذين يحاصرون الحامية التركية في شعار وقد تمكن رجال الحجر ومن جاءهم من تهامة من دخول شعار والقضاء على الأتراك الذين كانوا فيها ثم توجهوا إلى أبها لمعاونة إخوانهم في حصارها الذي استمر من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ إلى شهر رجب عام ١٣٢٩ هـ ، وكانت أيام قاسية على الحامية التركية

من شدة الجوع والخوف والنقص في العدد وكاد الأمر يتم
للمهاجمين ، وأوشك الاستسلام أن يقع لولا خبر تقدم شريف
مكة الحسين بن علي بالنجدة

أدرك سليمان باشا لعبة الادريسي عندما بلغه نبأ اشتراكه
مع آل عائض في الثورة ضد الترك . كما أن اشتراكه هذا لم يكن
حجاً في آل عائض وإنما مرحلة لتنفيذ مخططاته إذ استغل ظروف
الحرب ضد الترك مع آل عائض في محاصرة أبها واتصال اعوانه
بالبقائل واتصال دعااته بالاعيان فكانوا يثون آراءه بكل أمن
وجرية مما جعل آل عائض يدركون نواياه ويتعدون عنه ويسرع
الأمير محمد بن عبد الرحمن لمقابلة الشريف حسين في القنفذة
والسير معه إلى أبها وكذا الأمير حسن بن علي الذي كان
على رأس المحاصرين لأبها أصبح على رأس المساعدين .

لما علمت الدولة التركية بوضع حاميتها السيء في أبها كلفت
أمير مكة الشريف حسين بن علي للعمل على انقاذها ، وطلبت من
قائد حاميتها في القنفذة نشأت بك أن ينضم وجنده إلى حملة
الشريف عندما تصل إليه ، وأمدته بالذخيرة والجند .

ولم يكن أمير مكة على وفاق مع الدولة التركية ولكنه
يريد أن يقوم بالدعاية لنفسه في عسير تمهيداً لما يمكنه من أمر يزعم
عمله في المستقبل ، كما أنه يريد أن يثبت وجوده في المنطقة التي
تتلاطم فيها الأحداث كأواج البحر ، وامتداد نفوذ الزعماء بين

مد وجزر ، ومن جهة ثانية يريد أن يخفي بعمله هذا على الدولة
مايشيع من اتصالات تتم بينه وبين الحلفاء .

سار الحسين بن علي على رأس جيش كبير نحو تهامة وعندما
وصل إلى القنفذة انضم إليه نشأت باشا بمن معه من الجند
كما وصل إليه الأمير محمد بن عبد الرحمن - كما ذكرنا - والتقى
الجيش الزاحف بجيش الإدريسي في الجنوب الشرقي من
القنفذة فاندحرت قوات الإدريسي ثم أعقبتها معركة
حامية لم تختلف عن سابقتها ثم خرج الشريف حسين بجيشه
إلى سراة بني شهر عبر عقبة « ساقين » ومن هناك اتجه إلى بلاد
بالأسمر وبالأحمر فعقبه شعار حيث التقى شمالها بجيش
الإدريسي وعسير فهزمه ، ووالى زحفه نحو أبها

ونستطيع هنا أن نتوقف قليلاً لنلاحظ نقطتين اثنتين :
أولاهما أن الهزائم التي توالى على القوات المناهضة للترك قد
أضعفت معنوياتهم على حين قويت معنويات جيش الشريف خاصة
وأن الاسطول التركي كان في البحر الأحمر يضرب موانئ
الإدريسي لذا فقد انسحب الجيش المحاصر لمدينة أبها إلى
مراكزه ، وثانيتها : أن رجال القبائل الذين كانوا يظنون أن
الإدريسي ضعيف وأنهم يستطيعون إخراجه فيما إذا خرج الترك
قد غيرا رأيهم عندما رؤوا دهاءه ، وعلموا أطماعه ، وعرفوا صلته
بالظليان و لذا ماكادت تصل طلائع الشريف إلى بلادهم
حتى تركوا جيش الإدريسي وانضموا إلى الشريف وعلى رأسهم

الأمير حسن بن علي آل عائض • أما رجال ألمع وقبائل تهامة فقد بقوا على ولائهم للادريسي •

بقي الشريف حسين بن علي شهراً كاملاً في أبها استقبل فيه وفود القبائل وبذل لها المال بسخاء وعاد إلى الحجاز عن طريق بلاد شهران - بيشة - الطائف ولكنه لم يخرج من أبها إلا والأمير حسن بن علي آل عائض معاوناً لمتصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، والأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ، كما عين بقية آل عائض برتب فخرية ووافقت الدولة على ذلك •

ضعف الادريسي وعاد لمتصرف عسير مركزه وبدأ يغير على المناطق التي يسيطر عليها الادريسي ، ولكن الأمر لم يطل إذ لم تلبث ايطالية أن أعلنت الحرب ضد تركيا ونزلت في بلاد ليبيا وأخذ اسطولها الحربي يقصف الموانئ التركية ومنها المنتشرة على شواطئ البحر الأحمر ، فنشط الادريسي وجرد حملات عسكرية ضد القبائل الخارجة على طاعته ، خاصة في تهامة ، وعاد الأمر إليه في شمالي عسير والقنفذة وهذا ما أقض مضاجع الشريف مكة لذا أسرع فأرسل ابنه فيصلًا على رأس حملة إلى تلك الجهات فالتقى مع قوات الادريسي قريباً من القنفذة ورغم مساندة الطليان للادريسي وقصفهم جيش الحجاز من الاسطول في البحر إلا أن النصر كان بجانب الحجازيين ، وهم فيصل بدخول عسير عن طريق بلاد رجال ألمع إلا أن رسالة جاءت من أبيه تدعوه للعودة

للعمل ضد الأتراك في الحجاز • وكان مما زاد قوة الادريسي أن
إيطالية بعد أن اتفقت مع تركية التي انسحبت من ليبيا قد طلبت
دعم الادريسي وأصبح الخلاف بين شريف مكة والادريسي خلافاً
شخصياً على التوسع وزيادة النفوذ ، وكل منهما يعمل ضد الترك •

هدأ الوضع في عسير فقد أصبح متصرف عسير يعاونه الأمير
حسن بن علي آل عائض وهو من قادة البلاد كما أن تصرف
سليمان باشا كان واعياً إذ عهد بالتموين إلى المتعهد محمد سعيد
باحيدرة وهو رجل من حضرموت ، له صلة بالسكان ، وهو ثقة
عندهم ، وقدم له المساعدات إذ كانت عليه ديون نتيجة توليه
هذا العمل في السابق وعدم توفيقه للأحداث التي مرت على
البلاد • لذا بدأت الأوضاع تتحسن وتسير في طريقها الطبيعي •

نقل سليمان باشا من عمله في عسير وجاء محله علي حيدر
بك الذي لم تطل مدة ولايته إذ أحيل على التقاعد ••••• وجاء
محي الدين باشا واندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، ووقفت
تركيا بجانب ألمانيا ضد الحلفاء ••••• ووقف الادريسي بجانب
الحلفاء ضد الأتراك ، ومن جهة ثانية فقد لاحظ بدء زيادة نفوذ
انكلترا وقوة مركزها في البحر الأحمر فعقد معها معاهدة صداقة
عام ١٣٣٤ هـ حيث اعترفت له بالسيطرة التامة على تهامة من اللحية
جنوباً وحتى القنفذة شمالاً ، وكان للعثمانيين جنوبي إمارته
بعض المراكز ومنها اللحية فساعدته على احتلالها ، وجدت
المعاهدة عام ١٣٣٦ هـ وتعهدت انكلترا بحمايته كما تعهد بعدم

اجراء أي اتصال سواء كان سياسياً أم تجارياً دون علمها ، وكذلك
ضم الحديدية إليه بعد الحرب .

وجد الادريسي نفسه بين نارين ، إمام صنعاء الذي يريد
ضم تهامة إليه ويعتبرها جزءاً من اليمن ، وشريف مكة الذي يعتبر
تهامة من أرض الحجاز إضافة إلى آل عائض الذين يفكرون بالثورة
ضد الاتراك ولا بد من الصدام في المستقبل وتشرب أعناقهم إلى
تهامة أيضاً من قمع السراة ويعتبرونها تتبع عسيراً . أمام كل هذا
كاتب أمير نجد عبد العزيز آل سعود ، وبقي مرهوب الجانب
حتى توفي عام ١٣٤١ هـ ، وتولى الأمر بعده ابنه علي .

استولى إمام اليمن يحيى حميد الدين على القسم الجنوبي
من تهامة ، إذ أخذ الحديدية وضم إليه المنطقة الساحلية حتى بلدة
ميسي .

ثار سكان تهامة على علي الادريسي وبايعوا عمه الحسن ،
فلجأ علي إلى آل سعود في نجد وأقام في الرياض .

أعطى حسن الادريسي انكلترا حق التنقيب عن النفط في
جزر فرسان ، كما فاوض السعوديين وإمام اليمن والايطاليين ،
ولكن سفارته إلى آل سعود هي التي نجحت إذ أبرم ابن عمه
ميرغني معاهدة في مكة بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود
عام ١٣٤٥ هـ وضمت بعدها تهامة ضمن المملكة العربية السعودية .

نهاية الأتراك

قوي التعاون بين تركية وأهل عسير أثناء الحرب العالمية الأولى وكان الاتفاق قائماً بين محي الدين باشا متصرف عسير والأمير حسن بن علي آل عائض ، وكان المتصرف رجل حنكة وخبرة ودهاء وسياسة وقد أقام القلاع في منطقته وفتح الطرق ، وقد عانى أهل عسير أيام الحرب ما عانوا من مصائب وصعوبات بسبب عزلة بلادهم ، وانحصر أراضهم بين مناطق تائرة على الدولة سواء من ناحية الغرب حيث ثورة الادريسي على الاتراك وهو يتعاون مع الانكليز أم من ناحية الشمال حيث أعلن الشريف حسين ابن علي الثورة على الاتراك أيضاً بعد عامين من بدء الحرب وبعد أن ساعد أهل عسير ضد الادريسي أم من ناحية الجنوب حيث أئمة صنعاء على خلاف مع الاتراك وكذا في الشرق حيث تمتد أملاك آل سعود •

انتهت الحرب العالمية الأولى ، وهزم الاتراك ، واضطروا للانسحاب من منطقة عسير والبلاد التي تخضع لهم ، ووصلت الأوامر السلطانية في شهر ربيع عام ١٣٣٧ هـ عن طريق الانكليز والادريسي تطلب من المتصرف مغادرة عسير وتسليم أمرها وذخيرتها إلى آل عائض •

نزل محي الدين باشا وهبط من السراة إلى الشقيق على
الساحل ومعه أفراد الجالية التركية من موظفين إداريين والقوة
النظامية التركية وعددهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف جندي ، وقد
نقلتهم إلى تركيا بواخر انكليزية حسب الاتفاقية التي تمت بين
الاتراك والانكليز وهكذا انتهت آخر سيطرة للاتراك في
بلاد العرب •



الاستقلال

قبل رحيل محي الدين باشا آخر متصرفية الأتراك في عسير جمع آل عائض ومعهم أهل الحل والعقد وأخبرهم بوصول الأوامر إليه بالانسحاب من عسير وتسليم الأمر إليهم مع مخلفات الدولة جميعها من معدات ومنشآت ، من ضمنها ثمانون قلعة متفرقة في البلاد ، وتسلم منهم وثيقة موقعة من الأمير حسن بن علي ومحمد ابن عبد الرحمن ومحمد بن ناصر وعائض بن علي آل عائض وغيرهم ... كما بقي في عسير عدد من الحامية التركية رغبوا في البقاء ثم قال لهم : أريد قبل الذهاب أن أنصح لكم فإن بلادكم واقعة بين عدة نيران وكل يريد التهامها فالادريسي في الغرب وهو صاحب نفوذ وصلة معروفة ، وأكبر أمله أن يضم إليه عسير وفي الشمال الشريف ورغبته في عسير لا تقل عن رغبة الادريسي ، وفي الشرق آل سعود وأملهم في التوسع كبير ... وفي الجنوب إمام اليمن وأقدم لكم بعض الحلول لتأخذوا بأحسنها عندكم حتى تستطيعوا البقاء وتضمنوا لبلادكم القوة والاستقلال .

١ - أن تنفقوا مع الانكليز فإنهم أصحاب النفوذ الحالي والسيطرة الحقيقية وتمتد أيديهم إلى الكثير من المناطق

فصلتهم مع الادريسي معروفة ، وعلاقتهم مع الشريف لاتخفى على أحد ، كما اتفقوا مع الوهابي (عبد العزيز آل سعود) وقدموا له ١٥٠ ألف بندقية أم تاج و وليس كلامي هذا محبة لهؤلاء الانكليز الملاعين ، فهم أعدائي وسبب القضاء على دولتي و ولكن اتكلم الواقع وهذا ما أريده لكم .

رفض آل عائض هذا الرأي وأبدوا أنهم لا يمكن أن يتعاونوا مع أجنبي مهما كان

قال : فإن رفضتم فإليكم رأياً آخر .

٢ - الاتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود ، فإن ملكه سيمتد ونفوذه سيتسع وقوته كثيرة ومعنوية الشعب عنده كبيرة ، وله محبة عندهم ورهبة وإن أخوف ما أخافه عليكم هو

تداول آل عائض الرأي ، ووجدوا أن بلاد نجد بعيدة عنهم ولا يزال القتال قائماً بين الملك عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد في الشمال ، والخلاف واقع بينه وبين الشريف حسين . ولا بد من صدام في المستقبل بينه وبين إمام صنعاء ، فما هي الضرورة للارتباط معه والعداوة لإمام اليمن وشريف مكة و ؟

ولذا فلم يوافقوا على ذلك ، وأبدوا رفضهم أيضاً للرأي الثاني .

فأجاب محي الدين باشا إذن لكم الرأي الثالث
والأخير ولاسواء وهو .

٣ - الاستقلال : وهو إذا حصنتم بلادكم واستفدتهم من المعدات الموجودة عندكم وفي قلاعكم فلن يستطيع أحد اقتحام أرضكم بشرط أن ترابطوا فيها ولا تخرجوا لغيرها فإن طلبات الانحياز ستصل إليكم من مختلف الأطراف التي ذكرناها والتي هي في خلاف دائم مع بعضها بعضاً

وبعد هذا تداول آل عائض الأمر ارتثوا أن هذا الحل هو المقبول عندهم ولا غيره وتم الاتفاق والدعوة بالتيسير والنجاح وانتهى الاجتماع .

وهذا ماتم في السراة بين محي الدين باشا الذي سيرحل عنها وبين آل عائض الحكام الجدد ، أما في تهامة فقد خشي الإدريسي كثيراً و « لعب الفار بعبه » كما يقولون . خاف الإدريسي أن يتسلم آل عائض عتاد الحامية التركية في عسير وعندها يقوى أمرهم ويستطيعون الذود عن حياض عسير التي يرغب الإدريسي في ضمها إلى ملكه وهي من أولى أمانيه بل ويستطيعون عندها العودة إلى صبيا وتهامة وهي التي كانت ضمن حدود إمارتهم .. فرأى أن يكتب إلى الطرفين بشكل سري يوقع ما بينهما ويستفيد بالحصول على العتاد

كتب إلى محي الدين باشا بأن آل عائض يريدون الوقعة به وبمن معه من الاتراك عندما يرحلون عن بلادهم وليس معهم شيء من السلاح وأن الأمير حسن بن علي آل عائض سيكون بعيداً عن أبها يوم سفره ولن يكون في وداعه لذا

عليه أن يأخذ الحذر والحيطة ويسير بكامل السلاح مع القوة التركية وليكن في الطريق حذراً حتى يصل إلى درب بني شعبة وعندها سيكون في مأمنه وب حمايته هو (الادريسي) بل على استعداد لارسال قوة تحميه من رجال القبائل التي يمكن أن تهاجمه وأن هذا ما وصل إليه من جهات موثوق بها تماماً .

وكتب إلى الأمير حسن أنه قد بلغه من جهة ثقة أن محي الدين باشا يريد أن تسير معه مودعاً وكبار أهلك وأنه سيقبض عليكم وسيحملكم معه أسرى إلى تركيا لذا فأرى أن تبعد عن أبها يوم الرحيل على الأقل وإن طلبك فيالك والحضور .

وقع أثر رسالتي الإدريسي في نفسي اللذين تلقياها بشيء من الحذر فقد بقي الأمير حسن بعيداً عن أبها في بلدة حرملة إلا أنه قد أمدّ الحامية بالجمال لتنتقل عليها وكتب إلى كبير الجمالة يوصيه بالجند ويقول له : هؤلاء أمانة لدينا ماداموا في حدود بلادنا حتى يتسلمهم الادريسي وبخاصة المتصرف الباشا وأعوانه . وكذلك فمحي الدين قد أخذ معه ما أمكنه من سلاح حذراً وحيطة وتأهباً لكل حادث .

وصل محي الدين باشا إلى درب بني شعبة فاتجه إلى كبير الجمالة وقال له : لماذا حسن في ضلع ؟ إنه جبان ! فأجابه قائلاً : لم يكن في نية حسن فكرة الهجوم ، وقد أوصانا خيراً خاصة بالنسبة لكم وهذا كتابه لي ، وأعطاه فقرأه وعلم أنه خدع

أما الادريسي فقد استقبلهم في درب بني شعبة بجيش قوامه ستة آلاف مسلح وأخذ السلاح منهم ، واعتبرهم اسارى حرب ، وساقهم مباشرة في طريقهم إلى شقيق حيث تنتظرهم البواخير الانكليزية وبهذا حصل الادريسي على كمية من السلاح وإن لم يكن السلاح الثقيل من ضمنها •

واستمرت الكتب تتوالى على الأمير حسن من الادريسي • شكل الأمير حسن حكومة محلية ، وأقام نواة جيش صغير كان يضم عدداً من الضباط الترك الذين تخلفوا في عسير ، وقبض على زمام الأمر بشكل جيد ، ولكن كان ينقصه شيء كثير كان بحاجة إلى المال فالبلاد تدخل عهداً جديداً وتخرج من فترة فوضى فهي بحاجة إلى مشروعات كثيرة، وإعادة ما خرب أثناء عهد الحروب والزمن المرير الذي مرت فيه ، وبحاجة إلى الرجال الأكفاء الذين يديرون الشؤون ويتعهدون الأمور ، وإن وجدت فئة قليلة منهم تبرزت أثناء الحكم التركي بما أوكل إليها من وظائف ولكنها لا تكفي ، وبحاجة إلى الجند الكثير الذي يحمي البلاد من أطماع الطامعين وما أكثرهم وهم على مقربة ، وبحاجة إلى النشاط الزراعي بعد أن مله الناس بسبب مامر عليهم من خوف وما وجدوه من انعدام أمن ، والآن وقد حصرت البلاد وانقطعت مع الخارج علاقاتها ، وتوقفت المساعدات من الدولة التركية ، وذهب ما كان يصرفه الموظفون والاداريون وأصبحت تعتمد على الانتاج المحلي بالدرجة الأولى لأن الاستيراد بحاجة إلى مال، والمال مفقود

نظر رجال هذه الدولة الناشئة إلى وضعهم الذي هم فيه ورؤوا التعاون مع الجوار الذين هم على صلة بالخارج بشكل أوسع، والذين تمرسوا على إدارة البلاد، إلا أنهم اختلفوا حول الجهة التي يتعاونون معها فقد رأت مجموعة التعاون مع الادريسي ومنهم القاضي عبد الله بن مرعي وعبد العزيز المتحمي وابن حامد وابن معدي وابن دليم وابن مشيط وقد استطاعت هذه المجموعة كسب الأمير حسن بن علي نفسه

ورأت مجموعة أخرى التعاون مع الشريف حسين ومنهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عايش والشريف الحسيني وشيوخ بني شهر وغيرهم

وكانت أموال تتدفق من الإدريسي إلى رجالات عسير كما أن أعداداً يفدون عليه وينالون من أعطياته ويرون من كرمه ... واتفق أهل الرأي في البلاد أن يذهب وفدان من البلاد كل وفد إلى جهة من الجهتين التي يتجه نحوها نظر بعض الأفراد ... وتكون اتصالات واجتماعات وعندما يعود الوفدان ينظر بما رجع به المخبرون ...

سافر الأمير محمد بن عبد الرحمن وابن عمه فاصر إلى مكة ... والتقوا بشريف مكة ...

وسافر الأمير حسن بن علي ومعه رؤساء عسير وشهران وقحطان إلى المخلاف السليماني ومكث يومين في الدرب ومثلها

في صبياء، وثلاثة أيام في جيزان ، ويظهر أن هذا الانتقال كان يحمل،
طيه هدفاً سياسياً يريد أن يستجلي فيه رأي القبائل والقوة الحقيقية
التي يملكها الادريسي وقد حدث لهذا الوفد أن التقى
بالادريسي وتمت اتفاقية بين الطرفين . . . بحيث توحد القوتان
اللتان في عسير وتهامة وتعملان معاً ضد الشريف في مكة وإمام
اليمن في صنعاء وأن يكون الادريسي في صبيا المسؤول
الأول ونائبه الأمير حسن في أبها وله الحق في مرتب شهري قدره
خمسة آلاف ريال ولكن الادريسي بما عرف من سياسة
وذكاء قد استطاع أن يتصل بكل عضو من أعضاء الوفد . . .
ويعطيه مبلغاً من المال شهرياً يجعله مرتبطاً به وبخاصة ابن دليم
شيخ مشايخ قحطان

وعاد الوفد إلى أبها ينتظر عودة الوفد الذي سافر إلى
مكة وبعد مدة وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن ويحمل
في جعبته اتفاقاً مع الشريف ينص على ارتباط عسير اسماً بمكة
مع موافقة الأمير حسن .

اجتمع أهل الرأي للتنسيق بين الاتفاقين وتوصلوا إلى
رأي موحد وهو الاستقلال فإنه الحل الأمثل والطريق الصحيحة
للخلاص من التنافس على عسير

جاء طلب الادريسي إلى عسير يقتضي بتحقيق اتفاقية صبيا
وارسال السلاح اللازم من مخلفات الاتراك الثقيلة لحرب الإمام

يحيى حميد الدين ورأى الأمير حسن أن الاعتذار عن ارسال السلاح يكفي وحده لنقض اتفاقية صبيا والتخلص من سيادة الإدريسي المزعومة لعسير فاعتذر عن ارسال السلاح بحجة وجود قبائل مناوئة ويقتضي الأمر اخضاعها واستعمال السلاح ضدها . وأرسل الأمير حسن إلى الادريسي وفداً برئاسة ابن عمه الأمير ناصر بن عبد الرحمن آل عائض وقابل الإدريسي نقض اتفاقية صبيا من قبل الأمير حسن برد فعل قوي إذ اعتقل الوفد الذي عنده برئاسة الأمير ناصر ، وأغلق ميناء جيزان في وجه التجارة العسيرية ، ومصادرة كل ما يأتي من وإلى عسير عن طريق رجال ألمع في حين يسمح للموالين له من أهل عسير بالتجارة وعدم التعرض لهم بسوء أو بالأحرى فرض حصارٍ اقتصادي على عسير .

أمام هذا التصرف الادريسي كان لابد من التوجه نحو الشريف حسين وميناء القنفذة الذي يعتبر حجازياً وشعر الادريسي بمغبة الأمر وسوء تصرفه الذي أعقبه دعاية لخصمه الشريف مكة ورأى أن عليه القيام بعمل عسكري لينهي كل وضع في غير صالحه

بدأ الادريسي بالاتصال بمشايوخ عسير ممن يثق بهم ، ويوضح لهم أنه عازم على دخول أبها بعد أن أدخل آل عائض بوعودهم وموائيقهم ، ويطلب منهم مناصرته في دخول أبها وأرسل جيشين الأول عن طريق رجال ألمع والثاني عن طريق بلاد قحطان وكان قد اتصل بإمام اليمن وطلب منه السلاح والرجال

لمحاربة عسير الذين يعملون لحرب الطرفين (الادريسي - إمام اليمن) ، إلا أن إمام اليمن قد رفض إعطائه السلاح ولكن أمده بعشرة آلاف جندي ٠٠٠٠ وكان الإمام يتتبع حوادث القتال بشكل دائم .

أما الأمير حسن فقد اتصل بالشريف حسين بمكة وأعلمه حقيقة الوضع وطلب منه النجدة ٠٠٠ وأعلن النفير بين القبائل الموالية له ، وطلب من ابن دليم ترك الادريسي والانضمام إليه فأبى ٠٠٠

تقدم الجيش الادريسي الأول في بلاد رجال ألمع فتعرض له شيخ محایل سليمان بن الخالد وأثناء هجومه على حامية الادريسي قتل اثنين من رجال ألمع مما أثار العصبية ، فوقف رجال ألمع جميعهم مع الادريسي وهرب شيخ محایل والتجأ إلى الحجاز في حين دخل رجال الادريسي محایل ٠٠٠٠ وسار الجيش وتمركز في باحة ربيعة ورفيدة حسب نصيحة عبد العزيز بن عامر المتحمي ولم يجد مقاومة أثناء تقدمه هذا ٠٠٠٠ وبينما كان الأمير حسن يستعد لملاقاة هذا الجيش ، إذ يصله خبر تقدم الجيش الثاني الادريسي في بلاد سنحان ووصوله إلى المنطقة المسماة بالبطحاء ومعه ابن محمد بن عبد الرحمن فهزمت في بداية الأمر وعندما وصلتها نجدة بناء على طلب أميرها الذي ضرب خصمه ضربة لاذ على أثرها بالفرار وهرب الجنود اليمنيون بسلاحهم إلى بلادهم ٠٠٠٠٠

وكذلك هزم الجيش الأول الادريسي بعد أن وصل لقوات الأمير حسن نجدات وبخاصة وصول الجيش الذي انتصر في البطحاء ضد قوات الادريسي وهكذا علت راية آل عائض فوق ربوع عسير وخرجوا منتصرين في معركة كانت أكبر من طاقتهم وأقوى من قوتهم حيث كانت جموعهم متفرقة وقبائلهم مشتتة ، وقلوب مشايخها موزعة ، والأموال تغدق على الأفراد والكبار

وكانت أثناء تلك المعارك وفود في أبها لاستمالة آل عائض .. وفود من جهات ثلاث من السعوديين والادارسة والهاشميين وربما كان الهاشميون أقرب الوفود إلى النفوس ولكن دون عهود أو موثيق

استقل ابن دليم وابن مشيط في بلاد شهران وقحطان وكانت الدعوة السلفية قد انتشرت في بلديهما وكانا من جنودها هما أيضاً

أما الادريسي فقد رأى أنه هزم عسكرياً وفشل سياسياً وفرده أيضاً في أبها فرأى أن يسلك طريقاً أخرى هي طريق السياسة مع الخداع وبخاصة بعد أن طلب آل عائض الاستعداد للهجوم عليه ..

نظر الإدريسي إلى فشل الوفد السعودي سياسياً في أبها فهو شريكه من هذا الجانب وأن المؤثر عليه إنما هو الجانب الديني فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود يوضح له خطر

آل عائض وضرورة الاتفاق ضدهم وادعى أنهم ينتهكون
حرمات الدين وأن الأمير حسن قد عقد على الاختين
(الواقع أن الأخت الأولى كانت قد ماتت فعقد على
أختها) •

كتب ابن سعود كتاباً إلى آل عائض وأرسله مع ابن مشيط
يذكرهم فيه بالروابط السابقة بين أسرهم وأسلافه السعوديين ..
أجاب الأمير حسن أنه لاخلاف بين السعوديين وآل عائض
أبداً وأن هذا سيبدو جلياً بعد الانتصار على الشريف الادريسي
وإمام صنعاء فإنهم سبب ما يحدث في المنطقة وما يتم بين القبائل
من حقد وضغائن ... •

جاءت رسالة ثانية من الملك عبد العزيز إلى الأمير حسن
وفيها نوع من التهديد وإن كانت من النوع السياسي بحيث تفسر
على أنها طلب الطاعة كما تفسر على أنها نوع من التقريع والتهديد •
وكان جواب الأمير حسن مشطاً من الرصاص •

فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة عبد العزيز بن مساعد تركز
في بيشة مدة شهرين يتصل خلالها بالقبائل ومعه ابن دليم شيخ
قحطان وابن مشيط شيخ شهران ... وسارت سرية من بني شهر
لمباغثة جيش ابن مساعد وكان عددها ٤٠٠ مقاتل إلا أنها فنيت
بكاملها في موقع يقال له « العين » إذ فاجأها بدلاً من أن تباغته
إذ أدركها النوم بعد أن أعياها التعب وإذا بالجند يذبحون فيها •

وتقدم ابن مساعد إلى بلاد شهران الشرقية فمكث في القاعة
مدة من الزمن ثم سار فتمركز في بلدة خميس مشيط •

وجد آل عائض أن موقفهم في حرج وبلادهم في خطر إذ
بينما يتقدم إليهم جيش ابن مساعد من ناحية الشرق ويريدون
ملاقاته إلا أنهم يخافون أن يوجهوا كامل قوتهم إليه فيتقدم
الادريسي من الغرب وهم يعلمون أطماع الأخير في عسير ويعرفون
الاتصال والمراسلة بين الطرفين لذا فقد وجهوا قسماً من قوتهم
رابطت في الجهة الغربية خوفاً من أي حادث يقع فيجعلهم في حيرة
من أمرهم ••••• وقد خبروا هذا من تاريخهم ، وتعلموا درساً من
ماضيهم ••••• ووجهوا القسم الثاني من القوة إلى الجيش المهاجم
وكان قائدهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وكان عليهم
أن يرابطوا في حصونهم المتينة ويتحصنوا في قلاعهم المتينة التي
طالما حمتهم وقت الشدة ومنعتهم من خصومهم زمن المصائب
والنكبات ••••• إلا أنه على ما يظهر صعب عليهم رميهم بالجبن
ولم يهزموا بعد أمام آل سعود ••••• والله هو المدبر ، وهو
يحكم ما يريد •

خرج الأمير محمد بقوته من أبها واتجه نحو الشرق لملاقاة
ابن مساعد والتقى الطرفان عند حجلة ••••• ودخل الجيش
السعودي بمعظمه عسير عن طريق بلاد بني مالك فوصلوا ولا يزال
محمد بن عبد الرحمن آل عائض في حجلة ووصل الخبر له أن

أبها قد اجتاحت فدبت الفوضى والذعر وهام الناس على
وجوههم وتبعهم من بقي من الجيش السعودي في حجلة
في وجههم فأصيب من أصيب وقتل من قتل ونجا من نجا وكان
محمد جرح وفر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وسار إلى القوات
المرابطة من جهة الغرب حيث أسعف أما الأمير عبد العزيز
بن مساعد فقد تقدم نحو أبها ودخلها دون مقاومة ، وكان الأمير
حسن بن علي آل عائض في بلدة السقا واستمر القتال بينه وبين
الجيش السعودي ما يقرب من عشرين يوماً ورغم ما حدث
من استسلام بعض الجند والقبائل إلا أن الأمير ظل مع ٨٠٠ من
رجاله معتصماً في حصنه •

بدأت المراسلات السلمية بين الأميرين ابن عائض وابن مساعد
انتهت بنزول الأول إلى أبها واستسلامه وعندها أعلن ابن مساعد
العفو العام ، واستقبل وفود القبائل ، وأرسل وفداً إلى الادريسي
لتحديد الحدود بينه وبين عسير

عاد ابن مساعد إلى الرياض ومعه الأمير حسن وبنو عمه
وبقيت أبها تحت إشراف عبد الله بن أحمد بن مفرح •

جرى اتفاق في الرياض بين الملك عبد العزيز وآل عائض
على أن تكون عسير مرتبطة إسمياً بنجد ، على أن تكون المساعدة
والتجنيد وقت الضرورة وحين يطلبها ابن سعود ولم يكن
الملك عبد العزيز يطمع آنذاك في ضم عسير لوجود ابن رشيد في

حائل والشريف في مكة يناوئانه ولهذا كانت معاملته آل
عائض معاملة طيبة

عاد الأمير حسن بن علي آل عائض إلى أبها ومعه ابن
عمه الأمير محمد بن عبد الرحمن على ما اتفقوا عليه مع الملك عبد
العزیز آل سعود ..

كانت السلطة في أبها بيد آل عائض ، والسعوديون
الموجودون في أبها ومنهم الأمير شويش يقدمون الاحترام للأمير
حسن وبقي الأمر كذلك ما يقرب من ثمانية أشهر حتى
شعبان ١٣٣٩ هـ حيث نقل الأمير شويش وجاء الأمير عبد الله بن
سويلم من الرياض ولم يطل الوضع إذ اختلف ابن سويلم مع
الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لسياسة القسوة التي
اتبعتها ابن سويلم مما جعل الشيخ يغادر أبها فعزل ابن سويلم
واستبدل بالأمير فهد بن عبد الكريم العقيلي .. وتغيرت معاملة
الأمير السعودي للأمير حسن فواجههم آل عائض فما تغير الوضع
فاتجه الأمير حسن إلى حصن حرمة ولم تلبث مدة حتى شعر
الأمير فهد بالقبائل تحيط بمدينة أبها وتحاصرها وكان على رأس
الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وسعيد البطاط ،
ونزل الأمير حسن من حصنه في حرمة لقيادة الحركة واستمر
الحصار عشرة أيام ثم تم الصلح على أن تغادر الحامية السعودية
أبها وتنتقل إلى بلاد شهران وأن يتعهد الأمير حسن بعدم مس

أحد من أفرادها بأذى ضمن حدود عسير وألا تتعدى هي من جهتها
على أحد من الرعايا التابعة لإمارة عسير .

غادرت الحامية أبها وانتقلت إلى بلاد شهران وعندما وصلت
إلى خميس مشيط استقبلها شيخ شهران سعيد بن مشيط ورؤساء
قبائل بيشة وشيخ قحطان ابن دليم ورفع الأمر إلى الملك
عبد العزيز يطلبون منه النجدة .

علم الأمير حسن بقاء الحامية في خميس مشيط فاعتبر أنها
لاتزال ضمن حدود إمارته فتتبعها على رأس جيش من عسير
واشتبك الطرفان في معركة حامية وكانت النتيجة وقوع الحامية
في يد الأمير حسن واستسلام سعيد بن مشيط وفرار رؤساء بيشة
فعفا عنهم الأمير حسن وعاد إلى أبها أما الحملة التي جاءت
من نجد مدداً فقد لاذت بالفرار ، مما جعل الملك عبد العزيز يتأثر
كثيراً ويعاقب أفرادها ثم سارع بإرسال جيش كثيف على
رأسه ابنه فيصل فوصل إلى بيشة وتقدم نحو بلاد شهران . .
وسارع أهل عسير بإمرة محمد بن عبد الرحمن الذي رابط في
حجلة وأرسل قوة لمساندة حامية بيشة . وكانت قوات عسير قد
وزعت في جهات عدة وبخاصة في الغرب خوفاً من كل طارئ
يحدث أو من حركة يقوم بها الادريسي .

تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز والتقى في جنوب غربي
بيشة بقوة من بني شهر وغيرهم وجههم الأمير حسن فبدد الأمير
فيصل شملهم في موقع العين وتابع زحفه حتى إذا وصل إلى

خميس مشيط التقى بالقوة التي تريد يشة فانتصر عليها وسار نحو الغرب فالتقى في حجة بقوة عسير •

خافت إحدى القبائل على أوطانها ففضلت مغادرة حجة والدفاع عن مواطنها من القوة السعودية التي أرسلت من تلك الجهات وعندها رأى الأمير محمد أن ينسحب بقية المرابطين إلى مواطنهم ••••• وعاد هو إلى أبها بدون رجال ومنها سار إلى الحجاز يطلب النجدة •

جرت معركة بسيطة في حجة سار بعدها الأمير فيصل إلى أبها ودخلها عام ١٣٤٠ هـ من غير قتال •

اعتصم الأمير حسن بحصن حرمة ••••• وجرت مراسلات بينه وبين الأمير فيصل إلا أنها لم تصل إلى نتيجة فتقدمت سرية سعودية نحو حرمة واستطاعت دخولها بعد عدة معارك إلا أن الأمير حسن قد نجا بنفسه وأهله واتجه نحو الغرب •••••

علم الإدريسي بخبر الأمير حسن فطلب من عامله على رجال ألمع مصطفى النعمي أن يتعقب الأمير حسن ويقبض عليه ويرسله إليه إلى صبا أو يسلمه إلى الأمير فيصل ••••• إلا أن ابن عائض استطاع الإفلات من مصطفى النعمي ، والانضمام إلى جيش الشريف حسين الذي كان قد وصل من مكة وعلى رأسه الشريف راجح والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي سار إلى الحجاز - كما ذكرنا - بعد دخول الأمير فيصل أبها •

أما الأمير فيصل فبعد دخوله أبها نصب عليها الأمير سعد بن
عفيصان وعاد إلى الرياض •

تمركز الجيش الحجازي في بارق واتجه نحو السراة عن
طريق عقبة « ساقين » حيث تمركز في باحة تنومة ، فأرسل ابن
عفيصان سرية بقيادة ابنه سليمان فالتقى بالجيش الحجازي
الزاحف نحو أبها في بلاد بالأسمر في موقع « مسفرة » فانهزم
الجيش السعودي وقتل قائده سليمان بن سعد بن عفيصان
ومحمد بن سعيد بن مشيط وتقدم الجيش الحجازي
نحو أبها وعلى مقدمته الأمير حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن
فحاصر الجيش أبها ، واستسلمت المدينة واعتصمت الحامية
السعودية في قصر شدامدة عشرين يوماً ، وكادت أن تستسلم إلا أن
النجدة جاءت من نجد ، وفي الوقت نفسه طلب الشريف حسين من
جيشه الانسحاب من أبها والتوجه نحو الطائف لمعاونة بقية قواته
التي تصطدم هناك بالقوات السعودية وانسحب آل عائض
إلى حرملة •

توفي سعد بن عفيصان عام ١٣٤١ هـ وتولى إمرة أبها مكانه
محمد بن جيفان واستمر في إمارته مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل
بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم الذي استطاع أن ينزل الأمير حسن
من حرملة إلى أبها ، وأن يزوره في قصره في السقا ، وتفاوض معه

واقتهى الاتفاق بارسال الأمير حسن إلى الرياض (١) حيث بقي فيها حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧ هـ وباستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية .



(١) وصل إلى الرياض في يوم كان جلالة الملك عبد العزيز يعرس فيه على زوجه ابنة طلال بن رشيد وربما كان هذا السبب في خفة النعمة عليه .

مُوجَز تَارِيخ عَسِير

أَيَّام الرِّسُول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٠ — ١١ هـ	الصدر بن عبد الله الأزدي
١١ — ٣٤ هـ	الخلفاء الراشدون عبد الله بن ثور الأمويون ضمن ولاية مكة المكرمة • العباسيون تتبع ولاية مكة المكرمة •
	خروج علي بن محمد بن عبد الرحمن
١٦٩ هـ	
٢٥٤ — ٢٩٣ هـ	الطولونيون
٢٩٣ — ٣٣٠ هـ	العباسيون
٣٣٠ — ٣٦٢ هـ	الآخشيديون
٣٦٢ — ٤٦٣ هـ	الفاطميون
٤٦٣ — ٥٦٧ هـ	السلجقة
٥٦٧ — ٦٢٦ هـ	الايوبيون
٦٢٨ — ٦٥٠ هـ	بنو رسول وبنو طاهر
	المماليك (أحياناً بنو طاهر
٦٥٠ — ٩٢٣ هـ	باسم المماليك)

العثمانيون	ولاية عثمانيون	٩٣٣ - ١٠٣٨ هـ
	أمراء محليون	١٠٣٨ - ١٢١٥ هـ
السعوديون	محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي	١٢١٥ - ١٢١٨ هـ
	عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي	١٢١٨ - ١٢٢٤ هـ
	طامي بن شعيب المتحمي	١٢٢٥ - ١٢٣٠ هـ
	محمد بن أحمد المتحمي	١٢٣١ - ١٢٣٣ هـ
	الشريف حمود حاكم أبي عريش عدة أشهر	
المصريون	محمد علي باشا والي مصر	١٢٣٣ - ١٢٣٩ هـ
الاستقلال	سعيد بن مسلط	١٢٣٩ - ١٢٤٢ هـ
	علي بن مجثل	١٢٤٢ - ١٢٤٩ هـ
	عايض بن مرعي	١٢٤٩ - ١٢٧٣ هـ
	محمد بن عايض	١٢٧٣ - ١٢٨٨ هـ
العثمانيون		١٢٨٨ - ١٣٣٧ هـ
الاستقلال	حسن بن علي بن محمد بن عايض	١٣٣٧ - ١٣٤١ هـ
	أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية	١٣٤١ هـ

الخلاصة

وأخيراً فإن هذه البقعة الخيرة من الأرض إذا ما وجهت إليها الأنظار ، ومدّت فيها المواصلات ، وأقيمت فيها المشروعات ، وأعدت فيها وسائل الراحة كانت مركز خير وسعادة لأهلها ، ولمن يأتيها بسبب ما وهبها الله من مناخ عذب ، وما منحها من مناظر أخاذة ، وما أعطى أهلها من صفات طيبة وما هداهم إليه من عقيدة سمحة ، فهم للضيوف أهل ، يجيدون استقبال الزوّار ، ويحرصون على خدمتهم وتأمين راحتهم ، وهذا ما لاحظناه في عاداتهم الاجتماعية .

وبهذه الصفات فلن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالاً للكثير من الأعمال التي تأبى أخلاقنا أن تكون

وعندما تصبح عسير مصايف الجزيرة ، فإن المنطقة ستسعد ، وسنحفظ على أبنائنا أخلاقهم ، ويحفظون أموالهم لأنفسهم وهذا ما نرجو بل هذا ما ننتظره في المستقبل وننظر إليه في الخيال والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

- البداية والنهاية ابن كثير
- الدول الاسلامية ستانلي لين بول
- الكشف الجغرافية - حقيقتها - دوافعها محمود شاكر
- امكانية التنمية الزراعية حسن حمزة جمرة
- الدولة السعودية الثانية عبد الفتاح أبو علي
- تاريخ عسير هاشم بن سعيد النعمي
- تاريخ المخلاف السليماني محمد بن أحمد عيسى العقيلي
- تاريخ نجد محمود شكري الألوسي
- تاريخ البلاد العربية السعودية منير العجلاني
- صفة الجزيرة العربية الهمداني
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث
- ابراهيم بن صالح بن عيسى
- رحلات في عسير يحيى ابراهيم الألعي
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي
- غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة (البرق اليماني في
- الفتح العثماني) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكّي
- في بلاد عسير فؤاد حمزة

- قلب الجزيرة العربية فؤاد حمزة •
- مسند الإمام أحمد الإمام أحمد •
- معجم البلدان ياقوت الحموي •
- في ربوع عسير محمد عمر رفيع •
- في سرة غامد وزهران حمد الجاسر •
- مقاطعة جازان - المعجم الجغرافي - محمد بن أحمد العقيلي •
- مذكرات سليمان شفيق الكمالي سليمان شفيق الكمالي •
- مذكرات جعفر الحفظي جعفر الحفظي •
- نجد وملحقاته أمين الريحاني •
- مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
باشراف حمد الجاسر

- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي •
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب
تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة •
- جغرافية شبه جزيرة العرب محمود طه أبو العلا •
- عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر •
- جزيرة العرب في القرن العشرين حافظ وهبه •
- خمسون عاماً في جزيرة العرب حافظ وهبه •
- نفحات من شعر عسير من قصائد أسلاف آل الحفظي •
- ملحمة عيد الرياض بولس سلامة •